قالت الصحراء

قصص مثيرة وقصائد نادرة من صحراء الجزيرة العربية

الجزء الثاني

بدر الحمد

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

عنوان الكتاب: قالت الصحراء
(قصص مثيرة وقصائد نادرة من صحراء الجزيرة العربية)
المؤلف: بدر الحمد
رقم الطبعة: الطبعة الأولى - الكويت / ٢٠٠٤

عدد الصفحات: (٣١٦) صفحة - من القطع العادي (٥و٢٣ × ١٦) سم
لوحة الغلاف: تصوير فيلبي عام ١٩١٣ قافلة حجاج قادمة من جدة.
اخراج وتنفيذ: محمد مصطفى

نشرت مواد هذا الكتاب في أعداد مختلفة
من صحيفة الرأي العام ومجلة الساعي

التوزيع
المجموعة الإعلامية العالمية
هاتف: ٤٨٣٦٨٣٠ - ٤٨٣٦٨٣١
فاكس: ٤٨٣٦٨٣٣

تنبيهات لابد منها

يواجه القارىء قصائد يجد في أبياتها قول شاعر : بجاه النبي ، أو بجاه فلان من الأولياء والصالحين أو الآيات القرآنية . وهذا لايجوز ولا ينبغي أن يقوله المسلم .

فالتوسل بالنبي - صلى الله عليه وسلم - بدعة . وأما التوسل بغيره من الأولياء والصالحين فتوسل شركي . وإذا اعتقد به المرء كوسائط بينه وبين الله تعالى فإنه شرك أكبر . ونحن حين لا نقوم بتغيير هذه المفردات أو شطبها فلأنها موجودة في مصادر وكتب كثيرة كما هي ، إضافة إلى ذلك أنها قيلت قبل عشرات السنين .

لذلك لا نملك إلا الإشارة والتنبيه لهذه الأخطاء .

والله المستعان.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله . . .

أما بعد . . .

فإن بين يديك ـ عزيزي القارئ ـ الجزء الثاني من كتاب «قالت الصحراء» الذي يتحدث عن القصص المثيرة والقصائد النادرة من صحراء الجزيرة العربية .

وحقيقة لقد فوجئت في نفاد «الجزء الأول» من الأسواق ، في فترة تعتبر قياسية بناء على حال تدني أوضاع سوق الكتاب . . حيث نفدت النسخ التي بلغت خمسة آلاف نسخة في غضون سنة ونصف تقريباً .

وهو أمر ـ بكل صدق ـ لم يكن متوقعاً بالنسبة لي ، ولم أكن مستعداً له ، لذلك كنت بحاجة لفترة العامين من إعادة ترتيب الأوراق ، ووضع التصورات المناسبة لإستمرارية هذه السلسلة بنفس القوة ، من حيث البحث عن الجديد وفرز الغث من السمين والحرص على القصص التي لا تمس أي طرف بسوء أو تؤثر سلباً على مشاعر أحد .

وقد شارفت على الانتهاء من تنقيح الجزء الأول لتتم إعادة طباعته في أقرب فرصة ، في حين أن صدور هذا الجزء ليكون بمثابة دليل على استمرارية هذه السلسلة ، إن شاء الله .

إن هذا الكتاب يقترب من أخلاق وقيم أهل البادية في تلك الأزمان ، لينقل صورة واضحة ومبسطة من خلال القصص والقصائد ، عن ظروف تلك الفترات من مختلف النواحي ، مثلما يؤكد على الأصالة والمبادئ والقيم عندهم .

فأهل البادية ، هم أحرص الناس على الأخلاق والقيم المتأصلة في نفوسهم

حيث فطروا على الصفات الحميدة وحرصوا عليها ، وتواصو بها . . وتعد بداوتهم مصدر فخر لهم . . يقول شاعر :

حـنـا بـدو ومـــعـــربين الأنـاســـيـب
وحـــقـــوقنا نحـــمـــاه مـــايوخـــذنا
حنـا بـدو وألقـــابنـا مـــابهـــا عـــيب
لنـا الفـــخـــر ياقـــالوا البـــدو منا
حنـا بدو مـــافـــيـــه شك ولا ريب
أهـل الـربـاع مـــزيـنـين المجـنـا

ويقول آخر . . يوصي على الجار :

قـــصـــيـــر بيـــتك لاعنالك من أجناب
احـــشـم جنابه لين تقـــفي رحـــاله

ويحذر غيره من هوان النفس :

إن شـــفت في نفـــسي مـــواري تهـــازيع
مـــا اطاوع النفس الهنوع تغـــدي بي

وشاعر آخر يبين بأن أغلى أمانيه رؤية الضيوف ، دليل على الكرم ، يقول :

ربيع قلبي هـرجـــة الغـــانمينـي
لاجـــوا مـــسايـــر وبالبـــيت خطار

وتجد دائماً في قصائد أهل البادية ، معان نادرة تحث على الأخلاق الكريمة ، دليل نبلهم وشيمهم ومروءاتهم .

وقد قمت في هذا الكتاب بجمع حصيلة وافرة من القصص والقصائد التي أتمنى أن يجد فيها القارئ إلى جانب المتعة ، الفائدة والعبرة وأن يصل إلى ماتهدف إليه من معان إنسانية راقية .

فالبطولات والمواقف والمآثر التي خلفها لنا أولئك الرجال لم تأت من فراغ ، ولا بالسهولة التي ربما يتصورها الواحد منا ، إنما هي نتيجة تجارب حياتية صعبة

في ظروف أكثر صعوبة ، وحياة قاسية كان أولئك الرجال على قدرها ، فجاءت أقوالهم مطابقة لأفعالهم .

لا أريد أن أطيل ، فقد تحدثت في مقدمة الجزء الأول عن مضمون هذه الأجزاء والأهداف المرجوة منها . . .

والله الموفق . . .

المؤلف . . .

لمحات من تاريخ الكويت

ـ نشأة الكويت

ثمة آراء مختلفة حول نزول آل الصباح الكرام ومن معهم في هذه البقعة ، ففي العام ١٢٨٧ - أيام عبدالله الصباح الثاني - يقول مدحت باشا : «ونسل هؤلاء العرب (آل الصباح) من الحجاز وكانوا قبل خمسمائة سنة قد حضروا إلى هذه البقعة هم وجماعة من مطير» . وفي رسالة إلى أحد ولاة البصرة يقول الشيخ مبارك أنها تأسست سنة ١٠٢٢ ، ويقول آخرون سنة «طغى الماء» أي ١٠٨٣ ، ورأي آخر يقول سنة ١١٠٠ ، ويرى شيخ الأدباء في البحرين إبراهيم بن شيخ محمد الخليفة أن الكويت تأسست في سنة ١١٢٥ . والثابت أن صباح الأول توفي سنة ١١٩٠ ، كما أن وفاة الشيخ محمد بن فيروز جد ابن فيروز المشهور كانت بالكويت سنة ١١٣٥ . . . إذاً فالكويت كانت موجودة قبل هذا التاريخ .

ـ أصل التسمية

نسبة إلى حصن صغير كان موجوداً فيها . قيل بناه محمد بن عريعر - أحد أمراء بني خالد - وأقام فيه أحد عبيده واتخذه مخزناً للزاد والذخيرة يتزود منه في غزواته وقد وهبه لآل الصباح ، وقيل وهبهم الأرض ما حوله أما الحصن فقد شيده آل الصباح وكان موضعه في النفود الصغير الذي أسس أعلاه المستشفى الأميركاني فيما بعد .

والكوت كلمة شائعة في هذه الأنحاء وما جاورها من بلدان ، تطلق على البيت المربع كالقلعة أو الحصن ، وتصغيرها كويت ، ومن هنا جاءت التسمية .

ـ نسب آل الصباح

ينتمي آل الصباح إلى قبيلة عنزة ، القبيلة العربية المعروفة ، التي تنقسم

كغيرها من القبائل إلى بطون وأفخاذ منها (جميلة) بالتصغير ، وجميلة تنقسم إلى فروع عدة منها (الشملان) التي تنقسم إلى عدة عشائر منها آل الصباح .

ـ موطن آل الصباح الأصلي وسبب الهجرة

اختلف الرواة حول ذلك ، وذكروا عدة أماكن ، إلا أن الثابت أنهم انحدروا من الهدار احدى مقاطعات الافلاج في نجد .

ولا سبب مؤكد حول هجرتهم إنما هي عدة احتمالات يمكن اختصارها فيما كتبه المؤرخ عبد العزيز الرشيد : «ومن المحتمل أن يكون السبب الوحيد هو كبر نفوسهم وطموحهم إلى الاستقلال بالحكم ، فالنفوس إذا كبرت زعزعت أصحابها من مقرهم وطوحت بهم في المهاوي أملاً في العلا» .

ـ حكام الكويت

- صباح الأول

هو الحاكم الأول ، لم يتول الحكم في أول تأسيس الكويت ، حيث أجمعوا بعد أن أخذ عليهم نفوذ حكمه على الشريف والوضيع . وتوفي سنة ١١٩٠ .

- عبدالله الأول

الحاكم الثاني ، ابن صباح الأول ، شجاع ، عادل ، عاقل ، كريم ، حليم . جرت في عهده واقعة (الرقة) عندما طمع بنو كعب بالكويت وكانت حجتهم خطبة ابنته مريم وهم يعرفون أن طلبهم لا يجاب ، وانتصر عليهم وأذاقهم مر الهزيمة .

- جابر الأول

الحاكم الثالث ، ابن عبدالله الأول ، كان في البحرين عند وفاة والده فأبى الكويتيون إلا أن يكون حاكمهم ، فتولى الحكم وهو حليم عاقل حازم كريم يضرب بكرمه الأمثال وسمي (جابر العيش) لكثرة ما يتصدق به على الفقراء

والمساكين ، وكان يبسط الحصر في الأسواق ويضع عليها العيش (الرز) كي يأكل من لا يجد ما يأكله ، وهو إذ يفعل ذلك فلا صادرات ولا واردات لديه مما رفع قدره إلى العلا بين معاصريه من الحكام .

قال عنه بندر السعدون : «ما الكريم في الحقيقة إلا جابر الصباح (أخو مريم) الذي كان يبسط (الحصر) في الأسواق ويملأها من «التمّن» الرز) للمحتاجين وليس له واردات تغنيه ، أما أنا فلا فخر لي وكثير من أملاك البصرة بيدي» .

وعن شجاعته . . فقد قاد بنفسه معركة ضد النصار (من قبائل العربية القاطنة في الجهة الشرقية من شط العرب) بسبب قتلهم رجلاً من بيت آل الدبوس ، وتحقق له النصر .

وعوداً على كرمه وكرم أسرته ، أن راشد السعدون مر بالكويت في بعض أسفاره وكان جابر خارجها ، فتولت أخته (مريم) أوامر اكرام الزائر وواجب الضيافة ، فأكبر راشد نباهة هذه المرأة وكرمها الحاتمي .

- صباح الثاني

الحاكم الخامس ، ابن صباح الثاني ، تولى الحكم سنة ١٢٨٣ ، هادىء الطباع لا يدل مظهره على ذكاء أو فطنة ربما لأنه قليل الكلام ، إلا أنه إذا ما وقع في مأزق تخلص منه بأسرع مما يمكن .

استنجده جابر بن مرداو شيخ كعب في احدى المعارك ، فلبى الدعوة بتجهيز عشرين سفينة بالذخيرة والرجال . وبعد أن أطرق بأفكاره قليلاً . . أمر سفينتين بالتوجه عن طريق بهمشير وبقية السفن بالاتجاه إلى أخيه جراح بالفاو تأخذ منه التعاليم . . في تلك الأثناء وصلت نجدات المتفك إلى كعب . لكن شيخ كعب حفظ معروف عبدالله وحميته ، وكافأه بـ (٧٠) كارة تمر سنوياً .

- محمد بن صباح الثاني

الحاكم السادس ، تولى الحكم في ذي القعدة سنة ١٣٠٩ ، وكان سليم الصدر رقيق القلب ، بعيداً عن الشر محباً لقومه ، وقعت في أيامه وقائع

طفيفة .

- مبارك الثاني

- الحاكم السابع ، وهنا تنحني هامة الكلمات وتطاطىء برأسها خجلاً أمام عظمة هذا الرجل . ولنورد ما قاله المؤرخ عبد العزيز الرشيد عن أسد الجزيرة - لقب مبارك الصباح - «مبارك هو الكويت بأسرها ، وهو الذي رفعها على ما سواها من أترابها وأطار صيتها في سائر الأقطار . مبارك هو الذي ترك اسمه يجوب العواصم والمدن ويتخلل الأندية والمؤتمرات . فيه اشتهرت ، وبه زهت . وكان عصرها في أيامه عصر الأمن والدعة . عصر القوة والهيبة . فقدت بفقده شجاعاً لا يهاب الموت والردى . رزئت بأمير من أمراء العرب الأفذاذ في الهمة والإباء وفي العقل والرأي ، لولاه لما عرفت ولولاه لما كانت الدرة في تاج الخليج العربي ، ولولاه لما امتدت أسطورتها إلى أمد بعيد من الفيافي والقفار» .

تولى الحكم سنة ١٣١٣ ، كان شجاعاً بلا حدود ، وداهية حرب وسلم ، استطاع أن يبعد بلاده عن سيطرة الانكليز والعثمانيين القوتين العظميين آنذاك ، بل ويسخرهما لخدمة ما يريد لا ما يخططان له ، لم يجرؤ أحد على مناوأته ، وكان مجرد ذكر اسمه يلقي الرعب في قلوب القبائل القريبة من حدود بلده والتي كانت تعيش على السلب والنهب . وفي عهده ازدهرت التجارة وفاضت خزائن البلاد .

- جابر الثاني بن مبارك

الحاكم الثامن ، تولى الحكم في ١٢ محرم سنة ١٣٣٤ ، كان حليماً عن الهفوات ، لا يعرف الحقد ولا البغض ، تواضعه حببه إلى رعيته . كان أول عمل قام به إعفاء الكويتيين من ضريبة الثلث العقارية ، فأحبه الناس وفرح بحكمه التجار ، وكانت أيامه مباركة .

- سالم بن مبارك

الحاكم التاسع ، تولى الحكم بعد وفاة أخيه جابر في ربيع الأول سنة

١٣٣٥ ، كان شجاعاً تقياً شغوفاً بالأدب والمسائل الدينية ، خفض الجمارك ورتب مختارين للأحياء وحارب الفسوق بشدة ، وقصده الشعراء بالمدائح . في عهده بني سور الكويت ، وحدثت معركتا حمض والجهراء .

- أحمد الجابر

الحاكم العاشر ، تولى الحكم بعد عمه سالم في ١٤ رجب ١٣٣٩ ، تميز بالتواضع والبشاشة والصبر ، تمتع الكويتيون في عهده بالحرية التامة في نشر العلوم والمعارف ونبغ الكتاب والشعراء وازدانت بهم المجلات والجرائد ، أسس المدرسة الأحمدية وفتح المكتبة الأهلية والنوادي الأدبية ، وسهل المواصلات البرية بين الكويت والبصرة للسيارات ، وشجع على البعثات العلمية ، وفي عهده صدرت أول شحنة للنفط سنة ١٩٤٦ .

- عبدالله السالم

الحاكم الحادي عشر ، أبو الاستقلال وأبو الدستور ، وفي عهده شكلت أول وزارة في سنة ١٩٦١ ، وفي ٣٠ ديسمبر ١٩٦١ أجريت انتخابات عامة لاختيار ٢٠ عضواً لتكون المجلس التأسيسي ليقوم بمهمة وضع دستور للبلاد ، صدر الدستور الكويتي في ١١ نوفمبر ١٩٦٢ ، وفي ٢٩ يناير ١٩٦٣ عقد مجلس الأمة أولى جلساته ، وانضمت الكويت إلى هيئة الأمم المتحدة في ١٤ مايو ١٩٦٣ ، وكان أنهى المعاهدة البريطانية في ١٩ يونيو ١٩٦١ واستقلت الكويت ودخلت الجامعة العربية في ١٦ يوليو ١٩٦١ ، وفي عهده نهضت الكويت نهضة عمرانية شاملة في جميع نواحي الحياة ، وأنشئت المستشفيات والمراكز الطبية وزاد عدد المدارس ، وأنشئت سنة ١٩٥٤ أكبر محطة لتقطير مياه البحر .

- صباح السالم

الحاكم الثاني عشر ، حبيب الشعب ، تعلق الشعب بحبه بصورة لا يمكن وصفها ، سار على نهج أخيه ، وضع حجر الأساس لكثير من الصناعات وافتتحت في عهده جامعة الكويت ، وأنشأ المساكن لذوي الدخل المحدود ،

ووقف إلى جانب القضايا العربية وشارك جيش الكويت عام ١٩٦٧ على الجبهة المصرية ، وعلى الجبهة السورية عام ١٩٧٣ .

والكويت اليوم تنعم بالخير والرخاء في ظل سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح أدامه الله .

المصادر

١ - تاريخ الكويت . . عبد العزيز الرشيد .

٢ - الكويت أيام زمان . . أحمد سليمان بهبهاني .

ملحمة الكويت

اهداء إلى حضرة صاحب السمو أمير البلاد

الشيخ جابر الأحمد الصباح

سـلام من بيـاض الصـبح وابهى والتـحـا يا كـبـار
سـلام مـثل روضٍ مـزهرٍ فـاحت نواويره
سـلامٍ وافيٍ ضـافي . . وصـافي مـثل در بكار
يصـوّر كـل شيٍ به . . ولا يـلحق تـصـاويره
تخـيره الوجـوه . . وشـام عن كـل الوجـوه . . اخـتـار
كـريم . . من فـضـل رب العـبـاد الخـيـر من خـيـره
سـلامٍ . . مـا يكون إلا على يمنى زعـيم الدار
ابو مـبـارك . . ولا قلت السـلام لواحـد غـيـره
سـلام لـ جـابر الأحـمـد على شيٍ يصـيـر . . وصـار
على مـا جـاد واعطى للعـرب والشـعب والديره
امـيـرٍ بالـعطايا والوهـايب يبـذل الـدينار
وفي شـتى بلاد اليـعـربيـة ذكـر تعـمـيـره
جـبـر كـسـر الضـعـيف وعند مـدّاته تقـوم ديار
حـمـاها من الهـلاك وصـانهـا من عـقب تدمـيـره
زعـيمٍ لأمـة الإسـلام درع ، وصـارمٍ بتـار
الى اشـتـدت وقف ، وان هوّنت هي كـل تفكيـره
مـعـونات الكويت تمر فـ أقطار . . وتجـوب أقطار
تحت رايات جـابر وفـ قـراراته وتبـصـيـره
حليمٍ ، حـاكمٍ بالعـدل ، منصف ، وافـر مـدرار
مـثل غـيثٍ على كلّ البلد لاحت تبـاشـيـره

بنى مجد الكويت وعزّها بالعزم والإصرار
وفي عهده كتبها فوق هامات الزمن سيره
الى منه ذكر تذكر بلاد الخير بالإكبار
مثل ما يذكر النعمان إلا وتذكر الحيره
ابو كل البلاد ، الوالد القايد ، عطوف بار
أبو الأيتام والضعف ، صغير الشعب وكبيره
صليب الشور ، لاكثرت وزادت حدة الأشوار
مرد العلم والهقوات للي ما لها غيره
ابو مبارك . . إلى كبرت ، تلفت يمّه الأنظار
تعلّم من مواقفه العظام وحسن تقديره
ورث حكمة (صباح الأول) . . وجدّانه الأخيار
وأخذ من (جابر العيش) . . الكرم وأوفى معاييره
وعزم (مبارك) . . وبه نخوته لا من نصاه الجار
ويكفي أنه ولد (أحمد) ومن يحصي مفاخيره؟
أمير - طيّب الله تربته — باني نهوض الدار
ظهور النفط في عهده وصارت ديرته ديره
عقب ضنك الحياة وعيشة صعبه وركوب بحار
وقل الما . .وبيوت الطين ، والوقت وتعاسيره
حياة مرّها حلو ، وحلاها ياما فيه امرار
وشعب به بساطة ، بالتعامل . . وف تعابيره
على النيه . . وبياض قلوب ، ما تلقى حكايا قصار
وإذا حلّت باحد كربه تواصوا لأجل تيسيره
ورا موج البحر رزق شحيح . . والبحر غدار
ولكّن خاضوا غماره ، ولا هابوا محاذيره

على السمبوك والشوعي مضت كل السنين اسفار
مضوا سمر الجباه وبالله التوفيق والخيره
تودعهم هل الديره ، وتظل تراقب الأخبار
وكل داخله شوق كبير ولهفه وحيره
وإذا جا العصر للشيخ الصباحي مجلس محشار
تحاشد به وجوه القوم تأخذ من أشاويره
يحل به الخصومات ، ويرحب بالغريب المار
وإلى منه سمع بأمر صعيب أمر بتدبيره
ولأن الحب أساس الأرض هذي من قديم صار
ولأن الأرض هذي شجرته وظلاله وطيره
كتب ربي لهذا الأرض خير في خفى الأسرار
وكان (الكوت) به موعود يوم الله بغى خيره
من أول ما تحدّر بيرق ظافر من (الهدّار)
ونجد لفّها حزن ، وبكت فرقا مظاهيره
نزوح آل الصباح من أجل عز خالد وأذكار
ومجد تروي الدنيا على الدنيا أساطيره
وحلّوا في ديار ، وبدلوا في ذا الديار . . ديار
وراحلم عظيم ، في فجر باكر مسافيره
وكان (الكوت) آخر رحلة الأمجاد والأنوار
مقام آل الصباح وما تخيّره الولي . . خيره
وقامت عن يمينه كم بيوت ، وكم بيوت يسار
عوايل بينهم دم ونسب ومخالط وجيره
وصار الحكم في يمنى صباح الأول . . المختار
خيار الشعب في تنصيبه الشيخه وتأميره

عظيم القـدر فـ عـيـون الشـعب ، له هيـبـة ووقـار
ولا أحـد يخـالفـه . . شـيخ فـرض حـبـه وتوقـيـره
ومن بعـده لعـبـدالله الحليم ، العـادل ، البـيطار
شـجـاع ، نادر ، وعن الكرم تحكي خطاطيـره
أبو مـريم ، وسـتـر لكل مـريم لا نوى غـدار
صـمـيـدع . . تشـهـد الرقـة على بأسـه وتفكيـره
وكـان الحـاكم الشـالث تحـيـر بجـوده الأبصـار
وسـمي (جـابر العـيش) برغم قلة مـصـاديره
حليم ، حـازم ، عـاقل ، تعلّق بالكرم باكـثـار
يمد العـيش وسط السـوق مـا يحـرص بتـوفـيـره
وهو رأس الشـجـاعـة كـان ثارت للحـروب غـبـار
ولا يرضى على شـعـبـه بزلّه لو هي صـغـيـره
أخـو مـريم : فـابن دبوس حـرّك غـزوة النصـار
ترك شط العـرب كـومـة جنايز مـشـبـعـة طيـره
وهو للملتـجي صـدر وسـيع ومكرمـه وإيثـار
شـهـد له بندر السـعـدون ، وأثنى راشـد وغـيـره
وشـال الحكم من عـقـبـه صـبـاح الثـاني اللي سـار
على نهـجـه . . ولا اخلف سنة الوالد بتطويره
شـيـوخ ذكـرهـم طيّب ، وفي شـعـب الكويت أبرار
بهم حـرص على تراب البـلاد ، وفـيـهـم الغـيـره
وجـاء عـبـدالله الثـاني وخـمّـد كل شـعلة نار
وحكم من بعـده مـحـمـد على الرحـمـة مـشـاويره
وقـام الحـاكم السـابع ، مـبـارك ، قـبلة الأنظار
ولا ذكـر الزمـان إلا مـبـارك من مـشـاهيـره

أمـــيـــرٍ عـــالي قـــدره ، تهـــابه باقي الأقطار
أسـد كل الجـزيرة حث لأمـجـاد الزمن سـيـره
شـجـاعٍ جـرّها شـرق وجنوب ومـا خـشى الأخطار
خـبـيـر بالسـيـاسـة لا دخل يعـرف مظاهيـره
ظهـر . . والوقت يغلي ، وأرخص الأمـوال والأعـمـار
رفع اسم الكويت وفـاقت أرباحـه ومـخـاسـيـره
مـا بين الانكليـز ودولة العـثـمـان صـيـتـه طار
رضـوا بمعـاهداته ، وارتضـوا يفـرض دسـاتيـره
وتولى الحكم جـابر ، عـقب أبوه ، وفـرحـوا التـجـار
حليم ، وامـتـواضع ، طيب . . وخـصـاله كـثـيـره
ومثله (سـالم) النادر ، شـجـاع . . ومقـصـد الشـعـار
رحـوم بالرعـيـة ، يذهل إعـداه بتـدابيـره
وجـا . . . عـصـر (أحـمـد الجـابر) بكل الخـيـر والإبهـار
رعى التـعـليم . . والبـعـثـات حلم شـاع تنويره
تعـهـد بالـثـقـافـة ، والمعـارف ، والشـبـاب البـار
فـتح باب الأدب والعلم ، حـتى بان تأثيـره
مـشـاريعـه لأجل خـيـر المواطن مـا لهـا مـقـدار
وفي عـهـده ظهـر نفط البـلاد ودار تصـديره
ومن بعـده حكم (عـبـدالله السـالم) عـزيز الجـار
أبو الدسـتـور . . والتـاريخ يشـهـد له بتـغـيـيـره
أمـيـر حـقّق اسـتـقـلالنا . . واهتم بالإعـمـار
أمـر بالكهـربا والطب ، والما حل تقطيـره
بعـيـد الشـوف ، رأس العـبـقـرية ، للبـلاد سـتـار
امـهـدّي كل صـعب ، وعـارف غـايات تفـسـيـره

بكاه الشـــعب في يوم الرحــيل بكل دمعٍ حــار
ولا هوّن مـصـابه غـيـر علم جت تبـاشـيـره
صـبـاحٍ . . من ظهـر وأسـفـر وشـاعت بالبـلاد أنوار
فـرح شـعب الكويت ورحّب وطابت أسـاريره
(صـبـاح السـالم) اللي ترتفع به هامـة الأقـدار
أمـيـر من تولى الحكم حل الخـيـر بالديره
حبيب الشعب . . ما توصفً غلاته بالخفا وجهار
وبادل شـعـبـه الحب العظيم وجـد في سـيـره
وهذي عـادة الأسـرة الكريمة غـايب وحـضّـار
لهم فـ قلوبنا حب ، ولنا فـ قلوبهم سـيـره
نحب آل الصـبـاح ومـا بهـا زيف ولا هي اعـذار
شـيـوخ عـزّنا من عـزّهم . . وإن نادت الديره
رخصنا أعـمـارنا . . وأجسـادنا دون البـلاد أسـوار
نموت . . وحق لتـراب الوطن بالدم تعطيـره
نعم . . . والتضحية ما هي مجرد سالفه وشعار
ومن قـصّـر بحق الدار ، وش هو عـذر تقـصـيـره؟

بدر الحمد

***

قال الله تعالى :(نا خلقنكم من ذكر وأنثى وجعلنكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم)«١» وعن ابي هريرة - رضي الله عنه - قيل : يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال : «أتقاهم» قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : «يوسف ، نبي الله ابن خليل» . قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال « فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»«٢»

فقد جعل الله تعالى تعارف الناس غرضاً من خلقه إيانا ، وإنما أكرم الناس أتقاهم عند الله ، فبالتعارف بيننا أمما وشعوبا وقبائل وجب أن علم النسب علم جليل بالغ الأهمية ، وعلم الأنساب علم واسع - ولاشك - يكتنف اغلب جوانبه الغموض والصعوبة ، إلا أن منه ما هو فرض علينا تعلمه ، كما بين ابن حزم : «فأما الغرض من علم النسب ، فهو أن يعلم المرء أن محمدا - ﷺ - الذي بعثه الله تعالى إلى الجن والانس بدين الإسلام ، هو محمد بن عبدالله القرشي الهاشمي ، الذي كان بمكة ، ورحل منها إلى المدينة . فمن شك في محمد - ﷺ - أهو قرشي ، أم يماني ، أم تميمي ، أم أعجمي ، فهو كافر ، غير عارف بدينه ، إلا أن يعذر بشدة ظلمة الجهل ، ويلزمه أن يتعلم ذلك ، ويلزم من صحبه تعليمه أيضا .

ومن الغرض في علم النسب أن يعلم المرء أن الخلافة لا تجوز إلا في ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، ولو وسع جهل هذا لأمكن ادعاء الخلافة لمن لا تحل له ، وهذا لا يجوز أصلا . وأن يعرف الإنسان أباه وأمه ، وكل من يلقاه بنسب في رحم محرمة ، ليجتنب ما يحرم عليه من النكاح فيهم ، وأن يعرف كل من يتصل به برحم توجب ميراثا ، او تلزمه صلة أو نفقة أو معاقدة أو حكما ما ، فمن جهل هذا فقد أضاع فرضا واجبا عليه ، لازما من دينه»«٣» . كما قال النبي - ﷺ - : «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم

محبة في الأهل ، مثراة في المال ، منسأة في الأثر» «٤» . دل كل هذا – وغيره – على أهمية علم الأنساب .

ولما كانت هذه القبائل الموجودة اليوم ، بكافة بطونها وعشائرها وأفخاذها هي امتداد للقبائل العربية القديمة ، منذ انهيار سد مأرب بالنسبة للقبائل القحطانية على سبيل المثال . فإن ما كان يشغل حيزا من اهتمامي هو محاولة تتبع أصول قبيلة شمر الأولى منذ تلك العصور ، ولم تكن المحاولة مبنية على فراغ ، حتى أدعي هذا الانجاز الخارق والمستحيل ، بل كانت هناك بعض الآثار النادرة ، فالأمر لم يكن يخلو من صعوبة . وقد عملت على اقتفاء آثار هذه القبيلة حتى المنابع الأولى ، ومن ثم ذكر رجالات القبيلة البارزين في الجاهلية وفي صدر الاسلام . وقد تكون هناك أخطاء فلا أبرئ نفسي . . بل إن أصبت فمن عند الله عز وجل وان اخطأت فمن نفسي والشيطان .

ـ مدخل

إن قبيلة شمر واحدة من أكبر القبائل العربية ، التي تنحدر من قحطان ، ذات عدة وعدد ، وتأثير فاعل على مسرح الأحداث منذ ظهورها ، وقد أنجبت على مر التاريخ رجالا أفذاذا غرسوا أسماءهم في ذاكرة الأزمنة ، فهي لا تمحى على مر الأيام . منهم زعماء ورؤساء قبائل ، وقادة ، وشعراء ، وفرسان ، وكرماء ، ومحدثون وفقهاء . . .

وقد كانت القبائل القحطانية تسكن اليمن عندما كان سد مأرب عامراً في الماضي ، حيث كان يجمع ٧٠٪ من مياه أودية اليمن ، ويسقي مساحات شاسعة . . ففي مياهه وجناته ، يقول أحد الشعراء :

تسقي به جنتاها ثم بعدهما
مسافة الخمس موصولا لياليها
تغدو النواصف بالأطباق تملؤها
من كل فاكهة بالكف تجنيها

إن شمر - القبيلة - بطن من ثعل بن عمرو من طيء ، ثم ما لبثت أن غلبت هذه التسمية على أهل جبل طيء من بادية ، وحاضرة .

أما طيء ، فإنهم كانوا خرجوا من اليمن بعد انهيار سد مأرب ، ذكرهم ابن خلدون في كتاب العبر بقوله : (أما بنو طيء بن أدد فكانوا في اليمن وخرجوا على أثر الأزد إلى الحجاز ، ونزلوا سميراء وفيد في جوار بني أسد ، ثم غلبوهم على أجا وسلمى ، واستقروا فيها ، وافترقوا لأول الإسلام في الفتوحات) . وأجا وسلمى عرفا فيما بعد بـ «جبل طيء»

ـ معجم البلدان

وفي رواية لابن الكلبي اعتمد عليها ياقوت الحموي في معجم البلدان تقول : (لما تفرق بنو سبأ أيام سيل العرم سار جابر وحرملة ابنا أدد بن زيد الهميسع ، وتبعا ابن أخيهما طيء واسمه جلهمة ، وقيل جلهمة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان فساروا نحو تهامة ، ثم وقع بين طيء وعمومته ملاحاة ففارقهم وسار بأهله نحو الحجاز وتتبع مواقع القطر ، فسمي طيئا لطيه المنازل ، وأوغل طيء بأرض الحجاز وكان له بعير يشرد في كل سنة عن إبله ويغيب ثلاثة أشهر ، ثم يعود إليه وقد عبل وسمن وآثار الخضرة بادية في شدقية ، فقال لابنه عمرو : تفقد يا بني هذا البعير فإذا شرد فاتبع أثره حتى تنظر إلى أين ينتهي ، فلما كانت أيام الربيع وشرد البعير تبعه على ناقة له فلم يزل يقتفي أثره حتى صار إلى جبل أجا وسلمى ، فأقام هناك ونظر إلى بلاد شاسعة كثيرة المياه والشجر والنخيل ، فرجع إلى أبيه وأخبره بذلك ، فسار طيء بإبله وولده حتى نزل الجبلين فرآهما أرضا لها شأن ، ورأى فيهما شيخا عظيما جسيما مديد القامة على خلق العاديين«٥» ومعه امرأة على خلقه يقال لها : سلمى ، وهي امرأته وقد اقتسما الجبلين بينهما نصفين ، فأجا في أحد النصفين وسلمى في الآخر ، فسألهما طيء عن أمرهما ، فقال الشيخ : نحن بقايا صحار«٦» غنينا بهذين الجبلين عصرا بعد عصر ، أفنانا كر الليل والنهار ، فقال له طيء : هل لك في

مشاركتي إياك في هذا المكان فأكون لك مؤنساً وخلاًّ؟ . .

فقال الشيخ : إن لي في ذلك رأيا فأقم فإن المكان واسع ، والشجر يانع والماء طاهر ، والكلأ غامر ، فأقام معه طيء بإبله وولده بالجبلين ، فلم يلبث الشيخ العجوز وزوجه إلا قليلا حتى هلكا ، وخلص المكان لطيء ، وقالوا سألت العجوز طيئاً ممن هو ، فقال :

إنا من القوم اليمانينا
إن كنت عن ذلك تسألينا
وقد ضربنا في البلاد حينا
ثمة أقبلنا مهاجرينا
إذ سامنا الضيم بنو أبينا
وقد وقعنا اليوم فيما شينا
ريفاً وماء واسعاً معينا

وطيء له من الأبناء ثلاثة : الغوث ، وفطرة ، والحارث . وكانت الرئاسة في أحفاد فطرة بن طيء . وبلغت إمارتهم غسان والشام .

ـ شمّر الأب

ربما كثيرون اليوم من أبناء قبيلة شمر وغيرها من أبناء القبائل الأخرى ، لا يعرفون ماذا تعني لفظة شمر؟! . . إن كانت لقبا أم صفة أم شيئا آخر . وقليلون – ربما – يعرفون أنه اسم علم ، وأنه لرجل ، فيما نادرا ما تجد من يعرف اسم هذا الرجل كاملا!

إن شمّر رجل ، ترجع إليه أغلب القبيلة ، أي من سلالته ، واسمه : شمر بن عبد جذيمة بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء .

أما طيء ، فهو ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب زيد بن كهلان . وكهلان هذا ، ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشند بن سام بن نوح .

ويروى أن سبأ بن يشجب هو الذي بنى السد ، وهو من ملوك اليمن القدامى ، واسمه عبد شمس ، ولقب بسبأ لأنه أول من سبا الأعادي وفتح البلاد وأغار على مملكة بابل .

وفي مسند الإمام أحمد : «إن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن سبأ ما هو؟ أرجل أم امرأة أم أرض؟ فقال : بل هو رجل ، ولد عشرة ، فسكن اليمن منهم ستة ، وبالشام منهم أربعة ، فأما اليمانيون «فمذجح وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير عربا كلها ، وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان» . وثبت أن أباهم كان يتكلم العربية .

أما شمر (القبيلة) فإن فروعها وأقسامها منذ ذلك الحين ، وحتى يومنا هذا تلتقي عند أدد بن زيد ، وهم من عقبه ، فمن خرج منه فلا يعد من شمر ، وقد أنجب أدد بن زيد أربعة أبناء ، وهم : مالك (مذجح) ، وجلهمة (طيء) ، ومرة ، ونبت (الأشعر) .

ـ البداية

حين نبدأ من الجد (كهلان) نجد أنه أنجب (زيد) ، وقد أنجب زيد (عريب ، ومالك) ، أما ذرية مالك فأبناء عمومة بعيدون في النسب . والذي يعنينا ذرية (عريب) الذي أنجب (يشجب) فأنجب يشجب (زيدا) وزيد قد أنجب (أدد) وهو جد القبيلة الأعلى ، الذي أنجب أربعة أبناء - كما ذكرنا - هم : مرة ، ونبت وهو الأشعر ، وجلهمة وهو طيء ، ومالك وهو مذجح .

ـ ذرية نبت بن أدد

إن نبت بن أدد ، وهو الأشعر ، أنجب : الجماهر ، والأنغم ، والأرغم ، والأدغم ، وجدة ، وعبد شمس ، وعبد الثريا .

ومن سلالته : الصحابي الجليل ، أبو موسى الأشعري ، رضي الله عنه .

ـ ذرية جلهمة بن أدد

إن جلهمة بن أدد ، وهو طيء ، أنجب : الحارث ، وفطرة ، والغوث .

- أما الحارث بن طيء : فمن سلالته الشاعر حبيب بن أوس .

- وأما فطرة بن طيء : فأنجب سعد بن فطرة ، فأنجب سعد خارجة ، ومن خارجة بن سعد : جديلة (على اسم أمهم) ، وتيم الله ، وجيش ، والأسعد ، وهؤلاء جلوا عن الجبلين في حرب الفساد ، أما ذرية رومان بن جندب بن خارجة فبقوا في الجبلين ، وقد عقب رومان : ذهل ، وثعلبة ، (بطن) ، فعقب ذهل بن رومان : جدعاء ، وثعلبة . فعقب جدعاء : مالك ، وثعلبة . وهؤلاء هم الثعالب في طيء ، كل واحد منهم عم الآخر ، وهم : ثعلبة بن جدعاء بن ذهل بن رومان ، وثعلبة بن ذهل بن رومان ، وثعلبة بن رومان ، وكلهم بطون .

فأنجب ثعلبة بن جدعاء : تيم بن ثعلبة ، يلقب بنوه بـ «مصابيح الظلام» ، وعليهم نزل امرؤ القيس بن حجر ، وفي ذلك يقول :

أقـــر حـــشـــا امـــرىء القـــيس بن حـــجـــر

بـنـو تـيـم مـــــــصـــــــابـيـح الـظـلام

ومن سلالتهم : السيد المشهور أوس بن حارثة ، وابنه الصحابي جرير بن أوس ، وكذلك منهم باعث بن حويص الذي أغار على إبل امرىء القيس ، ففي ذلك يقول امرؤ القيس :

تـلـعـب بـاعـث بـذمـــــــة خـــــــالـد

وأودى عـــــــصـــــــام فـي الخـطـوب الأوائـل

ومن سلالة ثعلبة بن رومان : عمرو بن ثعلبة بن غياث بن ملقط بن عمرو بن ثعلبة بن عوف بن وائل بن ثعلبة بن رومان ، كان على مقدمة عمرو بن هند يوم أوادة . ومنهم : حيان بن عمرو بن عميرة بن ثعلبة بن غياث ، لقبه الأسد الرهيص ، قيل أنه قتل عنترة بن شداد العبسي .

أما الغوث بن طيء : فأنجب عمرو ، وعمرو أنجب : ثعل (فيهم البيت والعدد) ، وثعلبة (قبيلة) ، وأسودان ، وهو نبهان (بطن) ، وغصين وهو بولان ، وهنيء .

ومن عقب عمرو بن الغوث أيضا : غيث ، وبدين ، وحسن ، وحسين ، وهم الأحلاف دخلوا في بني أخيهم هنيء بن عمرو .

ومن عقب عمرو بن الغوث كذلك : علي ، وأنعم ، وظبيان ، وتدول ، ورضى دخلوا في بولان .

ومن عقب عمرو بن الغوث أيضا : مرّ ، وعدي ، وخالد . أمهم كلهم المسك بنت ذي رعين ، وعددهم ستة عشر ذكرا .

ومن سلالة هنيء بن عمرو : إياس بن قبيصة بن أبي عفر بن النعمان بن حية بن سعنة بن الحارث بن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سفر بن هنيء بن عمرو ، وهو الذي ملّك كسرى على الحيرة بعد آل المنذر . ومنهم : أبو زبيد حرملة بن المنذر الشاعر النصراني .

وثعل بن عمرو أنجب : سلامان ، وجرول . ومن بني سلامان بن ثعل : بحتر ، ومعن (وهما بطنان كبيران) ، منهما (شمر) بن عبد جذيمة بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء ، أبو القبيلة .

وجرول بن ثعل بن عمرو أنجب : ربيعة ، ولوذان (بطنان ضخمان) وأنجب معاوية بن ثعل : سنبس .

ومن سلالة سنبس : معن بن قيس بن عائذ الذي خاصم عدي بن حاتم يوم صفين في الراية ، والسليل بن زيد بن المعلى الذي غرق يوم جاز المسلمون دجلة إلى المدائن ولم يغرق من المسلمين يومئذ أحد غيره ، والحدرجان رافع بن عميرة دليل خالد بن الوليد من العراق إلى الشام على السماوة .

ومن ربيعة بن جرول بن ثعل : أخزم والنجد (بطنان ضخمان) ومن سلالة أخزم : حاتم الطائي ، الكريم المشهور ، وابنه عدي بن حاتم الصحابي رضي الله عنه .

ونبهان بن عمرو بن الغوث أنجب : سعد ، ونابل ، فأنجب نابل : مالك ، وغوث (بطنان) . ومن سلالة غوث بن نابل بن نبهان : زيد الخيل بن المهلهل ،

من فرسان العرب المعدودين في الجاهلية ، وله صحبة ، وأثنى عليه النبي - ﷺ - ثناء كبيراً ، وسماه زيد الخير . وقد توفي في منصرفه من النبي - ﷺ - وابنه عروة بن زيد الخيل بعثه عمار بن ياسر رضي الله عنه بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قتال الري والديلم ، فكانت له فيهم فتوح عظيمة ، ثم وفد على عمر واستخلف مكانه أخاه حنظلة بن زيد الخيل .

وكان لزيد الخيل أخ اسمه حصن بن مهلهل ، من سلالته ، (القشعم) بن ثعلبة بن عبدالله بن حصن بن مهلهل ، هو الذي قاتل دامر ، ملك الهند ، أيام عبد الملك .

- ذرية مالك بن أدد

إن مالك بن أدد ، وهو مذحج أنجب : جلد ، ويحابر وهو مراد ، وزيد وهو عنس ، وسعد العشيرة وسمي العشيرة لأنه كان يركب في ثلاثمائة فارس كلهم من صلبه ، ولميس وهم أهل بيت قليل ، وأم هؤلاء المضرية سلمى بنت منصور بن عكرمة .

أما عنس بن مالك ، فأنجب : سعد الأكبر ، وسعد الأصغر ، وعمرو ، وعامر ، ومعاوية ، وعزيز ، وعتيك ، وشهاب ، ومالك ، ويام ، وجشم ، والقريَّة . فمن سلالة مالك بن عنس : الأسود العنسي ، المتنبي باليمن ، واسمه عبهلة بن كعب .

ومن سلالة يام بن عنس ، السابقون في الإسلام ، آل ياسر ، ياسر بن مالك بن كنانة وامرأته سمية ، وابنه عمار بن ياسر ، رضوان الله عليهم .

وأما يحابر بن مالك فأنجب : ناجية وزاهر . فأنجب ناجية : عبدالله ، وعمير ، ومفرج (بطن) ، وكنانة ، ومالك ، ويشكر ، ونمرة ، وردمان (الذي انتسب في حمير) .

أما عبدالله بن ناجية ، فأنجب غطيف (بطن) منهم : فروة بن مسيك الشاعر ، وله صحبة ، واستعمله عمر بن الخطاب ، وشريك بن عمرو وضرب

بن رستم يوم القادسية بالسيف .

وردمان بن ناجية ، أنجب : قرن ، وقانية (بطنان) . منهم أويس بن عمرو بن جزء بن مالك بن عمرو بن سعد بن عصوان بن قرن بن ردمان . وعمرو بن مرة ، المحدث .

- أما سعد العشيرة بن مالك فأنجب : الحكم وبه يكنى ، والصعب ونمرة ، من أمهات شتى ، وجعفي ، وعائذ الله ، وأوس الله (هذان باليمن) ، وزيد الله ، والحر ، وانس الله ، دخلوا في أخيهم الجعفي ، وأمهم كلهم أسماء بنت أبي بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة .

ونمرة بن سعد العشيرة منه : الحدا ، وسليم (بطنان) .

وزيد الله بن سعد العشيرة منه : عامر ، وعوف ، والدئل .

والحر بن سعد العشيرة منه : الحمد ، والعدل ، (كان على شرطة تبع وهو الذي يضرب به المثل ، فيقال : «هو على يدي عدل» .

وأوس الله بن سعد العشيرة منه : أسلم ، حي باليمن .

والحكم بن سعد العشيرة منه : جشم ، وسلهم ، وأسلم . منهم : الجراح بنو عبدالله بن جعادرة ، ولي خراسان ، وكان أبو نواس الشاعر حسن بن هانىء مولى الجراح هذا .

وجعفي بن سعد العشيرة منه ، مران ، وحريم .

قال لبيد :

ولقـــــد نأت يـوم النخــــيل وقـــبلـه
مــــــــران مـن أيـامـنـا وحـــــــريم

ومنهم : قيس بن سلمة بن شراحيل ، وفد على رسول الله ﷺ ، وكان جده شراحيل كثير الغارات قتلته بنو جعدة بن كعب . وابنه اياس بن شراحيل عقد له عمر بن الخطاب على مذجح وهمدان .

والصعب بن سعد العشيرة أنجب : أود ، ومنبه (زبيد) أما أود بن الصعب فأنجب : منبه ، وكعب . فأنجب منبه بن أود : سعد ، وعوف ، وعامر (بطون) .

ومن سعد بن منبه : بنو الزعافر ، الذين منهم الفقيه المحدث الكوفي عبدالله بن ادريس ، وعمه المحدث داوود بن يزيد ، والشاعر الأفوه صلاءة بن عمرو .

وكعب بن أود أنجب : مالك ، ووهب ، وحريم ، والحارث ، وسلمة (كلهم بطون) .

منهم : القاضي عافية بن يزيد صاحب أبي حنيفة ، وجده عافية بن شداد ، قتل مع علي يوم صفين .

وأما منبه (زبيد) بن الصعب فأنجب : ربيعة ، والحارث ، فأنجب ربيعة بن زبيد : مازن ، والحارث . ومنهم : عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، الفارس المشهور ، وأخته ريحانة والدة دريد وعبدالله ابني الصمة الجشميين ، ومحمية بن جزء صحابي شهد بدرا وقد ولاه النبي ﷺ ، الأخماس والغنائم يوم بدر ، وزوج ابنته من الفضل بن العباس .

أما جلد بن مالك فأنجب : علة ، فأنجب علة : عمرو ، وحرب .

فولد حرب : منبه ويزيد . فولد منبه بن حرب بن علة ، رهاء (وهو بطن) . منهم : عمرو بن سبع الرهاوي ، وفد على رسول الله ﷺ . ومالك بن مرارة بعثه النبي ﷺ إلى اليمن .

ويزيد بن حرب بن علة أنجب : صداء (بطن ضخم) ومنبه والحارث ، والغلي ، وسنحان ، وهفان ، وشمران .

وقد تحالف هؤلاء الستة على بني أخيهم صداء ، فسموا جنبا .

منهم : معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن منبه بن يزيد بن حرب بن علة ، الذي تزوج بنت المهلهل بن ربيعة التغلبي بنجران ومهرها أدما ، فقال في ذلك أبوها :

أنكحـــــــهــــــا فـــــــقــــــدها الأراقم فـي

جـنـب وكـــــان الحـــــــبـــــــاء مـن أدم

لـو بـأبـانـين جـــــــاء يـخـطـبـــــــهـــــــا

ضــــــرج مـــــا أنـف خـــــاطـب بـدم

وقد حالف الجنب ، الستة المذكورين ، بنو عمهم سعد العشيرة ، فيما حالف صداء أخوتهم بنو الحارث بن كعب بن عمرو بن علة . (سيأتي ذكرهم) .

وعمرو بن علة بن جلد أنجب : كعب ، وعامر ، وجسر وهو النخع . فولد عامر بن عمرو ، مسلية (بطن) .

ومن بني مسلية : عامر بن اسماعيل قاتل مروان بن محمد ، وابنه يحيى بن عامر أمر المأمون بصلبه فقتل في خراسان لأنه خالفه . وكان المأمون قد أمر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة ، وكتب بذلك إلى الآفاق عام ٢٠١هـ ، ثم أمر الناس بلبس الخضرة وذلك سنة ٢٠٤هـ ثم عاد إلى السواد .

وجسر بن عمرو بن علة أنجب : مالك ، وعوف . . من بطونهم : صهبان ، ووهبيل ، وجسر وجذيمة ، وقيس ، وحارثة ، وغيرها بطون كثيرة .

ومنهم : عمرو بن زرارة بن قيس أول من خلع عثمان بالكوفة ، وابراهيم بن الأشتر واسمه مالك ، وارطأة بن كعب بن شراحيل بن النخع عقد له رسول الله ﷺ لواء شهد بن القادسية فقتل ، فأخذه أخوه دريد فقتل كذلك ، والقاضي شريك بن عبدالله والقاضي حفص بن غياث وابنه عمر بن حفص محدث ثقة ابن ثقة .

وكعب بن عمرو بن علة أنجب : الحارث ، وقد ولد الحارث ، كعب ، وربيعة .

فالحارث بن كعب منه : ربيعة ، ومالك ، ومويلك ، وهؤلاء يعرفون بأمهم عقدة ، يقال لهم بنو عقدة .

ومن بني مالك بن كعب : بنو عبد المدان ، وهم بيت مذحج ، وأخوال أبي العباس السفاح .

ـ ذرية مرة بن أدد

أنجب مرة بن أدد : رهم ، والحارث . أما رهم : فمنهم الأفعى الذي كان يتحاكم إليه بنجران .

وأما الحارث فأنجب : عدي ، ومالك .

ومالك بن الحارث أنجب : يعفر ، وعمرو . فأنجب عمرو بن مالك : فكل وهو خولان . وخولان بن عمرو بن مالك أنجب : حبيب وعمرو ، والأصهب ، وقيس ، ونبت ، وبكر ، وسعد ، (كلهم بطون) .

ومنهم أبو مسلم الخولاني واسمه عبدالله بن أيوب ، وأبو أدريس الخولاني ، والسمح بن مالك . وخولان منذ حلت في مصر والشام ذابت أنسابهم .

أما يعفر بن مالك بن الحارث فأنجب : المعافر ، وهم باليمن ثم الأندلس ومصر ، وقد تلاشت أنسابهم .

أما عدي بن الحارث بن مرة فأنجب : الحارب بن عدي وهو عاملة ، وعمرو بن عدي وهو جذام ، ومالك بن عدي وهو لخم ، وعفير بن عدي وهو والد كندة .

الحارث بن عدي بن الحارث أنجب : الزهد ، ومعاوية نسبا إلى أمهما عاملة القضاعية .

وعمرو بن عدي أنجب : حرام وجشم . ومن حرام : غطفان وأفصى وهما بطنان ضخمان .

ومالك بن عدي ، وهم لخم : جزيلة ، ونمارة . وهم رهط بني تميم الداري ، صاحب رسول الله ﷺ . وهم كذلك رهط آل منذر ملوك الحيرة الذين كان آخرهم النعمان بن المنذر . ومن بني جزيلة الصحابي حاطب أبي بلتعة .

وعفير بن عدي أنجب : ثور وهو كندة . قد أنجب كندة : معاوية ، وأشرس . أمهما رملة بنت أسد بن ربيعة بن نزار .

ومن بطون كندة : معاوية ، ووهب ، وبداء ، والرائش وهم بطون كبار .

الهوامش

(١) سورة الحجرات الآية (١٢) .

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٢٢٧ .

(٣) جمهرة أنساب العرب لأبي حزم .

(٤) الترغيب والترهيب للألباني ج٣ .

(٥) من العماليق قوم عاد .

(٦) مدينة من أقدم مدن عمان .

مصادر :

- أنساب العرب لسمير عبد الرزاق القطب .
- تاريخ دمشق لابن عساكر .
- تاريخ الطبري .
- نهاية الأرب في أنساب العرب لأحمد القلقشندي .

من دارنا تلفي القرين الشمالي

الشاعر عبدالله بن خليف - من شعراء الزلفي القديمين - يذكره كبار السن في مدينته ، إنه - رحمه الله - من ذوي الأخلاق الفاضلة والكرم والشجاعة ، ويروون عنه القصص التي تنم عن المروءة والشهامة والوفاء .

وكان لشاعرنا أربع أخوات ، الأولى والدة محمد بن حمد بودي ، والثانية (فلوة) زوجة ابن طويرش والثالثة زوجة الوايلي ، أما الرابعة فهي والدة شاعر الكويت المعروف زيد الحرب وهم جميعهم من أهل الكويت .

وبين فترة وأخرى كان عبدالله الخليف يزور الكويت من أجل رؤية اخواته والسلام عليهن . وحدث مرة أن تأخر عن موعد زيارته المعتادة فأرسل إليه محمد بن حمد البودي كتابا يسأله عن سبب تأخره ويشكو له ضيقة صدره .

فرد عبدالله الخليف بهذه القصيدة ، ردا على الكتاب ، وذكر أنه بخير وأنه (نخلة سال وما عليه حاجة) . . يقول :

أهلا عـــدد مـــا اهتـــز غـــصن ومـــا مـــال
ومـــا اهتـــز من زعج الهـــبـــايب ومـــالي
يـاللي لفـــاني يوم حـــــدر من الجـــال
واخـــتـــصني من بد ربعي وجـــالي
ســاعـــة لفـــاني طارشـــه قـــمت باعـــجـــال
فـــزيت له فـــزة شـــفـــيق لغـــالي
بذلت له نفـــسي على كل الأحـــوال
يضـــحك حـــجـــاجي له وسني وبالي
وخـــلاف ذا يا راكب فـــوق مـــهـــذال
طفق مع البـــيـــدا ترابه اجـــفـــالي
ريض قـــعـــودك يا فـــتى شـــرب فنجـــال
حـــتى نســـوي لك بيـــوت عـــدالي

اكـــــتب بيـــــوت طاريات على البـــــال
لـفظ نـظـيـف مـــــــثـل نـقـــــــد الـريالـي
والي قـــضـــينا في رجــا الله بالأكـــمـــال
من دارنـا تلـفـي (القـــــرين) الـشـــمـــالي
اهدي الجـــمـــيع تحـــيـــة لـســـقـم من عـــال
واثنـه عـلـى الـلـي جـــــاك عـنـي يـســـالـي
من ســــائـلـك عـنـي فــــأنـا عـنـه ابـا اســـال
ومن لا يـســـالـك لا يجـي لـه مـــســـالي
مـــا هـوب حـــقـــران لـهـم خـص رجـــال
(مــــحــــمـــــد) الـلـي في جـــوابـه شـكـالي
ان كــــان في حـــبـس جـــمـــعـنـا لـه المال
وان كـــان مـــا ايز المال ســـقنا الـعـــيـــالـي
ابـو حــــســـين بـاع مـــريـاه بـخـــلال
ولا نـويـة عـنـي يـقـــولـون ســــالـي
الـطـيـــر يـكـفـخ بـالجـنـاحـين ويـشـــال
ولا يمـوت بـالمـربـط إلا الـزمــــالـي
أنا أحـــمـــد الله ديرتي عـــقـب الامـــحـــال
ســـقـــاه ربي من حـــقـــوق الخــــيـــالـي
والـغـــرس في حـلـو الـنـمـــا يطرب الـبـــال
وعـــذوقـــهـن فـــوق الجـــرايد مـــدالي
وشـــــربـي قـــــراح بـارد يـنـعـش الحـــال
وفـنـجـــال أشـــقـــر مـــثـل دم الـغـــزالي
وايضـــا بمـقـــعـــاد عـن الـشـــمـس بـظـلال
تـســـوي المجـــره والحـــســـا والـعـــوالي

من حكايـات الكـرم

إن الله كـريم يحب الكرمـاء ، وأبداً لا يقل مـال الكريم إلا وقـدر الله له من أسباب الرزق . وهذا رجل من قبيلة قحطان نزل بلدة ، ولم يكن يملك من المال شيئاً ، حتى أن زوجته كانت تقضي بعض الحوائج للنساء لتوفر ما يعيشان به ، وفي إحدى المرات حل على هذا الرجل بعض جماعته ، وكانوا قادمين من بعيد . . لا يعلمون عن ظروفه شيئاً ، ولم يتوان هذا الرجل عن القيام بالواجب ، حيث قصد «جزاراً» قريباً منه فأعطاه الجزار خروفاً وأعطاه «زبيلاً» فيه قهوة وتمر وحطب وعيش ومجروش . . وقال له :

هذا الخروف اشتريته بمبلغ كذا وهو سلف الى أن يفرجها الله عليك ، أما الباقي فهو إعانة مني بلا ثمن ! وبعد أن قام هذا الرجل بواجب ضيوفه ، وكانوا في طريقهم إلى أحد الأمراء ، ألحوا عليه أن يرافقهم حتى يحصل على «العادة» وهي مبلغ من المال وسار معهم ، ولما لم يكن عنده ما يركبه ، فقد كان رديفاً لأحدهم وفي الليل أثناء مسيرهم ، سقطت منه عصاه ، وبينما هو نازل يتلمسها في الظلام . . قدر الله تعالى أن تقع يده على صرة من المال ، فأخذها واعتذر من أصحابه أنه نسي أمراً مهما ولابد أن يعود .

وبعد عودته اعطى (الجزار) حقه . . وتحسنت أحواله . .

ألم نقل . . إن الله كريم يحب الكرماء؟

***

مـــن مناقبهـم

يقول الفارس الشاعر ضيدان بن هزاع العارضي المطيري :

يا عنك مـــا فــــرعت بين اللمــــومي
ولاجـــودوا جـــيـــبي حــذفــتــه مــشـــاراه

مـــــــانيـب مـن ينـقـل لـلأقـــــــراب شـــــــومي
مـــــــانـيـب دحش طـامـــــــلاتـه حـكـايـاه

ذكر أنه لايرى نفسه على جماعته ، وأن الشجّاعة الحقيقية هي ضد الأعداء . وهكذا كانوا يرون أن من العار أن تكون «هدات» الرجل على أصحابه .

***

هذي قوم ما تعرف بيص

تعود قصة هذا المثل إلى عهد محمد بن عون الشريف عندما فكر في طريقة يحكم من خلالها سيطرته على قبائل نجد وخصوصا البوادي فأعد العدة لذلك وجهز الجيوش . وبالفعل اجتاح بعض القبائل وتجنبه البعض الآخر ، إلى أن انتهى به المطاف عند (عبدة) من قبيلة شمر من نواحي حائل ويروى أن حصاره لهم استمر ٩٠ ليلة . وصلت إليهم في تلك الأثناء نجدة من زوبع (زوبع تمثل سنجارة والخرصة من شمر ولا تطلق على العموم ، مثلما (السناعيس) تطلق على عبدة . وبالطبع تساءل عبدة عن الفائدة من هذه النجدات ، فقال أحد كبار السن ، اكثروا الأكل لهم ، فإن أكلوا لا خير منهم ، وإن رفضوا الأكل فهم (طنايا) – تعني الغضب والزعل – وبالفعل رفضوا تناول الطعام ومنها جاء لقب الطنايا . أما (بيص) فهو من أكثر فرسان الشريف شجاعة ، وعادة الشريف إذا اشتد القتال وخشي تفوق الطرف الآخر (ينخي) بيص ، ودائما ما يكون بيص عند حسن الظن به لشجاعته النادرة . وفي احدى المرات اشتد هول القتال فذعر الشريف ونادى بيص (نخاه) فتصدى له عدامه بن معيجل بن ضرغام العجرش – من الثابت من سنجارة – فأعطب يده اليسرى ، وبعد قليل استنجد به الشريف ، فرجع رغم اصابته ، فأعطب العجرش يده اليمنى ، واستنجد الشريف به مرة ثالثة قائلا : (الخيل يا بيص) ، فقال بيص : (هذي قوم ما تعرف بيص) . فذهبت مثلا بين الناس حتى يومنا هذا دليل على الفوضى وعدم التفاهم .

عاش الفارس والشاعر جرمان راعي النحيا - من الحبيش من قبيلة العجمان - في أواخر القرن الثاني عشر الهجري ، وكان مع قومه (آل حبيش) حيث موطنهم في نجران ، وهم رغم قلة عددهم إلا أن لهم غزوات بلغت أواسط نجد ، وكانت القبائل النجدية في ذلك الزمن ترى أن (آل حبيش) من أشرس وأجسر القبائل من خارج نجد أثناء القتال .

وقد تطرقت العديد من القصائد إلى أفعال ومواقف ومكارم هذه القبيلة ، حيث قال الشاعر ماجد الحثربي :

اليـــا جـــفـــوني لابتي وين أبا شـــوم
بازين على آل حـــبـــيش والا العـــمـــارات
الحـــر مـــا ياقع على مـــاقع البـــوم
مـــا ياقع إلا فـالجـــبـــال المنيـــفـــات

وآل حبيش جماعة جرمان من قبيلة العجمان ، والعمارات من قبيلة عنزة .

وقال فيهم منوخ المتلقم :

أبذكـــر الله . . واذكـــر آل حـــبـــيش
اللـي ركـــوهم لين كلٍ قـــام

وقال ابن سهيه :

من قـــبلش آل حـــبـــيش يا عين فـأصـــبـــري
أهـل مـــزاريـج ، وريـش نـعـــام
ومن قـــبلش آل حـــبـــيش يا عين فـاصـــبـــري
يبكون جـــريس وحـــامي الجـــاذيات حـــزام

وقال شاعر من قحطان :

الطيـــر يا بن ســـويد مـــا ذاق مطعـــوم
قـــد له ثلاث وجـــاب مـــا ذاق عـــيـــشـــه

ليتــــه مع آل حـــبـــيش ذباحـــة الكوم

لـو ان طيـــــــري عـنـدهـم صـف ريشــــــه

وهؤلاء هم قوم جرمان راعي النحيا .

● **من أين جاء اللقب:**

- عرف الفارس والشاعر جرمان راعي النحيا بهذا الاسم ، إلا أن (راعي النحيا) لقب حاز عليه بفضل شجاعته ، والأصل في التسمية أن جرمان لفرط شجاعته وحميته ، كانت خيل قومه إذا ولت مدبرة مع أرض منخفضة ، فإنه يثني حصانه في وجه الأعداء ويرجع مستقبلاً الخيل المغيرة بجسارة فائقة . ولذلك سمي جرمان راعي النحيا .

● **اشربوا القهوة أولا:**

- يروى عن (جرمان) أنه كان يُعد القهوة لجماعته في يوم من الأيام ، وفي تلك الأثناء جاء الراعي يخبرهم أن قوماً أغاروا على الإبل وأخذوها ، فقام رجال قومه يريدون اللحاق بالغزاة وتخليص الإبل منهم ، إلا أن (جرمان) لثقته بشجاعته أقسم على جماعته ألا يغادر أحد منهم حتى الانتهاء من شرب القهوة ، متعللا بأن القهوة بدأت تفوح وأنه على وشك الانتهاء من تحضيرها . وبعد أن تناولوا القهوة لحقوا بالإبل واسترجعوها .

وهذه الحادثة تروى أنها لغيره ، ولكن من الجائز أن تتشابه الحكايات إلا أن المؤكد أن هذه القصة حدثت لجرمان راعي النحيا .

● **أي الوالدين أطيب؟**

- المعروف أن (جرمان) لم ينجب ذكوراً ، وكانت ابنته (جبله) ذات يوم تجلس مع بنات آل حبيش ، فتطرقن في أحاديثهن إلى المواقف والبطولات وأخذت كل واحدة تعدد بطولات والدها ، فقالت ابنة جرمان :

- إن والدي هو أشهر فرسان العجمان .

فردت عليها ابنة جريس بن جلبان :

- لو كان والدك كذلك لأصبح شيخا للقبيلة ، ولكن أشهر فرسان العجمان شجاعة هو والدي ، وبذلك أصبح شيخ القبيلة .

وفي ذلك الوقت كان جريس بن جلبان شيخ العجمان .

وقد قامت ابنة (جرمان) غاضبة تبلغ والدها بما حصل ، فقال لها :

- «يا بنتي ما لقيتي تمارين إلا بنت جريس؟ . . نعم جريس أشجع مني ، وهو شيخ القبيلة» .

فأخذت البنت تبكي . . وقال هذه القصيدة إرضاء لها :

أنا بيش يا (جـبله) تعـرف مـواقـفي
أنا بيش حـامي حـدها من حـدودها
أنا بيش يا (جـبلـه) زيـزوم سـربه
أضـرب بهـا حـمـر المنايا وسـودها
وأنا بيش يا (جـبله) الى صـاح صـايح
مـذلقـات الهند أروي حـدودها
وأنا بيش يا (جـبلـه) الى من تسندوا
أحـمي عـقـاب الخـيل لاحت سنودها
وأنا بيش مـا آكل زاد مـا دعـيت له
ولا أمضي بدين هايبـينهـا شـهـودها
وأنا بيش لا من جـتنا الأجنبـيـة
تروح منا مـا بحـشنا سـدودها
وأنا بيش مـا عـسـيت ليل قـصـيـرتي
ولا شـقت ذلولي تبـاري قـعـودها
وأنا بيش يا (جـبلـه) ذباح حـايل
لاعلقت مـا يحـتـملهـا عـمـودها
هذي عـذاريبي ، وهذي وصـايفي
ونفس الفـتى لابد له من لحـودها

لاشك بنت جـــــريس مـــــا هيـب كـــــاذبه
فـــضـــايله مـــا تنحـــصى في عـــدودها

جـــريس شـــيخٍ للقـــبـيلة جـــمـــيـعـــهـــا
وعـــنهـــا ثـقـــيـــلات المنايا يذودها

جـــــريس مـــــثل البـــــدر في ليلة الدجى
كـــــريم ســـــبـــــلا في ليـــــالي نكـودها

جـــريس مـــثل الغـــيث يســـقي مـــا وطا
يروي صـلـب الحـــــد وتّا نـفـــــودها

جـــريس لا ثقلت حـــمـــوله يشـــيلهـــهـــا
ويعـــفي زمـــول مـــتـــعـــبـــتـــهـــا لهـــودها

هذه لمحات موجزة من حياة وشعر الفارس جرمان راعي النحيا ، وقد عاش هذا الفارس حياة حافلة بالمواقف والبطولات ، ولا يمكن أن نحصي الأحداث التي عاشها في عدد واحد . . إلا أننا نعد بالوقوف عند مواقفه مستقبلا حين نجد ما هو جدير بالتدوين سواء عن هذا الفارس أو عن غيره من فرسان وشخصيات البادية .

* مصدر المعلومات : الأخ الكريم عبدالله السبوق العجمي .

***

نحر ذلوله.. من أجل جماعته

كان عقتيل العركي - من الجنده من عبده من قبيلة شمر - في غزو مع جماعته ، فنفد طعامهم وأوشكوا على الهلاك ، فقد بقوا اثني عشر يوما على هذا الحال لدرجة أن بعضهم كان يحزم بعضا على المطية خشية أن يقع على الأرض من شدة الجوع . فلما رأى عقتيل ما حل بجماعته عمد إلى نحر ذلوله عشاء لهم ، فلامه بنو أخيه على ذلك ، فأقسم ألا يأكل منها شيئا خشية أن يقال إنما ذبحها لأجل نفسه وكان أشدهم جوعا . وظل عقتيل يتغذى على ما يصطاد له من جرابيع إلى أن وصل لبلاده .

ابـن للبحـــر وابـــن للصحـــراء

ما أشـد أحزان هذه المرأة ، وما أعظم حسرتها ، بكت مرتين كأنما فاقت إحداهما الأخرى لوعة وكمداً .

موضي العبيدي . . شاعرة الكويت التي عاشت في النصف الثاني من القرن الماضي والنصف الأول من القرن الحالي ، في زمن الشيخ مبارك الكبير ، وحياة هذه الشاعرة عبارة عن بؤس وحزن دائم ، بسبب فقدها ابنيها واحد أخذه البحر والثاني تكفلت به الصحراء ، فبقى لها ثوب المأساة الأسود .

ابنها الأكبر - عبد العزيز - فقد في رحلة الغوص ، حين غرق في قاع البحر ، أثناء بحثه عن اللؤلؤ ، وعندما عاد رفاقه ، كانت تقف على الشاطىء مع جمهور غفير من الأهالي وأقارب البحارة . . وهي كغيرها تكاد تطير شوقا لرؤية ابنها ، وكانت تبحث عنه بنظراتها بينما من حولها تعانق الأمهات أبناءهن العائدين . . ولم يطل الانتظار فقد رأت النوخذة - يوسف الفهد - ولم تكد تسأله حتى بادرها أحد البحارة بالخبر المحزن وأعطاها ثياب ابنها ، فكانت الفاجعة ، وتذكرت خوفها عندما ذهبت إلى بيت النوخذة تتوسل ألا يأخذ ابنها معه في تلك الرحلة المشؤومة . . وقالت ترثي ابنها :

يابو سـعـد عـزى لمن ضـاعت أرياه
قلبـه حـزين ودمع عـينه يهلي
يسهـر طوال الليل والنوم ما جـاه
في مـرقـده كنه بناره يملي
على وليف عـذب الحـال فـرقـاه
الطيب اللي للرفـاقـة يهلي
مـدري دراديـر أزرق المـوج ودّاه
وإلا كـلاه الحـوت . . يا كـبـر غلي

يا ليتني دميت بالهير ويّاه
موج البحر فوقي وفوقه يزلي
الله يسود وجه يوسف وجزواه
ما ذكر دمعي وسط حوشه يهلي ؟
جتني هدومه بعد عينه مطواه
لا وفق الله محمل جابهن لي
ليته ورا سيلان والهند مرباه
وأرجي يجيبه لي شراع معلي
البندق اللي عندنا له مخباه
نقالها عقبه لعله يولي
وصلاة ربي عد ما حل طرياه
وأعداد ما سار القلم بالسجلي

ويلاحظ حرقة فؤاد الأم ، ومدى صدق العاطفة في أشعار المرأة ، بالذات في الرثاء .

ولكن الحزن هو قدر - موضي العبيدي - فما كادت تخمد نار الأحزان وتندمل جراحها ، حتى كان القدر أكثر قسوة هذه المرة ، فلم تلبث خمس سنوات إلا وحدثت معركة الصريف .

وكان ابنها الثاني مع الشيخ مبارك في هذه الحرب ، وكانت تنتظر رجوع الابن ، لكن قرينيس - أحد خدام الشيخ مبارك - كان أول العائدين ، حيث نقل لها خبر مقتل ابنها ، فاشتعلت النار في صدرها مرة أخرى فرثته بهذه القصيدة :

قلت آه من علم لفابه قرينيس
ياليت منهو ميت ما درا به
علم لفا به مرس القلب تمريس
والنار عجت في الضمير التهابه

والنوم له عن جفن عيني مراويس
والحنظل المذيوق زاده شرابه
على الله اللي من على ضمر العيس
واليوم ما ادري وين خب لفابه
نصيت بيته قلت له يا قرينيس
وين الحبيب؟ . . وقال : ما علمنا به
اقفى مع البيرق بحرب السناعيس
وان سئل به والى المقادير جابه
رديت من كثر البكاء والهواجيس
دمعي كما وبل نشأ من سحابه
يا الله يا فكاك حبل المحابيس
تفك لي (محمد) من صوابه
بجاه محمد ويعقوب وادريس
عسى طلبتي عند ربي مجابه
واعداد ما هبت هبوب النسانيس
على النبي صليت هو والصحابه

***

يا دار... يا دار الخطا وين أبو ذيب؟!

إن للجيرة حقوقاً وواجبات يحرص عليها أهل البادية حرصا شديداً لما تمثله من قيمة يفاخر بها البدوي .

هذا عياد الخمعلي - من قبيلة عنزة - عرف عنه طيب الأخلاق وحسن الجوار ، وقد جاوره ابو ذيب الشمري ، ونشأت بينهما صداقة حميمة ومودة .

وكانا يتبادلان المواقف الطيبة وكل منهما يحرص على ارضاء صاحبه . .

وحدث أن ابل الشمري أصيبت بداء الجرب ، وهو داء معد يخشاه أهل البادية حيث ينتقل إلى مواشيهم ويكون سبب فنائها وهي مصدر الرزق في ذلك الوقت .

فطلب أبو ذيب أن يأذن له عياد بالرحيل إلى جماعته ، حتى يساعدوه على طلائها عن الجرب . وايضا حتى لا تنتقل العدوى إلى قطيع الأغنام الذي يملكه عياد .

فرفض عياد رفضا قاطعا ، وابدى استعداده لبيع أغنامه كلها في سبيل معالجة ابل جاره ، ولكن لا يمكن أن يسمح بحدوث الفراق بينهما لهذا السبب .

وظل أبوذيب يحاول اقناعه ، إلى أن استقر الرأي أن يذهب ابوذيب لوحده فيخبر جماعته .

ولما أخبر ابوذيب جماعته ، وقص عليهم الحكاية ، عذلوه ورفضوا أن يرهق جاره بالطلاء ولوازمه ، فقال لهم : أنه لا يمكن المغادرة إلا بإذن من جاره عياد وبرضاه . فتوجه نفر منهم إلى عياد وشكروه على موقفه وطلبوا منه السماح بمغادرة جاره ، فقال لهم : لا احتمل رؤية البيت وهو يسقط ولكن دعوني أتوارى في مكان بعيد وافعلوا ما بدا لكم .

ولما أتموا الغرض الذي جاؤوا من أجله ، وجاء عياد الخمعلي فوجد مكان جاره خاليا ، هاضت قريحته وتذكر جيرة صديقه والمحبة والعشرة بينهما . . فقال :

قاد النشير وقمت أميز أعرابه
ونتابعن بالصدر مثل الدواليب
تصافقن بالصدر من حر ما به
وردن كما ورد القطا باللواهيب
يا عمر رقي الرجم ما فيه ثابه
والولف يخلج بالحزم شمّخ النيب

من شـــوفـــتي لـلدار ينعق غـــرابه

مـــا بقي إلا مـــوقـــد النار وحطيب

يا دار . . يا دار الخطا والخـــيـــابه

يا مـــاقع الحـــقـــران والمكر والعـــيب

طشـــبـــتي الخـــلان طش الكعـــابه

يـــا دار . . يـــا دار الخـــطـــا ويـــن ابـــو ذيـــب؟!

والله يا لولا الخـــوف وأدرا العـــتـــابه

لا اتبع مظاهيـــره على الكره والطيب

والله يا لولا اللي بمحكم كـــتـــابه

لا أصـــبح من بين العـــرب واشلق الجـــيب

من خلقت الدنيـــا ودور الصـــحـــابه

وتركـــيـــبـــة السنة على نوح وشـــعـــيب

ومن خلق ضلعـــانه وبشت ترابه

مـــا تاتي الرفـــقـــه بخـــرط وتلعـــيب

الا بشـــيـــمـــان العـــرب والحـــبـــابه

ورخص الحـــلال بحـــزته والمواجـــيب

والى حـــصل مس الرشـــا واكـــتـــرابه

لا اقـــفـــيت واســـتـــسلمت نفـــسك عنه عـــيب

قلتـــه على مـــا قـــال مـــتـــعب ركـــابه

رأيه يحل مـــحكمـــات اللواليب(١)

---

(١) يقصد في بيته الأخير ما قاله الأمير عبيد العلي الرشيد :

عـــيب على اللي ينثني عـــقب مـــا بان

وعـــيب طمـــان النفس عـــقب ارتفـــاعـــه

إخوة أربعة.. العشق قاتلهم

قصص العشق والغرام عادة ما تكون أكثر شيوعاً عند أهل البادية ، ويتم تداولها في منتدياتهم وفي ليالي السمر حول القهوة .

وأحيانا تبلغ هذه القصص حداً من الغرابة لا يمكن تصديقه لولا وجود القصائد التي تثبت ما يروى من أحداث .

ومن أكثر القصص غرابة ، ما يروى عن أربعة أخوة من (الجلاعيد) من قبيلة عنزة ، فقد قيل إن أحدهم إذا ما بلغ مبلغ الرجال ، فإنه يتولع بالعشق ، ويكون العشق سبباً في موته ، وهذا أحدهم يشكو ما أصابه على أحد أخوته يقول :

يا علي حط القبر بين البلادين
في مدهل البطحا جنوب من القاع
حط النصايب يا علي وقم باعين
بهني المهل يا خوي وان زدت بذراع
ورز النصايب صوب مريوشة العين
هبايب الصلفات تقرع به اقراع
والى دفنتوني ورحتوا مقفين
يا علي حطوالي مع القبر مطلاع
وجدي عليها وجد راعي قليبين
متجرحٍ من كثر حفره من القاع
جاه البرد ترمي سواة المحاقين
خلاً البرد بالزرع يومين ما ماع
وساقوا سوانيهم وراحوا مقفين
لا حوشوا مدٍ ولا حوشوا صاع
أو . . وجد راعي هجمة وسِّرها زين
ترعى طرات القَفر ياوي مرباع

شـــافـــوا بوسط القـــفـــر قـــوم منيـــخين
مـــتـــغـــتـــرين عن شـــبـــوحٍ وطلاع
عـــزل كـــمين القـــوم . . جـــوها مـــغـــيـــرين
ولحق على صـــفـــرا من النزل فـــراع
أفلس روبعـــيـــهـــا وصـــفق بكفين
نحـــوه عنهـــا مـــا بقي حـــاشيٍ ضـــاع
وردوا عليـــه . . وردة القـــوم شـــينين
تقـــاطعـــوه بكل شلفـــا ولماع

ويلاحظ القارىء مدى الوجد في هذه القصيدة وصدق العاطفة .

وقيل إن هذا الفتى توفي على أثر هذه القصيدة ، ولحق به أخوه «علي» بعد فترة ، حينما أصابته سهام العشق أيضاً . ولم يمض وقت طويل حتى لحق بهما أخوهما الثالث الذي تولع بالعشق فاعتل به وأنهك جسده وقضى نحبه .

ولم يبق للأم المسكينة ، سوى الابن الصغير «راشد» وهي ترى فقدان أبنائها واحداً تلو الآخر ، من هول الصدمة عند وفاة الابن الثالث وعظم المصيبة لم تدر ماذا تفعل سوى أن تهرب بهذا الابن إلى الصحراء ، فلم يبق لها سواه ، ولا تريد أن تفقده هو الآخر ، لعله لا يرى في الصحراء نساء فيتعلق قلبه ويكون في ذلك موته .

وفيما هي هائمة على وجهها لا تدري إلى أين تتجه؟ . . صادفها في الطريق عابر سبيل ، هو «ابن نقا» من الرولة ، من قبيلتها عنزة ، فاستفسر منها عن حالها ، فأخبرته بأحزانها ، وأخذت تحكي له قصة أبنائها ، وخشيتها أن تفقد هذا الولد الذي لم يبق لها سواه .

فرق الرجل لحالها ، وأخذ يهدىء من روعها ، وأقنعها أن تعود إلى العرب وتترك الولد معه وسوف يرعاه ويهتم به ولا يدعه يغيب عن ناظره حتى لا يتعرض إلى ما تعرض إليه أخوته .

واقتنعت المرأة برأي هذا الرجل الشهم ، وقالت له : «إن راشد وداعة الله ثم وداعتك . . لا تدعه يقترب من النساء ، وهو في رفقتك حتى يكبر ويتزوج ، لعل الله يكتب له طول العمر ، ويعود لنا بإذن الله» .

وعادت المرأة إلى العرب ، ومضى الرجل بالولد ، وقد أحسن اكرامه ، وكان يلازمه في الليل والنهار ، حيث يقضيان النهار بالصيد والقنص وفي الليل يتسامران حول القهوة ، ولا يجعله يرى أحدا من النساء ، ومرت الأيام على أحسن ما يكون .

إلى أن جاء يوم ، كان هناك جماعة ينوون الرحيل من مكان على مقربة من منازل «ابن نقا» . . حيث توجه قاصداً وداعهم بعد أن أوصى أهل بيته بأن لا يقترب أحد من الفتى «راشد» .

لكنه ما أن ابتعد ، إلا والنساء بدافع من الفضول - ربما - يأتين عند الولد ، ويبدأن يمازحنه ويداعبنه ، فكانت المرة الأولى التي يرى فيها النساء ويبهره الجمال ، فحل به ما حل على أخوته من قبله ، وتمثل بهذه القصيدة التي لم يعش بعدها إلا أياماً قليلة لتوافيه المنية . . يقول :

يقول راشد من غرايب لحوني
مشايل قلبي عطاهن لساني
أوجس بنوني مثل شوك الفنوني
بين المرامش جفن نوني كواني
ياطي قلبي طي بالي الشنوني
بالي الشنون اللي طواها طواني
ويا لوع قلبي لوع لدن الغصوني
لحاه هيف في ليالي الصخاني
وياحن قلبي حن خلج بكوني
وياجر قلبي جر غرب السواني

على الذي في حبهم ولعوني
أبي السلامة والله اللي رماني
تحيلوا بي بالهوى وطرحوني
منهم حبيب بالمودة لحاني
لحسان . . وأرث في ضميري طعوني
مكن صوابي والله المستعاني
من مازح الخفرات تجل العيوني
غر الجباه مفلجات الثماني
ومن لا يعنه ناقضات القروني
يبيع روحه بالفنا والهواني
إلى مت في رأس الطويل دفنوني
حطوا برأس مصودعه لي مكاني
مستبين لأهل النضا يذكروني
قالوا القينا بالمرفع مباني
ولازم إلى جوكم هلي ينشدوني
قولوا خفى ما واجهه مودماني
أخاف أنا بنياحهم يزعجوني
بأصواتهم لي بالخفا والبياني
يابن نقا لا تقبل العذر دوني
حيثك وصي ورام بي من رماني!
بمصقل حده يقص المتوني
شنع صوابه شذرته ما تداني
ربعك هل العليا حماة الظعوني
فوق النضا ومعالجات العناني

وابي احـلـف يـوم هـم واجـــــــهـــــــوني

غـــيـــر العـنـا من شـــوفــــهـم مــــا وزاني

وكما يلاحظ القارىء ، فالقصيدة مؤثرة ومحزنة تبين مدى العشق الذي تمكن من الفتى فأودى به . وقد طلب من «ابن نقا» في آخر القصيدة أن يأخذ بثأره ممن سبب موته ، إلا أنه رغم معرفته بقرب نهايته لم ينحرف عن أخلاقيات أبناء البادية حيث أقسم أن ذلك اللقاء مع النساء لم ينل منه سوى العناء ، فلم يمسسهن بسوء أبداً .

قيل أن «ابن نقا» عندما تحقق من الخبر ، وعرف ما حصل ، نفذ وصية الفتى حسب عادات أهل البادية ، وقتل من النساء من كانت السبب .

***

يا عقاب عقب الإبل

هذه أبيات عبد الشيخ عقاب بن عجل من شيوخ عبده من قبيلة شمر ، عندما باع عمه الإبل واستقروا بالجزيرة .قالها وقد اشتاق إلى حياة البادية ورؤية بيوت الشعر والطرش :

يا عـــقـــاب عـــقـب البل خــــرابيط وعـلوم

يابو جـــهـــز لا تعـــيــر فكرك لغــــيــــره

امـــــــا انت والا عـــــافت خـلـوا الـدوم

واتبع هـوى العليــــا ولعــــبـــه وظيــــره

مـــا شـــفـت ســـعـــدون سنة هجـــمـــة الروم

لولا نيـــاقــــه مــــا ســـعـت له بخـــيـــره

ارسـل عـلى الـدفــــرات مـن كـنـس كــــوم

وشـــالوا على حـــيـل ســـمـــان ظهـــيــره

اقـــفى كــــمــــا طيـــر نهج يدرج الحـــوم

من فـــوق نوق عـــين خـــمس ســـيـــره

السعيدي.. والعارفة ابنُ ثعلي

كان عند أهل البادية قضاة يلجأون إليهم عند حدوث مشكلات للتحاكم بينهم ، وهؤلاء القضاة يطلق عليهم اسم (العوارف) ومفردها عارفة ، أي القاضي العرفي في البادية وحكمه غير مطابق للشريعة الإسلامية لذلك - ربما - يسمونه أيضا الطاغوت .

وهؤلاء العوارف . . إذا ما استعرضنا قضايا قاموا بحلها والحكم فيها نجد أنهم يمتازون بالعدل والإنصاف والذكاء النادر واعطاء كل ذي حق حقه سواء كان بعيدا أم قريبا في النسب منهم .

ومن أخبار هؤلاء العوارف . . أن رجلا يقال له السعيدي وهو من العضيان من قبيلة عتيبة ، كان في عنفوان رجولته كثير الغزوات ومشهورا بالشجاعة ، فلما تقدم في السن حتى لم يعد يقدر على حمل نفسه ، جلس مع النساء ، فلا يلقين له بالا ولم تكن له هيبة عندهن .

وقد قال يصف حاله بهذه القصيدة الرائعة :

يقول السعيدي والذي زاد همه
رقاد الضحى عقب ارتحال النجايب

غديت جليس للنساء ما تهابني
وأنا أشوف في غراتهن العجايب

يشيلونني من فية صوب فية
من عقب برد ظهور هجن دوارب

ما عاد أراجي قرعة الطار ليله
على عرس عموج طويل الذوايب

ولا عاد أراجي سجة الهجن بالخلا
على طمع وأنا عقيد الركايب

قــــــالـوا لـي الأنـذال شــــــــراية الـردا
وراك مــــــــا تـبطـي بنـا بـالمغــــــــايب

وقـــــعـــــدت بهم بـالبـــــر تســـــعين لـيلـه
أقــــودهم قــــود الجـــمــــال الجـــــلايب

يوم إن شـــــبــــان تـهـــــزوا بفـــــاطري
يقــــولـون لي فـــاطر وراعـــيك شـــــايب

كـــم عـــلــقــت بــالـــدو مـــن قـــش بـكـــره
وكم جـــاب رأسي من مـــغـــيب لغـــــايب

وكم مـن هـنوف بجـــحـــــة في حليلهـــــا
وهـو عـنـدهـا راعـي حكـايـا عـــــجــــايب

يقــــول مـــا بالـربـع مـــثلي ونظوتي
وهـو خـــــابـر إنـه يـعـلـم اللـه كـــــاذب

ذلولـه مــــا يـروي عليـــــهــــا الربعــــه
وهـو أول مــــصــــبــــوب لـه المـا وشـــــارب

بعـــــيـــــد من الطاهي قـــريب مـن الغـــدا
كـــبــــيــــر المدحّـــا في مناخ الركـــــايب

وكان لهذا «الشايب» أبناء بارّون بـه ، حريصون على راحته ، وكانوا عند غيابهم قد أوصوا اختهم بأن لا تتركه لحظة ، حيث تقوم بخدمته . فكانت ابنته هذه تحمله على أكتافها إذا أراد انتقالا من مكان إلى آخر أو بدت له حاجة ، ثم تعود به إلى مكان جلوسه .

وفي أحد الأيام ، بعد مطر شديد ، سالت أرضهم وامتلأت بالغدران ، فجاءت احدى فتيات الحي تطلب من الابنة أن ترافقها لتستحما في الغدير ، فاعتذرت البنت لعدم استطاعتها ترك والدها لوحده .

فأشارت عليها الفتاة أن تحمله معها ، ليمتع ناظره برؤية الغدران ويكون قريبا

منهن . . فأخذت البنت بهذا الرأي .

فلما رآهما «الشايب» تستحمان تحركت همته للنساء ، وقد وقع في قلبه غرام هذه الفتاة ، فأصر على الزواج منها .

ولشدة بر أبنائه به ، واحسانهم إليه فقد ألحوا على أبناء عمومتهم بالموافقة على زواج والدهم من هذه الفتاة . . حتى وإن كان الزواج ليلة واحدة!

فكانت الموافقة بعد عناء شديد لكبر الرجل وصغر سن الفتاة ، ولكنهم رضخوا في آخر الأمر ، بعد أن طلبوا من ضمن المهر فرسا أصيلة من سلالة كحيلة تساوي قيمتها أربعين ناقة .

فلما دخل «الشايب» على الفتاة ، وبينما هو معها قدر الله أن يتوفى ، فما كان من الفتاة إلا أن صاحت للنساء ، وهما على حالهما هذه ، لترى النساء أن وفاته قضاء وقدر من الله تعالى .

فتزوجت الفتاة من بعده وأنجبت ولدا ، فلما صار طفلا يلعب مع الصبية ، شعر أبناء السعيدي بميل وانجذاب لهذا الصبي ، فكلما تحدث أو انفعل لشيء ما ، يشعرون بشيء ما يربطهم به ، فوقع في أنفسهم أنه أخوهم ، بينما اعترض الناس على مجرد مثل هذا التفكير ، لأن «الشايب» طاعن في السن ومات ضعيفا لا يقوى على شيء .

وفي مثل هذه الأمور ، وحيث تحدث خلافات كهذه ، فإن الفيصل فيها هم العوارف ، قضاة البادية ، حيث اتفق أحد أبناء السعيدي مع والد الفتى أن يتخاصما عند عارفة .

فوقع اختيارهم على العارفة ابن ثعلي ، عارفة قبيلة عتيبة المشهور ، فألفياه . . ابن السعيدي من جهة مدعي ، والولد وأبوه من جهة مقابلة مدعى عليه ، يتخاصمان في نسب الولد . . وكانت ابنة ابن ثعلي مع الغنم بعيدة عن والدها .

فلما سمع ابن ثعلي القصة ، قال لهم ، وكأنه لا يقصد الفصل في

حكايتهم : أريد واحدا منكم يعدو على الغنم ، فيختطف لنا شاة واحدة دون أن تشعر به البنت! فقال الولد : أنا سأقوم بذلك . فذهب يتخفى كأنه الذئب ، ويراقب البنت عن بعد حتى لا تراه ، فلما حانت الفرصة ، اختطف شاة وحملها على كتفه دون أن تشعر به البنت ، وفي هروبه تعمد أن لا يطأ إلا على حصاة حتى لا يبدو له أثر . فكانت الشاة عشاء ابن ثعلي لضيوفه .

ولما عادت البنت بالغنم عند المساء ، وهي لا تعلم أن عند والدها ضيوفا ، أخبرت والدها بفقدها للشاة .

فقال والدها : مؤكد أن الشاة ليس بمقدورها أن تطير ، فهل رأيت أثر ذئب أو غيره .

قالت : لم أجد سوى أثر نصف قدم لإنسان بين صخرتين .

فقال : من تعتقدين أن يكون؟

فقالت : أظنه الولد البتر ، عصارة عود قد فتر ، من بنت بكر!

لاحظوا نباهة البنت وذكاءها ، فهي تقصد بالولد البتر أي القصير المتين ، وقولها عود قد فتر أي شيخ طاعن في السن قد ضعف .

فأسر والدها قولها في نفسه ولم يخبر به ضيوفه ، إلا أنه أخذ به وأراد فقط أن يتثبت منه .

فلما اجتمعوا عنده للفصل في قضيتهم ، قال لهم : إنما تسألوني عن الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه ، وأرى أن في الأمر فتنة سوف تكون بينكم ، والحل عندي أن أقسم الصبي بينكم لتموت الفتنة!

فقالوا : إن هذا صبي ، وليس ذبيحة نقتسمها ، فأعطنا حكما غيره .

فقال بحزم وجدية : أنا لم أطلب منكم المجيء عندي للتحاكم ، بل جئتم أنتم باختياركم ، والآن لابد أن أنفذ الحكم الذي حكمت به ، وسأطلب من جماعتي مساعدتي لتنفيذ الحكم بالقوة! . . وسأقطع الصبي وأعطي كل واحد منكم يدا منه .

فكان كلما رفع السيف ليقطع يد الصبي ، صاح ابن السعيدي ووقع على الصبي . . يحول بينه وبين السيف! . . وابن ثعلي يحذره من فعله هذا وإلا سوف يضربه بالسيف إن عاد لفعله مرة ثانية .

لكن الفعل هذا تكرر من ابن السعيدي كلما أراد العارفة ابن ثعلي أن يضرب يد الصبي ، فلما رأى اصراره على تخليص الصبي حكم بأنه أخوه .

***

نقلك علي من كبار البلاوي

من المحاورات التي لا تخلو من الطرافة بين الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله - ونافع بن فضلّية ، وكانا في مقناص ، فقد طلب الملك عبد العزيز من نافع أن يأخذ معه طير قنص فقال نافع : لا أعرف القنص بالطيور . وكان نافع قد اشترى نخلا من ابن عرفج بالخرج والملك قد نهاه عن ذلك . . فقال :

اوي والله منزل يا بو نواف
لو الاهل عندي بهاك المطاوي

فرد عليه الملك عبد العزيز :

اخذك ابن عرفج وخلاك طواف
خلاك عندي مثل وجه الضراوي

فقال نافع :

في ضف ابو تركي ولاني بخواف
خوي اخو نورة ربيع الفداوي

فقال الملك :

لا عاد لا تصقر ولانت بشواف
نقلك عليه من كبار البلاوي

هل يقتل بيت من الشعر صاحبه؟!

هل يموت الرجل من أجل قصيدة؟!

السؤال الأول كلنا يعرف قصته واجابته أيضا، فقد راح ضحيته (المتنبي).. عندما كمن له مجموعة من قطاع الطرق بينهم عدو له.. وقد لكز حصانه طالبا الفرار لولا أن خادما له صاح به:

ألست أنت القائل:

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

هنا.. قال المتنبي قولته المشهورة: قتلتني قتلك الله. وعاد ليلقى حتفه.

وفي الأدب الشعبي.. نجد أن شاعرة تدعى «وحيشة المشلحية» تقطن هي وأهلها حول أحد موارد الماء وهذا المورد يخص الشيخ فايز بن هذيل - شيخ العمود من قبيلة شمر - الذي نزح بجماعته، حتى استقر بأرض تسمى (نقرة أيوب) وهي على مشارف الشام.

وبعد رحيله طمعت القبائل الأخرى بهذا المورد.. وأخذوا يزاحمون قبيلة هذه الشاعرة على مورد الماء حتى أحست بالغبن ولم تجد إلا أن تبعث بقصيدة إلى الشيخ فايز بن هذيل تستنجد به.. تقول:

قالت وحيشة يا ملاليه ماشيب
غرس الجدود اللي غدا وقت الأفلاح

يا غيبة ابن هذيل يا غيبة الذيب
شفنا النكاير والنكد عقب ما راح

يا راكب حمرا نجيبه تحاضيب
تجدع يديها بالخلا تقل زناح

حـمـرا همـيـمـه من خـيـار المناجـيـب
اكـوارهـا عـن لمسـة الـزور طـفـاح
حـمـرا الى نيـشـت بـروس العـراقـيـب
اسـرع من الشـيـهـان لا شـاف ملـواح
ركـابهـا من عـزوني منقـع الطيـب
ضـد الحـريـب ان صـاح بالنزل صـيـاح
واربـع لـيـال صـدق مـا هـن تكـاذيـب
تلفـا عـلى «ابن هـذيـل» كـسـاب الأمـداح
قـل ديرتـك (سـقـف) ولـتـهـا الأجـانيـب
روح عـليـهـا من الشـعـب كـل مـصـلاح
وتـنـخـاك ديم يـا ذعـار الأجـانيـب
يـا عـين قـنـاص عـلى مـذلـفـة راح
جـانـا ظـعـنـهـم مـع دبشـهـم جـناديـب
وصـار الخـطـر منـهـم عـلـيـنـا بـالارواح
عـجّـل عـلـيـنـا يـا حـصـان الاطـالـيـب
لك هـده تـاخـذ مع الخـيـل مـصـلاح

عندما وصلت هذه القصيدة إلى الشيخ فايز بن هذيل وكان يتوسط مجلسه بحضور عدد من أبناء قومه ، أطرق بعيدا وهو يفكر بالمسافة التي تحول بينه وبين المرأة التي استنجدت به والتي لا يمكن أن يقطعها في يوم واحد!

ثم التفت إلى من حوله متسائلا :

وش هقـوتك مـداد مـن (نقـرة أيوب)
العـصـر مـا يمسي حـوالي (الغـزالة)؟
عـلـى اشـعـل طلـق الـذراعين مـرعـوب
اسـرع من الشـيـهـان مـعـلف عـيـاله

بعد هذين البيتين نظر الشيخ فايز بن هذيل إلى من حوله . وكانت النظرة الأخيرة ، فقد مات لأنه لا يستطيع اختصار الزمن والمسافة لنجدة المرأة .

***

نجد العذي الله يسقي قراره

كان أقسى وأشد ما يواجه البدوي تأخر نزول المطر واضطراره إلى الرحيل عن مواطنه طلبا للمرعى الخصب ، وحول هذا كانت الأبيات التي تمثل بها (تركي بن محيا) من شيوخ الروقة من قبيلة عتيبة يقول :

يا من يبشرني واسوق البشاره
عسى على نجد حقوق الشخاتير
دار بها صقع الحدا والنذاره
اخير من دار الرخا والجواخير
نجد العذي الله يسقي قراره
مدهال زرفات البكار المغاتير
يا حلو مرباعه ومشرب بياره
لا قطبوا جيانها بالدواوير
كم هجمة نودع عليها كراره
فوق النضا ومعسكرات المسامير
حريبنا دايم نزوره بداره
لما غدت عنا القبايل بعاثير
حريبنا ياما شكا من خساره
خسارته شجعان ما هي مخاسير
الى ركبنا فوق مثل السعاره
مركاضنا يشبع به الذيب والطير

يا سابقي حولية والعزا باح

زارنا قبل مدة الأخ الكريم فرج محمد الهاجري ، وأهدانا كتاب (شعراء وفرسان من الصحرا) وقد أشار إلى أن احدى القصائد نسبت في أكثر من مرجع إلى غير شاعرها الأصلي وأكد أن القصيدة للشاعر ماضي بن شويع الهاجري من آل مسيفرة وهي كاملة كالتالي :

يا سابقي حولية والعزا باح
واشوف خلان تشايز رفقها
اسعي لها بالبر ما نيب مزاح
در الصعود اللي شحمها فشقها
واقطع مسامير زبرها كما الداح
واربع بكف ثويني لا طرقها
ابغي الى من جن من الحزم جماح
لا هي على العبلة توطي شنقها
كن ذيلها شخنور صيف إلى لاح
على القطاة تنثره من زهقها
نلحق بمدغوش يدور للأمداح
خطر بضربة من يد ما زرقها
جده وأبوه متعبينه بالامداح
من نسل جمهور توالي لحقها
وربعي بني هاجر مروين الارماح
هل فرسة من يوم ربي خلقها
من روس جنب مبعدة كل مصباح
أهل مغاليب يظلل سلقها

كـلـه لـعـــــينا قـــــولة عــــــقب مـن راح
مــــا زيد تفـك البل من اللي وســــقـــــهـــا
فكـم ذود مـــصـــلاح شـــعــــيناه بصـــيـــاح
وغــــبـــوقــــه الماء عــــقب دافي شـلقـــهـــا
ومــــادام خـــــشم الـذيب يطرا بمصـــبـــاح
تـعـــرس بنا الشــينة وكل عـــشـــقــهـــا

***

نفسي مضريها بعز ورفعة

نسب البعض هذه القصيدة إلى ابن عرفوج الدوسري ، وكان مطلعها :

أنا ابن عـــرفـــوج ونفـــسي رفـــيـــعـــه
ولا شـــينت خــبث الليـــالي طبـــوعـــهـــا

والغالب أنها للشاعر فيصل الجميلي ، شاعر قديم ، من أهل بلدة الهدار التي تقع بين الوطاة وخرطم من الأفلاج ، وهو هنا يبوح بما في نفسه من محبة لبلدته ، وقد تقدم به العمر كما يتضح من قصيدته ، حيث ضعف سمعه ولم تعد قدماه تقويان على حمله دون مساعدة عصا يتكىء عليها ، ووصفه جميل في قوله : «شلت العصا عقب القنا . .» إذ يشير إلى شجاعته فيما مضى مثلما ذكر مناقبه وحرصه على الصفات الحميدة . . والقصيدة :

قـــال الجـــمـــيلي والذي بات مـــا غـــفـــا
عـــينه غـــمـــر ريش المواقي دمـــوعـــهـــا
عـلـى ديـرة بـين الـوطـاة وخـــــــــرطـم
ســـقـــاها الحـــيـــا وأروى من الما فـــروعـــهـــا
ســـقـــاها الحـــيـــا من ليلة عـــقـــربيـــة
يجي ســـيلهـــا من فـــوق عـــالي جـــزوعـــهـــا

أقـــمنا بهـــا خـــمس وتســـعين حـــجـــة
على ضــيــمــهــا واللي يجي من هزوعـــهـــا
حـــلاتهـــا قـــولي للأصـــحـــاب سلفـــوا
عـــيـــراتهم مـــا حط عنهـــا نســـوعـــهـــا
على زلفـــة من مـــدربي عـــبـــيـــتـــهـــا
تداوي بهـــا الربع المرامـــيس جـــوعـــهـــا
ندعى عليـــهـــا الضـــيف والجـــار قـــبلنا
وأحب الليـــالي ليلة في ربوعـــهـــا
هذا ظاهر منهـــا ، وذا قـــاعـــد بهـــا
وذا قـــاعـــد يبـــغي العـــشـــاء من طلوعـــهـــا
فـــلا لاطم جـــاري بكفي تعـــمـــد
ولاحـــرمـــتـــه من تالي الليل أروعـــهـــا
لك الله مـــا عـــســـيـــتـــهـــا طول ليلهـــا
إلا بمصـــافـــيح كـــبـــار طلوعـــهـــا
ترقـــد عليـــهـــا الله وأمـــانه بنومـــهـــا
وأخـــيـــر المعـــاني زينتنا شـــروعـــهـــا
فـــإلى ضـــدنا تالي الزمـــان بضـــده
صـــبـــرنا ونرجي شـــبـــعـــة عـــقب جـــوعـــهـــا
نفس مـــضـــريهـــا بعـــز ورفـــعـــه
مـــا خـــبـــثت عـــســـر الليـــالي طبـــوعـــهـــا
ومن عـــقـــب ذا يا راكب عـــيـــدهيـــه
عـــمليـــة صك الســـرى مـــا يصـــوعـــهـــا
ســـرها وتلفى من عـــزانا قـــبـــيـــله
جـــمـــيليـــة رد البـــرا مـــا يروعـــهـــا

ملفــــاك حـــمــــاد منى هاشل الخـــلا

ليـــا حكرت حـــضـــر القـــرايا زروعـــهـــا

فـــــقـل له ترى الرجلين مني قـــــد انحنت

والأذنين مني قـــد تدانى ســـمـــوعـــهـــا

شلت العـــصـــا عـــقب القنا يا ذرا النقـــا

أبرا بهـــا أقـــدام قليل نجـــوعـــهـــا

أبكيك يا نفـــسي وابكي رفـــاقـــني

ابكيك يا نفس واحلوى طبـــوعـــهـــا

***

ويـن الثمـان؟

كثيرة هي القصائد التي تتحدث عن المشيب وفراق الشباب . . إلا أن هذه الأبيات لظاهرة الشرارية تعد أكثرها شفافية ورقة تقول :

يـا عـلـي واقـلـبـي مـن المـوت خـــــايـف

مـــا له عني يا علي لو صـــحت واومـــيت

اثر العـــجـــايز مـــا عليـــهن حـــسـايف

يـا عـلـي انـا لاول شـــبـــابي تـطـريـت

وين الشـــمـــان اللي من اول رهـايـف؟

وين القـــرون اللي عن الوجـــه كـــفـــيت؟

لابـد مـــــا تـنـهـج عـلـوم طـرايـف

الاولا كـنـي عـلـى الـدار مـــــريـت

***

العليمي يستعين بالأمير قطن

حدثت هذه القصة في القرن التاسع الهجري ، حول (محمد العليمي) وهو من أهالي «العيينة» بينه وبين قطن بن قطن أحد أمراء عُمان صداقة ومودة ، وهذه العلاقة هي التي تحدد الفترة الزمنية التي عاشها . وكان العليمي يزور قطناً من وقت إلى آخر ، يمدحه ويحظى بهبات منه .

وكان العليمي .. فقيراً ، دائم الأسفار من أجل طلب الرزق ، وله زوجة اسمها «حصة» على قدر كبير من الجمال ، فأعجب بها شاب ثري ، يقال إنه من «المعامرة» أسرة النفوذ والإمارة في البلدة .

هذا الشاب كان كلف امرأة تبيع وتشتري الحوائج «دلالة» أن تراقب أثناء مرورها على البيوت فتيات البلدة وتخبره بأجمل هؤلاء . فلم ترَ هذه المرأة أجمل من امرأة العليمي .. فدلّته عليها ، بعد أن أخبرته بأنها متزوجة لأن غرضه الزواج .

والشاب هذا اسمه «دعيج» فصار يأتي في كل أسبوع مرة واحدة ، فيطرق الباب وتخرج له أم حصة ، فيتحجج بالظمأ وأنه بحاجة إلى شرب الماء ، فتعطيه ، وبعد أن يشرب يضع في الإناء قطعاً من النقود ويمضي لشأنه .. أما العجوز فإنها تطير من الفرح بهذه النقود لما هم عليه من فقر .

فلما تكرر مجيء الشاب «دعيج» سألته أم حصة عن غرضه ، فصارحها برغبته في الزواج من حصة حين تتلخص من زوجها واعداً إياها بالخير الوفير وحياة الثراء!

وأخذت الأم تنفر البنت من زوجها وترغبها في حياة الثراء عند دعيج ، وربما اقتنعت «حصة» مع كثرة الإلحاح ، فلما عاد زوجها من سفره تظاهرت بالمرض ، فاحتار زوجها بأمرها وشعر بالحزن من أجلها من فرط حبه لها .

واستمر الوضع أياماً .. فسأل دعيج الأم عن حيلتها والنتائج المنتظرة ،

فطلبت أن يرسل إليها واحداً من أعنف خدامه مزوداً بالسلاح ، فلما جاء الخادم واسمه (آجر) أخفته في مكان من البيت ، ووضعت على (الصاج) قرصاً حاراً ، فلما وصل العليمي أخذت القرص ووضعته على بطن البنت ، وتحته ثياب وفوقه ثياب أيضاً .

وأخذت تبكي بحرقة ، فلما رأى العليمي حال الأم ولمس حرارة البنت ، استاء وحزن ، فقالت الأم : لابد وأن البنت مصابة بالعين! . . ولا تعود لها الصحة إلا إذا طلقتها فتذهب عنها العين .

فقال العليمي : لو كنت أعرف أن هذا سيحدث كنت طلقتها ، أما الآن فقد فات الأوان .

فردت عليه : إنما هي طلقة واحدة ، فإذا شفيت عاودتها وهي زوجتك وليس لها غيرك .

فاقتنع العليمي بكلام الأم واستجاب لها ونطق الطلاق . فقالت الأم اسمع يا آجر! . . فصارت كلمتها مثلاً عند العامة . فظهر آجر وضرب العليمي ضرباً مبرحاً وطرده من البيت ، وحذره من العودة مجدداً .

ولم يجد العليمي إلا اللجوء إلى صديقه (قطن) طالباً منه النجدة ، وقد استعد قطن لمساعدته بما يحتاج إليه من المال ، ولكنه اعتذر عن إمداده بالرجال لأن لا سلطة لديه على أهل نجد .

فأقنعه العليمي أن يرافقه برجاله كأنه سائح ، وهناك يتم تدبير خطة لاختطاف المرأة دونما قتال ، فلما وصلوا إلى «العيينة» اختفى الرجال في مكان خارج البلدة ، وذهب العليمي أو قطن (هناك اختلاف حول أيهما) إلى بيت حصة بعد أن أوصى أصحابه إن ظهر الصبح ولم يأتهم .

وكان زواج حصة من دعيج في هذه الليلة ، فكمن قطن أو العليمي في المنزل المخصص لدخول العريسين ، ورأى أن حصة تبكي حين مد دعيج يده نحوها ، وكانت تتحسر على ابن عمها ، ومنعت دعيج بالقوة من الاقتراب منها ، فلما

يئس قال لها مهدداً : الزمان طويل ويرضيك . . ونام .

فخرج الرجل الكامن وقتل دعيج وهرب بالزوجة .

وقيل إن عجوزاً في العرس اشتمت رائحة عنبر ، فقالت هذه رائحة عنبر غال لا يوجد مثله إلا عند قطن . فلم يؤبه بكلامها .

وفي أثناء سيرهم . . طلب العليمي من زوجته أن تلطخ قدميها وساقيها وأطراف يدها بما «يشيّن» ما يظهر منها عند ركوبها على الذلول حتى لا تفتن قطن ورجاله .

أما رفاق قطن فقد عاتبوه بأن هذه المرأة الدميمة لا تستحق كل هذه المخاطرة من أجلها . فأمر قطن بأن يتسابقوا على الإبل . وفهم العليمي غايته من الأمر ، فهمس في أذن زوجته : لا بأس أن يرى قطن شيئاً من وجهك ليعذرني !

وبالفعل ، عندما رآها قطن ، بُهت من جمالها وخاف من الفتنة ، فما إن وصلوا إلى بلادهم حتى طلب من العليمي أن ينزل بعيداً عنهم وصارحه بخشيته من ميل في نفسه يجره إلى سوء يفسد جميله .

وللعليمي قصيدة طويلة قالها في قطن عندما استنجد به لمساعدته تحوي أبياتاً فيها من الحكمة نذكر منها :

مثلي ما يقيم بربع دار
بها ذل وهو رجل ذهينا

ان جادلتهم مالوا جميعا
ولالي بالجماعة من يعينا

وكم من سفلة يعلك لسانه
تهزأ بي وذا أمر بطينا

فلا يموت أبو عشر بخمس
وهذا عندنا كله يقينا

ثلاث معاني لابد منهن
هن اللي فيها رجال مبينينا

إكرام الضيف في عسر الليالي
وضرب بالسيوف الى بلينا
وكل الرجال باسماهم رجال
ولا هم بالمراجل متسينا
فيهم رجال وفيهم رذال
وخيار الرجال المستحينا
ولا تمدح رجال بكثر مال
ولا تذمهم في قل شينا

***

قصة خليل بن عايد

هذا خليل بن عايد كان مطوعاً وإذا مرت به امرأة أو هو مر على نساء لا يلتفت وكثر الحديث بين النساء عن عفته وقالت احداهن سوف أكيد له كيداً فأوقعه . فجاءت لأهله ليلا وكانت متطيبة ومتجملة وادعت أنها تشتكي من مرض حتى يقرأ عليها . . فأخذ يقرأ عليها فمسكت يده تمر بها على مواضع من جسدها حتى مرت بيده على مواضع من الشك والريبة وأخذت تأتيه ليلتين وانقطعت عنه ففتن بحبها ثم عاد إلى الشعر ووجه القصيدة الآتية إلى الشاعر جبر بن سيار التميمي ويخبره بأنه وقع بمثل ما ابتلي به جبر من قبله :

حيث كان جبر بن سيار عند الحجر وهو يطوف فصادف امرأة تريد الحجر فأراد أن يقبلها فدعت عليه بالعمي فاستجاب الله دعوتها وأخذ بصره .

أما خليل فقد كان إماما في مدينة القصيم وسمعه ليلا أحد المارة وقيل إنه ابن بسام كان ماراً بالقرب من منزله فسمعه من النافذة وهو يردد هذه القصيدة التي سنوردها .

وفي الصباح ذهب ابن بسام إلى ابن خليل ووصاه وقال له : قل لأبيك إن البشت التي يصلي بها غير طاهرة . حينما أدرك خليل أن القصة التي حصلت له انكشفت غادر المدينة إلى مدينة أخرى . وإليكم قصيدة خليل بن عايد المطوع يسند على جبر بن سيار :

مقصودي البادي مزيل المهمات
عوني على الحاجات مغني المفاقير
زبني عن اسباب الامور العظيمات
أو اي زبن من تنصاه ماذير
ربي ايلاهي مقصدي فيه مكافات
رجواي مذخوري عليه التدابير
قلته وانا اجفاني عن النوم سهرات
والقلب كنه فوق عوج المناشير
الناس كل يأخذ النوم سجات
وانا كني فوق حامي المجامير
اسهر وليلاتي من الضيق قزوات
وروحي على صدف النيا والهواشير
قمت انقلب واخذ النوم ساعات
واقزي كما تقزي ركاب المعايير
باح العزا والسد مني بحومات
خشف ادعت ليحان قلبي تناثير
وقعت في غي الخشوف الربيبات
تلع الرقاب ابكار غر غراغير
ردني في سن عصر الجهالات
وقد هوجرني في هوى الغي تهجير

بلوا ولا تنجي المخـــــيف الحــــذارات
ولا تفك الى مــــضن المقــــادير
مــا كـــان صــابن غــيــهن والمشــاكــات
او يحـــتـــرك قلبي بحب الغنادير
إلد ولالي في ذا الافنان شــوفـــات
ولا يفـــز القلب لوهن جـــواهيــر
لاشك انا كــتــبت علي الشــقــاوات
وارضى بتــدبيــره على الشــر والخــيــر
ولا تقــــول انه تفك النذارات
ولا تلوم المبـــتلي وادع له خـــيــر
قل لا بلينا وادع له بالمعـــافـــاة
تنجي وهي لك من خـــيـــار المذاخـــبـر
بالك تهـــزي والبـــلاوي بصـــدافـــات
ترى ســبب مـــا بي تهـــزيت بالغـــيــر
اعـــرست ابي عن فـــزة القلب مكـفـــات
وغـــديت مـــثل الشـــاه تتلى الجـــزازير
مـــثل الحـــمـــامـــة صــرت نيــشــان الآفــات
لـــو هـــي بـشــطـب دارهـــا الـهـم تـدويـر
عـــز الله إن ســـهـــومـــهن لي مـــجـــيـــدات
داسن قلبي بالحـــذا والمســـامـــيـــر
عـــز الله ان صـــرت للعين مـــقـــضـــات
عـــز الله اني بيـــد ربع مـــشـــاهيـــر
من راعي الحـــجلين والخـــصـــر وســبـــات
وذريع كنه اقلوب الجـــمـــامـــيـــر

ورهايف غـــــر من النور غـــــرقـــــات

ولواحظ خـــرس لمثلي ســـحـــاحـــيـــر

وذوايب من فـــوق الامـــتـــان ســـافـــات

وقـــــذيلة تمشط بطيب العطاطيـــــر

يا زين شف قلبي جـــروحـــه عطيـــبـــات

اتعـــبـــتني وازريتني بالمعـــايـــيـــر

حـــملتني بحـــمـــول حب ثقـــيـــلات

صـــلاة ربي عن الفـــرض تقـــصـــيـــر

بقـــرايتي للحـــمـــد اقـــرأ التـــحـــيـــات

والـــواجـــب إن الـــقـــلـــب عـــنـــدك ايـــلاديـــر

عليك اجـــاوب راعـــبي الحـــمـــامـــات

في كل مـــشـــذاب رفـــيع المقـــاصـــيـــر

اصـــيح وابكي عـــاد مـــا شـــوف فـــزعـــات

مـــثل الصـــيـــاح اللي بوسط المقـــابيـــر

مـــا لي مـــجـــيب غـــيـــر والي الســـمـــوات

يفـــرج لمن ضـــاقت عليـــه المعـــايـــيـــر

مـــا نيب مـــبـــســـوط همـــومـــه مـــريحـــات

مـــا لاج في قلبـــه ســـوات الزمـــامـــيـــر

مكفي همـــوم مـــا بقلبـــه حـــســـافـــات

مـــا جـــا بقلبـــه غـــيـــر جـــمع الدنانيـــر

وخـــلاف ذا يا راكب اللي مـــعـــفـــات

حـــمـــرأ تكب الكور كب النواحـــيـــر

امـــه ســـحـــيـــمـــا من ركـــاب الشـــرارات

وبوه شـــعـــيل من ركـــاب المناصـــيـــر

مـــرباعـــهـــا الصـــمـــان دون الحـــتـــيـــفـــات

فـــوقـــه ســـواة الرجم تجـــفـــل من الطيـــر

فـــوقـــه قـطـامي يـودي الـرســـالات

مـــا يكلفـــه قطع المناهيج والســـيـــر

ريـض تحـــمـل مـن حليـــات الأبيـــات

بســـجله سطر بهـــا الحـــبـــر تسطيـــر

ســـلام مـــشـــفـــوق ولا به مـــراواة

وهو على كـــفـــة احـــيـــاض الحـــفـــافـــيـــر

وتحـــيـــة مـــالج بالبـــحـــر مـــوجـــات

واحـلـى مـن البـــان البـكـار الخـــواويـر

تهـــدى إلى جـــانب جـــمـــيـل الســـجـــيـــات

هو جـــبـــر ابن حـــزمي اخـــا نيـــة الخـــيـــر

عـــذب النبـــا راعي العلوم الجـــمـــيـــلات

مـــا قط يكسب غـــيـــر حلو المفـــاخـــيـــر

يا جـــبـــر نشكي لك وبالقلب عـــلاّت

افـــضي عليك الســـد ســـر وتجـــهـــيـــر

تجـــبـــر فـــؤاد بالمشـــاكـــاة ســـاعـــات

والا فـــلا يجـــبـــر ســـوى الله مكاســـيـــر

يا جـــبـــر في مـــثلك تجـــوز المشـــاكـــاة

على الســـعـــد في حـــال وجـــد المقـــادير

يا جـــبـــر نشكي لك امـــور فنيـــعـــات

في ضـــامـــري يا جـــبـــر مـــثل الصـــهـــاهيـــر

يا جـــبـــر لو هي بالجـــبـــال الصليـــبـــات

ذاب الصـــفـــا منهـــا كـــمـــا ذوبه الكيـــر

يا جبر لو هي بالجمال السمينات
جضت وخلوهن هزال مقاصير
يا جبر قالات بقلبي خفيات
عز الله انه بي ثقال جماهير
يا جبر عن غيري رماحه خطيات
وعز الله أنه بي عدال سوامير
يا جبر عن غيري علومه مصدات
وعز الله انه بي ورود ومصادير
يا جبر لا تاتي معزي سلامات
تراي مثل اللي على كفه البير
يا جبر لو تقري كتاب السريرات
حنيت له حنة ركيب المداوير
يا جبر خذ مني عهود مثنات
ما درتهن ما ران هاذي المقادير
قلبي تعنى للبلى والمصيبات
اسهومهن بالقلب مثل التفاكير
يا جبر خذ ديني وعندي مساهات
ما هم قلبي بالعلوم المناكير
ولا تعبت بطردهن والمراعاة
ولا مشت رجلي لهن بالتداوير
من كاعب يا جبر تسقين كاسات
كاس العنا وكفيت شر العواثير
ختام قيلي في شريف الصلوات
على شفيع الناس يوم التحاشير

ولا اطلب ثنا المعروف من غير صاحبه

سليمان بن شريم واحد من أعلام الشعر ، وقد اشتهرت له عدة قصائد مازالت تردد إلى يومنا هذا . وربما قصيدته هذه لم تلق شهرة كما لقيت قصائد من نوعها لشعراء غيره ، إلا أنني لا أبالغ إذا قلت أن هذه القصيدة تفوق كثيرا من قصائد النصح والحكمة التي كنا قرأناها . ولا أريد سبر أغوار هذه القصيدة بل أدع هذه المهمة للقاريء ليكتشف بنفسه أهمية هذه القصيدة النادرة :

عن اللي صفح نصفح ولو كان هو غالي
والإقبال يبشر صاحبه بالنبا الغالي
على ماضي بالوقت الأول وما بقا
فلا خير باللي ماله أول ولا تالي
وأنا في سنين ما بقى إلا رسومها
فريد وحيد وكن ما قيل يبرى لي
إذا شفت جفوى من رفيق لقيتني
صبور على فرقاه في كل الأحوالي
ولا أبيّن أسراره وعاره يعورني
أخليه في فاله وأنا أروح في فالي
ولا انيب أفاخر بالعطايا وأمنها
لو فوتت من شيمتي دق وجلالي
ولا نيب حبّاب لمن لا يحبني
تصير المودة فيه بلوى وغربالي
كما تاعب يتعب على غير فايده
مثل ما سبق حفّار جحر وهو خالي

ولا أبيّن أسـراري لمن لا يسـرني
ولو شلت حمل باهض صبري أشوالي
تورّيك نفسك بالمجالس وبالرخا
كما لمعة القصدير في طافح اللالي
فإلى هقيت إنك تروده وترتوي
فلا تاجد إلا حنظليلٍ بالأشكالي
ولا نيب أجازي راعي الطيب بالردى
وأنا خابرٍ ما ادركت يذكر من أفعالي
أجازيه بالحسنى عن الطيب بالنقا
وأشيّع ثنا مجده على روس الأقذالي
ولو حسّني تالي زماني وضامني
مقادم كراماته تكفي عن التالي
ولا اطلب ثنا المعروف من غير صاحبه
أقيسه بعقلي واستدلّه بالأمثالي
فلولا الدلايل ما اهتدى ساير الدجى
ولولا المعرفة ما ادرك الجود رجالي
ولا مهدي شوري لمن لا استشارني
وهو مثل صوت القايلة بالخلا الخالي
ولا نيب هراجٍ على غير مستمع
تجي رمية العرضة لها فعل وأمثالي
ولا ناصحٍ من لا يميّز نصحتي
يصير الدوا مجهول والجرح قتالي
ولا خير بالدنيا إلى صار ما بها
رفيق يميل مع الدهر حيث ما مالي

ترى عـــاذل المشـــتـــاق عن رأس مـــقـــصـــده
مـــثل من يرد الســـيل يـرجع إلى العـــالي
ولا نـيب جـــــزاع الـى شـــــفت كـــــربـه
فــــلا كــــربة إلا بـين فـــارج وحــــلالي
واصـــافح الى شـــفت الجـــفـــا من رفـــاقـــتي
وأدور بـدلـهـم لـي رفـــــاقـــــة ومـنـزالـي
الابـعـــــاد عـن دار المذلـه مـــــعـــــزه
ولـو مـن ورا تونـس مـــقـــــرّي هو أشـــــوالي
ولا نـيـب صـــــدّاد بـوجــــــهي عـن الـذي
يـدوّر لمـرضـــــاتـي ولا نـيـب مـــــلالـي
ولـو بـت أنـا وياه فـي غـــبـــة البـــحـــر
علـى لـوح ســـاج شـــاله الموج من غـــالي
أراغـم عـلـى لامـــــاه وأرفـى لـزلـتـــــه
ولا أطـيـع بـه واشـي ولا شـــــور عـــــذالـي
ولا نيب أدوّر عـــشـــرته عـــقب عـــشـــرته
أرى حـــقـــه الـوافي بعـــقلي ومكيـــالي
ومن لا أدرك الجـــودا على وقت شـــبّـــتـــه
أظنه لـهـــا في تالي العـــمـــر مـــا نالي
هـذا صـــدر والفـــعل بالقـــول مـــقـــتـــرن
والأيام أثاريهـــا جـــديدات واســـمـــالي
أقـــولـه وأنـا عـــيـني مـن الهـم والعـــيـــا
تـهل الـعـــبـــاير في دجى الـليل همـــالي
هـذا وصـلـوا مـــــا زهـا زاهـي الـكـلا
علـى ســـيـــد الكونين والصـــحب والآلي

أثر ربيعه جيّة البدو حوله

مما قاله الشاعر الكبير عبدالله بن سبيل ، الذي في كثير من قصائده تطرق إلى حياة البادية ، وأثارت شجونه رؤية رحيلهم ، بخاصة عند انتهاء فترة «المقطان» .

وهو نشأ حضرياً في بلدة «نفي» واستقر بها طيلة حياته .

يقول مخاطبا ذعار بن مشاري بن ربيعان من أمراء قبيلة عتيبة :

يا ذعار واقلبي من العام حوله
إلى اليوم ينقص ما بقى إلا قليله
مثل الشعيب اللي تقافت محوله
من جنابه غادي حنظليله
وأثر ربيعه جية البدو حوله
تقرب المقطان واحبني له
السوق يعجبني إلى شفت ضوله
مثل النظيم المختلف عن مشيله
ذولا لهم حاجة وذولا بدوله
يلهون راعي الوارده عن قبيله
يا خانة المقطان في كل جوله
لا من كل شد وأخلف نزيله
ربيعهم قبل العسوس اجهزوا له
عشب جديد وتو ما نش سيله
والصبح سمحين الوجيه رحلوا له
عط السلف واستجنبوا كل أصيله
كل لأهل بيته يقدّم ذلوله
حطوا خفيف القش وأقبل ثقيله

في روضـــــة صكّت عليـــــهـــا نزوله
النفـع قـــدم البـــيت مــــا ينعني لـه
بيت كــبــيـــر . . وفـــارقـــه كـــبـــر زوله
لزوم شــــرّاب الحـــشـــايش يجي لـه
مـــا قـــال يا راعي الحـــصـــان أوقـــفـــوا له
باطرته النعـــمـــة مـــديم صـــهـــيلـه
بـاغٍ إلـلـى مـــــا وقـف العـلـم طـولـه
وتنافـــضت بين العـــمـــيل وعـــمـــيلـه
نيّـــه على أطراف العـــرب واجـــمـــعـــوا له
نمرا تـصـــهـــرج مـــثـل نـوٍ رفـــيلـه
يتلون شــيـخ مـــاضـــيـــات فـــعـــوله
يســـري وغـب ســـراه مــــا يندري لـه
كـــز الســـبـــور وردّها في حلوله
ودرهم عليـــهـــا الشـيخ واشـــتـــال شـيلـه
قـــالوا نطالع قـــال الأخـــر يقـــوله
ثمـايلـت قـــــدام يـومـي شـلـيلـه
واقـــفـــوا على طرشٍ وســـاع خلوله
من دنة الغـــارة تزايد جـــفـــيلـه
حـــوّوا وردّوا بـأولـه وافـــقـــوا لـه
مــــا عنده إلا من يحلب بصــــمــــيلـه
وأقـــفـــوا كـــمـــا زملٍ ثقـــال حـــمـــوله
من مـــــدةً الـوزمـــــة رخيٍ مكيـلـه
باغٍ إلى لحق الطلب وارجـــحـــوا له
كـل أبـلـجٍ يـأخـــذ علـيـــهـم دبـيـلـه
كـم أبلج بـرمـــاحـــهـم ســـبـــقـــوا له
مطغـــيـتـــه الدنيـــا بحـــســـبـــه طويله

يثني خلاف التوالي

عادة . . إذا انتهت المعركة بهزيمة طرف وانتصار الآخر ، تجد أن المنتصر يقتل ويأسر من المنهزمين ، ويتعقب الهاربين منهم ، بينما كل من المنهزمين لاه بنفسه يبحث عن طريق النجاة يريد أن ينجو من موت مؤكد . . أو أسر مذل .

وفي بعض الأحيان يكون بين القوم المنهزمين ، فارس شجاع إن رمى لا يخطىء الهدف ، فإذا ما (انتخى) به قومه ليحميهم لحين ابتعادهم عن عدوهم ، كان عند حسن ظنهم به ، فتجده ينزل عن راحلته . . ويختفي تحت شجرة أو وراء صخرة كبيرة ، ليبدأ بالرمي على المغيرين ، فيشغلهم ، ويرد خيلهم عن اللحاق بقومه . فإذا تأكد أن جماعته نجوا من الطلب تبعهم ركضا على الأقدام .

وعادة إذا كان لهذا الفارس عشيقة . . قالوا له : (حول لعيون فلانه) !

أي انزل عن راحلتك . . وشاغل العدو عنا بالرمي من أجل خاطر عشيقتك فلانة . فإذا سمع الفارس هذه الكلمات . . وسمع أسم محبوبته استمات ، وارخص عمره فإذا وصل الخبر إلى العشيقة ، وقيل إن فلانا فعل كذا وكذا من أجل عينيك تعلقت به . . وكرهت أن تكون زوجة لغيره . ولا بد أن نعرف – هنا – أن العشق عند أهل البادية لا يكون إلا من أجل غاية واحدة . . وهي الزواج – أي أنه عشق نقي . . لا مكان فيه للنزوات أو العبثية .

قلنا : (يثني خلاف التوالي) . . ومعنى يثني أي يرتكز على احدى ركبتيه متأهبا للرمي والتوالي : هم الأخيرون من قومه المنهزمون . . وهذه قمة الشجاعة عندما يكون مطلوبا منك أن تقف بوجه خيل مقبلة بفرسان مدججين بالسلاح .

والثمن : إما أن تموت فداء دون قومك المنهزمين أو يقدر الله لك أن ترد هذه الخيل . . عندها يبلغ صيتك الآفاق وتصبح مضرب الأمثال في الشجاعة .

وهذا ما حدث لشاب اسمه (سعود) نشأ يتيما عند أقاربه وهم أخوة ، وهناك

فتاة بنت عم لهم ، والكل منهم يتمنى أن تكون من نصيبه . . إلا أنها كانت تفضل اليتيم سعود عليهم جميعا . وفي احدى المعارك هزم قومه ، ووصل الأمر - كما يقال - عند الركاب ، فكانت فرصة سانحة لسعود كي يظهر شجاعته ، وبالفعل نزل عن راحلته وحمى فلولهم بشجاعة نادرة حتى طار صيته وامتدحه القريب والبعيد . . وقد قال بهذه المناسبة :

هيـــــه يا راكـــــبين الحـــــول
كـــــان طاب القـــــضى طبنا
يفـــــتـــــشل راعي المجـــــدول
ان غـــــزينا ولا جـــــبنا
ليت من ينشـــــد المجـــــمول
ويشن ظنه الى غـــــبنا
ويش عـــــذري منه بالقـــــول
كـــــان وخـــــذت ركـــــايبنا

وبالفعل اختارته الفتاة دون غيره .

***

يا الله نجه !!

لم تكن الحروب والمعارك بين قبائل البادية في الزمن السابق محصلة عداء متأصل بالنفوس بقدر ما كانت نتيجة طبيعية لظروف الحياة وقسوتها . . وغالبا ما تنتهي ويعودون إلى الصفاء والتقارب وأحيانا من حاربته بالأمس يحارب إلى جانبك غدا .

وكان الفارس الشجاع محبوبا ومقدّرا عندهم حتى وإن كان من الأعداء .

وهذه قصة - رواها محمد بن حجاب القحطاني - تدل على الثقة والالتزام بالأخلاق الكريمة بين رجال البادية .

ففي (كون) جرى بين قحطان والحمدة في وقت محمد بن هندي يسمى (كون الكودة) أو قريب منها . . والسلاح سيوف ورماح لقلة البنادق آنذاك ، وكان (طرادا) على الخيل طيلة النهار . . وقبيل انقضاء النهار ، لم يصبر محمد بن هندي عن الصلاة فأرسل أحد الخيالة - هاجري اسمه برغش بن حويدر - ليطلب من (ناصر) وهو جد الراوي - محمد بن حجاب - الأمان حتى أداء الصلاة . . فقال ناصر : ادعه ليظهر من بين ربعه وسألاقيه . وفعلا التقيا وتبادلا التحية ونزلا عن فرسيهما وأديا الصلاة جماعة .

هذا بالرغم من أن الحرب دائرة . . أقصد أن هناك من لايزال يتبادل الضرب والطعان من حولهم . . وقد لفت نظر ابن هندي فارس من قحطان أغار على عتيبة وذبحت فرسه وأظهره ربعه . . وعاد مرة أخرى غائرا وذبحت فرسه ثانية . . فقال ابن هندي معجبا بشجاعته : من هذا الفارس يا ناصر؟

فرد ناصر : هذا محمد بن حشيفان . فماذا تتوقعون كان رد ابن هندي؟

قال ابن هندي : (يا الله نجه يا منجي الطير)!

قال هذا وهو يغير على قومه ، وذلك لحبهم للشجاع ، فلا يتمنون له الموت أبدا ، وهذه هي أخلاق رجال البادية وعاداتهم التي يسيرون عليها .

***

وصف معركة

ناصر بن عمر بن هادي - من شيوخ قحطان - أحد مشاهير فرسان البادية يقدم في هذه القصيدة وصفا دقيقا لاحدى المعارك ، جرت في الاميلاح ومن لم ير معركة من قبل ، يشعر بهول احداثها والرعب والهول الذي يحل في النفوس في تلك الساعات . . وخصوصا في نفس فارس مثله تبنى عليه الآمال في يوم أمامه فرسان مدججون بالسلاح ووراءه نساؤه يحثثنه على الاستماتة دونهن . . يقول :

الرابح اللي مـــا حـــضـــر بالامـــيـــلاح
ولا شـــــاف لجـــــة خلجنا بالمراحي

مــــا حط فــــوق الزمـل من قـــشنـا طاح
ولا غـــبنـي كـــود صـــيــحـــة رداحي
ان انـثـنـيـت مـنـاطـح شـلـف ورمـــــاح
وان انهـــزمت مــــغــيـــزل العين صـــاحي
يـوم انكـســــر رمـــحـي تجندت ابـو لاح
رديـت لـلـهـنـدي شـــريـدة ســـلاحي
واضــــرب بوسط جــــمــوعـــهم لين تنزاح
نـذودهـم ذود الجـــــمـل لـلـقـــــاحي
تـــهـــن يـــا زمـــل اريـــش الـــعـــين وارتـــاح
مــادام زلبـــات الســـبـــايـا تنـاحي
لعـــيـــونـهـــا ردادها مـــات مـــا طاح
خلي عـــشـــا العـــرجـــا وبـرق الجناحي
عـــاداتنـا بـالضـــيـق نهـــدي لـلأرواح
اليـــا هبـــا خطو الـذلـيـل السـنـاحي
يـقـــولـه الـلـي لـلمـــواجـــيـب نطاح
صـــيـاد بالضـــيـقــات طيـــر الفـــلاحي

***

يشبعني حزامي

البدوي والكرم متلازمان ، عايض بن زيد المغيري العتيبي سمع من بعض جماعته من يلومه على نفاد ماله في الكرم . فقال بيتين يحملان نظريته يقول :

يـا نـاس خـلـونـي عـلـى كـــيـف مـــا اريـد
خـلـونـي آخــــذ ســـجـــــة في هـوايـه
ان عــشـت يشـــبـــعـني حـــزامي من الصـــيـد
وان مت مــــا عــــقـــبـت لـلـي ورايـه

بين النساء

ثمة فروقات بين النساء ، سواء في الشكل أو الطباع .

تبين لنا ذلك قصيدة شاعر من البادية ، كان تزوج بواحدة فوفر لها متطلبات الحياة الكريمة وأكمل حقوقها إلا أنها لم تقدر ذلك كله ، فلا تقوم بواجباته كزوج ولا تمتثل لأوامره .

إلى أن اضطر إلى تسريحها باحسان وستر . وكان أن اعطاه الله على نيته زوجة ثانية توفرت فيها شروط الزوجة الصالحة .

وله صديق دائما يسأله عن سبب فراقه لزوجته الأولى ولا يجيب بشيء . . فلما رأى الفرق بين المرأتين قال هذه القصيدة :

يا عـــــيـــــد تســـــألني وانا عنك كنيت
عندك خـــبـــر يا عـــيـــد راعي الرديه
ايلا كـــثـــر خلف الركـــاب التـــصـــاويت
وتلافـــتـــوا كل ينادي خـــويـــه
تبلشـــوا بالروح عـــقـــب الزغـــاريت
ضـــيق بهم خطو الشـــجـــاع القـــضـــيـــة
جـــابـــه لنا رب المقـــاديـــر لا ابليت
بلوى البـــلاوي سلطة باطنيـــه
اللي كـــلامـــه مـــثـــل جـــدع المشـــاليت
يا عنك مـــا نفـــسي بقـــربه هنيـــه
نـــوامـــة دايم ولا تـــوالـــي البـــيـــت
وان قلت قـــومـــي بس تومي ايديه
هذي طبـــايعـــهـــا عطاها التـــشـــاتيت
غـــصـــت وريد تنتـــفـــخ تقل حـــيـــه

اللـه يشـــــــيلـه يم دار العـــــــفـــــــاريت
تبـــــعـــــــد عن الـديـره بـدار خـلـيـــــــه

جـــــعلـه فـــــدايا وحـــــدة بـالبـــــراريت
حـــــدر مـن الغـــــرا بقـــــبـلـي رويـه

اللـي تـهـلـي بـي إلـى مـنـي ألـفـــــيت
مـــاهي من اللـي عـــقـلهـــا بس ليـــه

***

تسرع في طلاقها وندم على فراقها

كثيرا ما يحدث أن يقع الطلاق بين الزوجين نتيجة للتسرع ، بسبب - ربما - أخطاء طفيفة لا ترقى أبدا ليكون الطلاق من بين طرق علاجها . لكن ذلك قد يحدث بسبب لحظة غضب أو تسرع سرعان ما ينقلب إلى ندم متأخر إذ لا يفيد بشيء!

وهذا ما كان من شأن سرور الأطرش ، شاعر مشهور توفي تقريبا في عام ١٢٨٥هـ ، حيث كانت عنده زوجة فاضلة على قدر كبير من الأخلاق وتتمتع بجمال باهر أيضا ، إلا أنه اضطر لمفارقتها ، بسبب أن أخته أقسمت عليه بذلك . . وقيل بسبب غيرها . لكنه ندم بعد طلاقها ندما شديدا ، وشعر بأنه تسرع باتخاذ مثل هذا القرار ، خاصة وأنه لا مبرر عنده يخفف به من حدة الندم ، الذي أخذ يزداد كلما تذكر طباعها وأخلاقها .

أما امرأته . . لما تعرفه من تعلقه بها ومكانتها عنده ، وربما تقديرها أنه سيشعر بهذا الندم فيما بعد ، فإنها قبل أن تجمع حاجياتها وتغادر بيته برفقة أخيها . . فقد أخذت «بسيلة» من شعرها ووضعتها في الكيس الذي يحمله معه أثناء ذهابه للصيد والقنص .

وبعد أيام أخذ الأطرش بندقيته و«زهبة البارود» أي ذلك الكيس الذي يضع

فيه ما يحتاجه أثناء القنص ، وذهب للصيد كعادته .

فوجد مجموعة من الغزلان ، وانبطح على الأرض وأخذ يزحف مقتربا من الصيد حتى وصل إلى مسافة مناسبة بعد عناء وتعب ، فمد يده إلى الكيس ليخرج البارود أو شيئا آخر ، فإذا يده تقع على البسلة فلما أخرجها ورآها بعينه ، نسي كل شيء من حوله ، لدرجة أنه قام واقفا من مكانه وهو ينظر لما بين يديه ويتذكر زوجته . . أما الغزلان فقد جفلت هاربة بكل اتجاه وهو لا يدري عنها شيئا ، وكان أن تمثل بهذه الأبيات :

لا ضـــــاق صـــــدري وقت رأس الطويلة
أشـــرف على المرقـــاب رجل الضـــيـــاحي
وايلاه في وجـــــهي تلوح الجـــمـــيله
والى الســـمـــا من كل الآفـــاق صـــاحي
على شـــعـــاع الشـــمس قـــمت التـــوي له
بدلت عـــقب الدلبـــحـــة بانبطاحي
ذكـــرت من ينقض طويل الجـــديله
لو كـــان هي عني به البـــعـــد ناحي
قلت امـــرقن لعـــيـــون نفـــال جـــيله
لعـــيـــون مـــوضي مـــا يجـــيكن ذباحي

***

طلقها إرضاء لابنة عمه

قيل أن تركي بن حميد تزوج بفتاة من قومه ، وكانت زوجته الأولى ابنة عمه عنده ، فغضبت وذهبت إلى أهلها ورفضت العودة إلا بطلاق الزوجة الجديدة . وقد طلقها تركي على مضض ارضاء لابنة عمه رغم أنه ندم بعد ذلك وقال هذه الأبيات :

يـا ونتي ونيـت واقـــبلـت واقــــفـــيت
ونـويـت ابـين لـلـعـــــرب مـــــا طـرا لـي
ونيت واخــتــفـيت وافــضــيت مــا اخــفـيـت
بغـــيت اضـــيع مـــذهبي من هبـــالي
ونيـــتــــهــــا يوم انـهـم طـووا البــــيت
ياطي قـلبي طيـــهـــا للحـــبـــالي
رعـــيت لي وســـمـــيـــة مــيــر مــا ابطيت
يا ليــتنـي ســجــيت فــيــهــا ليــالي
ســاعــة مــضــيت مــســيــر ثم راعــيت
إلا أن منـزل عــــدم الأجـنـاس خـــالي
بـكيـت انـا وابـكـيـت حــــتى هـل البــــيت
وكـل بكـى حــــتى بنـات الجـــمـــال
يـا خــــال يـا ريـف المرامـــيـل يـا لـيـت
يا ليـت من ربى عليــهـــا عــــيـــالي

وهناك من ينسب هذه الأبيات إلى ضيف الله بن تركي وهو يخاطب خاله محمد بن هندي ويستند هؤلاء برأيهم إلى البيت الأخير .

***

يا مطلق أمك من نحط بمكانه؟!

زيد بن سلامة الخشيم الخالدي ، من شعراء البادية المعروفين ، كان رأى في منامه أن زوجته انتقلت إلى جوار ربها ، وهي من أفضل النساء خلقاً وأدباً ، وبينهما مودة وتقدير كبيران . فأثارته هذه الرؤيا فقام يرثي زوجته بهذه الأبيات وهي مازالت على قيد الحياة :

يـا قـلـب يـا قـلـب الخـطـا والبــــيـــانـه
مــتـحــرف مــا بين شــاوي ومــلال

طولت يا قلب الندامة طنانه
وبيدت مني الصبر والحيل والحال
أنوي وتلوي حرفة من بطانه
ودبت هواجيس من الجال للجال
لولا الحيا وأكثر كثيره ديانه
لا أصب لي صوت على رأس ما طال
يوحيني اللي من ورا الدهدوانه
من شان عبرات عن الصدر تنجال
حلمت حلم غث نفسي وأهانه
الحلم شين ومن تواليه أنا ذال
أذوي شعاع القلب عقب التوانه
ونقلت هم بالحشا له وغربال
يا مطلق أمك من نحط بمكانه؟
البيض غيره ما هذن لي على البال
إدّب زعل ما تقل توحي بأذانه
عدي مع المجمول سمن بفنجال
هدية ما به علينا متانه
ألين من اللقمة على أصباع الأكال

***

مضاعفة حق الزوج

هذه الشاعرة سعدى بنت ابن ثعلي من الروقة من قبيلة عتيبة ، تقول في زوجها عندما طعن في السن :

العام تبغي لك من البيض ثنتين
أيضا وتبغي لك عليهن زياده

ومـــشلـك الى منه وصل عـــام ســـبـــعين

يـروح مــــخـــــه مــــثل مـخ الجـــــراده

لا يـقـــــضي الحـــــاجــــة ولا يوفـي الديـن

حـــــتـــيش لـو عـطرت فــــرش الوســــاده

والله مــــا لـوم العــــود مــــار الكبــــر شين

الـعـــــود جـــــاتـه خـلّتـــــــه مـن زنـاده

يا مــــا ثنا عـــــمـــــره خـــلاف المقـــفين

الـى نـشـب خـطـو الـردي فـي شـــــــداده

واليــــوم لـو نـوزيـه فـي مـــــحـــجـــر العين

أمـــشي على مــــشـــهـــاه واتبع مـــراده

مــــا الحق جـــزاه اللـي مـــضى قـــبل عـــامين

مـــــاني من اللـي دايم بـالجـــــحـــــاده

يا جــــاهلاتن حـــــقــــهم فـــالكنّ شين

مـــيـــعـــادكن يوم الحــــشـــر والشـــهـــاده

الـعـــــود لا شـــــيّب لـزمـنـا بحــــقين

رد الجـــمـــيل وتحـــمـــد الله عـــبـــاده

لابـد يـومٍ بـه فـــــــراق المحـــــــبين

إمــــا غـــضـــر عـــوده دنا له حـــصـــاده

في كل بيت من أبيات هذه القصيدة حكمة رائعة . . وفيها المداعبة الزوجية الطريفة ، واشادة بفضل الزوج واقرار بالعرفان له . . كما أنها تبين لكل زوجة غافلة ما للزوج من حقوق وما عليها من واجبات تجاهه .

وهذه المرأة ممن وهبهن الله نعمة العقل وهي خير قرينة صالحة ، تقوم بما يحبه زوجها وتبتعد عن كل ما يوغر صدره .

***

غضب بركات الشريف

قيل في غضب بركات الشريف عندما (زعل) من جماعته وارتحل إلى أطراف العراق . أن زوجة والده ، والأغلب أن تكون زوجة عمه ، راودته عن نفسه ، إلا أنه رفض بشدة ونهر المرأة بطريقة خشيت أن يفضح أمرها عند أهله ، فعمدت إلى الادعاء بأنه حاول الاعتداء عليها ، وهو فعل شائن .

فأوصوا (القهوجي) عند اجتماع القوم أن يتعدى بركات ولا يصب له فنجان القهوة ، وهو عمل من أكبر العيوب عند العرب ، يطلق عليه (معقّب الفنجال) أي تحقير للرجل .

فلما بادر (القهوجي) بصب القهوة تجاوز بركات فنهره الأخير ، إلا أن عمه رد عليه قائلا : «اسكت يالشبر» فعرف أن الأمر مقصود .

فنهض خارجا من المجلس إلى السوق ، وكان تبعه أحد الخدم ، فاشترى ما يلزمه وقد صمم على الرحيل .

وسرى في الليل يرافقه الخادم ، وكان لا يعرف قصد الخادم من الرفقة ، هل ذلك عن طمع أم أنها عن محبة؟ . فأراد أن يختبره فأسقط دراهم من جيبه على الأرض ، وهي قطع معدنية تحدث صوتا عند وقوعها على حصى الأرض ، وقال للخادم : انزل واجمع الدراهم . فقال الخادم : امشي وأصل ما عاشت الناس باللقط! فتأكد أن نية الخادم ليست الطمع . وقال قصيدته التي سوف نوردها في الأخير .

وقصد بركات الشريف الحويزة قريبا من البصرة وفيها أمير سمعته طيبة ، ويقصده الوافد وذو الحاجة ، فلما وصل قدموه إلى المجلس مع من قبله ، بانتظار دخول الأمير .

فاتجه بركات إلى الموضع المعد لجلوس الأمير وجلس عليه ، فذهب الحاجب يخبر الأمير بوجود ضيف لا يعرف من يكون إلا أنه قليل الأدب .

فقال الأمير للحاجب : اذهب إليه وألق على مسامعه هذين البيتين :

إذا كنت الغريب بدار قوم
فاقعد مقعد الرجل الأذلي
ان حشموك فهو حق عليهم
والا فقل : هذا محلي

فرد عليه بركات قائلا :

إذا كنت الغريب بدار قوم
اقعد مقعد الرجل الأجلي
إن حشموني فهو حق عليهم
وإلا الحر ما يقع عقب التعلي

فعرفوا أنه ينتسب إلى بيت ذي مكانة رفيعة فحضر الأمير وسلم عليه وألقى عليه سؤالا غريباً :

يا ضيف وش جابك لنا وهداك لنا؟
وحنا ورا الشطين مقطاع الحدب
هو رمحك اللي زرتنا به طايل
او قاصر الحدين ويعرضه طنب؟

فأجابه بركات :

لا والله الا طايل ثم طايل
مذروبة الحدين تبرق كالشغب
في كف شغموم يسقيه الدما
معرب يسمو الى عالي الرتب

فأكرمه ورحب به ثم أقام عندهم مدة ، في تلك الأثناء كان أمير مكة ضايقه الأعداء وتمنى لو أن بركات كان موجودا . وبركات في قصيدته تأمل حدوث هذا الأمر ، وقد حصل حيث أرسل أمير مكة إليه يطلب حضوره ، فأتى وخاض

غمار المعركة دون أن يعرف أحد بوجوده ، وكان كلما جندل فارسا أخذ رسن الفرس وتركها .

وكان طلب من رفيقه أن يبقى عند أمير الحويزة ولا يأتي معه لسبب في نفسه . وهذه قصيدته :

عفى الله عن عين للغضا محاربه
وقلب دنيف زايد الهم شاعبه
اسهر ايلا نام المعافي ومدمعي
كد انهل من بين النظيرين ساكبه
وقول ايلا ما ضاق صدري وحل بي
رفيق شفيق جيدات مذاهبه
دع العذل عني يا نصوحي وخلني
شرواك ما يرضي المهونة لصاحبه
ماني اهدانن يقصر البعد عزمه
كد عاش في ذل علي وسق غاربه
شهرت عن الزهد أو هي لي فضية
ولا يمنع المخلوق ما الله بكاتبه
تذكرت يوم اشرفت في رأس ما نبا
على مرقب عال الذرا من مراقبه
يا مبلغن مني ذوي الجود والثنا
ومن شب شارات المعاني مكاسبه
ثم أبلغه مني سلام أمضاعف
عدد ما همل وبل السما من سحايبه
فيا حما راع الونية من القنا
لحمر من عود البلنزا ذوايبه

يا مـــورد الاســـيـــاف بيضٍ حـــدودها
امـــصــدره حــمــر من الدم شـــاربه
يا كـــعـــبـــة الوفـــاد للضـــيف بالقـــساً
واذا النذل ذل وهن وغـــضـــا بحـــاجـــبـــه
بنيت لنا بيت من العـــز شـــامخ
سل الله لا يهـــدم له الضـــد جـــانبـــه
لا تحـــســـبني عـــقب حـــسناك والرضـــا
أغـــيـــضك مـــدى الدنيـــا ولا هيب واجـــبـــه
ولاشك جـــاني منك ملفـــوظ كلمـــه
علي حـــضـــرة الرمـــاق والناس قـــاطبـــه
تقـــول لي يا ثبـــر وناغـــدوتك
مـــا ثبـــر الا من ايفـــاجي قـــرايبـــه
عـــاتبـــتني من غـــيـــر ذنب جنيـــتـــه
عـــســـاه يحظى بالغنا من تعـــاتبـــه
ترى عـــرق وجـــهي هو غـــيض وشـــيـــمـــتي
مـــعي حـــاضـــره بالوجـــه مـــا هيب غـــايبـــه
ولاني غـــريب بك ولا بي ســـفـــاهة
عـــزيز ولا نفـــسي لدنيـــاك طالبـــه
انا اخـــتـــرت بعـــد الدار في نازح النيـــا
ولاقـــولهم ابركـــات كـــد هين واجـــبـــه
في كل دارٍ للرجـــال مـــعـــيـــشـــة
والأرزاق كـــافلهـــا اللي جـــزال وهايبـــه
عـــســـاك تذكـــرني إذا جـــاك ضـــيـــقـــة
والمال يـأتي هـاربٍ من مـــعـــازبـه

لك بأن مـــركـــاض اذا زافـــه العـــدا
تماوجن بالخـد فـيـهـا سـلاهبه
بيـوم من الشـعـرَ تواقـد به الحـصـا
تلوذ بظلال المطايا جـخـادبه
يوم كـداج الليل ضـافن قـتـامـه
فـيه السـبـايا كـالخـواطيف لاعـبه
كـن الـقـنـا مـن بـين ذولا وبـيـنـنـا
كـمـا أرشـيـة بيـر طوال مـجـاذبه
تلقى سـبـايا الخـيل حـامت دّونهـّا
على رمم بين الحـريبين عـاطبـه
وانا فـوق مـا تقـحم شـبـا العـود عندل
شـعـوا مـرفـعـة طوال مناكـبه
طويلة عظم السـاقُ وإف شـبـرها
لهـا مـثل عنق الديك طوع اجـاذبه
لي فـوقـهـا نصب ودرع وطاسـه
أو سـيف بيـمني ابلج ينتـلاذبه
مع طول عـشـر فـيـه زرقـا سنينه
كـالنجم تاضـا في دجى الليل ثاقـبه
فـلا اشـتكي روس البلنزا من الظمـا
سـيـفي ورمـحي من دمـا الضـد شـاربه
فـلا انبـحـتنا من قـريب أكـلابهم
ودبت علينا بالبـغـاضي عـقـاربه
نـحـيـناه بوراك المطايا ويمـن
بنا صـوب خـرب (صـار خـاتن) ثعـالبه
فـلا أوراك الأمـر صـدود فـوره
أصـدود لو انه جـزال وهـايبه

كـــن عـــنـــه أغـــنـــى مـــنـــه عـــنـــك ولا تـــكـــن
جـــزوعٍ ابلا حـــقـــقـــت بالقـــفـــا ركـــايبـــه
قلتـــه على بيت قـــديم ســـمـــعـــتـــه
على مـــثل مـــا قـــال التـــمـــيـــمي لصـــاحـــبـــه
ولا تـعـــيـــب الدوحـــة إلا من أصـلهـــا
ولا آفـــة الانـــســـان الاقـــرايبـــه
مـــا قـلـتـــه الا والـركـــايـب ذوالـف
عن الواش والحـــســـاد والنجم قـــاطبـــة
مـــوت الفـــتى في كل واد ســـملـج
خلي من الأوناس قـــفـــر جـــوانبـــه
على الرجل أشـــوي من قـــعـــوده بديره
يموت بـه والـذل طـول مـطـانـبـــه
من قـلط الـهندي ووخـــر بـه العـــصـــا
جـــلا الهم واصـــبح نـازح عن قـــرايبـــه
فـــلا خطـر يوم أبيـــدني منيـــه
ولا حـــد ينجي من الموت صـــاحـــبـــه
صلوا على خـــيـــر البـــرايا مـــحـــمـــد
نبي الهـــدى وأزكى قـــريش مناســـبـــه

***

اللحيدي ينال العفو بسبب قصيدة

كانت حياة البادية عبارة عن غزوات متتالية ، وسلسلة من المعارك الدامية التي ما أن يهدأ غبارها في جهة حتى يثور في جهة أخرى . وقد اعتاد الناس على هذه الحياة وتأقلموا معها ، حتى أن الشاب تجده زاهدا فيما يملكه جماعته

وأهله ، طامعاً وأنظاره تتجه دوما إلى ما يملكه الآخرون .

فقد كان ما يحصل عليه بالقوة والسلب والنهب مصدر فخر عنده ، بينما يعاب على المتقاعس الذي لا رغبة عنده في النهب ولا يغنم رزقه بنفسه .

وفي وقت ما . . حاول بعض الشيوخ وقف هذا النزيف المستمر ، في ظل وجود بدائل توفر الرزق للإنسان بأمان وحياة هادئة .

حيث قام الشيخ عبد المحسن بن هذال – من شيوخ قبيلة عنزة – بمحاربة هذه العادة ، فوزع على جماعته قطع أراض صالحة للزراعة ، ليقوموا بزراعتها والاستفادة مما تنتجه لتكون سبيلا في القضاء على ظاهرة الغزو والفوضى .

ومن ضمن الذين حصلوا على أراض الشاعر اللحيدي سرور من الحبلان ، وهو فارس فخذ البسسات ، وقاد جماعته في معارك عدة ، وهو غير معتاد على هذه الحياة ، فلما لم يوفق في زراعته قال متندرا من حال جماعته مع «الفلاحة» والزراعة . . ومتشوقا إلى حياة الغزو والإغارات :

يا حسين زرعك فدوتك بالسنافي
من بد ربعك عد زرعي بصعنون
مضارب الفدّان بيض نظاف
غير التعب يا حسين ماش على لون

وكذلك قوله :

يا ما حلا يا حسين وان صاح صيّاح
تجيك دقلات تروّي السيوف
خيل تنازى بالحبالين وسلاح
وشلف سهوم الموت فيها تشوف
من عقب ما اصوّت لربعي بالأملاح
على شلوخ منيّلات الظلوف
اليوم أنا يا حسين يابوك فلاح
انقل فدادين الخشب بالكتوف

فكانت هذه الأبيات التحريضية كافية لأن تهدم كل ما بناه الشيخ عبد المحسن ، إذ ما إن سمعها شباب «الحبلان» حتى اشتعلت صدورهم حماسا ونفضوا عن أجسادهم دفء الراحة والهدوء ، فكانوا تحت جنح الظلام يسري الاثنان والثلاثة منهم إلى البلاد المجاورة مشاركين رجال البادية في غزواتهم .

فلما علم الشيخ عبد المحسن بما قاله الشاعر غضب عليه بشدة وأقسم أن يرحل عنه .

فلما رحل الشاعر اللحيدي ، أرسل إلى صديق له يعمل عند الشيخ عبد المحسن مزارعا يطلب منه أن يؤدي عنه ديوناً عليه ، واسمه حسوني وهو بالرزازة ، فأدى الدين الذي عليه ، فقال اللحيدي يمتدحه :

يا ناس ياللي للدعا تسمعون
بيضا وبيرقها مع الناس منشور
يستاهل البيضا شوارب حسوني
اللي جدع عني من الهم طابور

فلما رجع الشاعر اللحيدي ، وقد اكترى إبلا يحمل عليها متاعه وأثاثه لأنه لا يملك إبلا ، جاء إلى الشيخ عبد المحسن ليودعه وقد قال أثناء موادعته قصيدة منها هذه الأبيات :

قال اللحيدي له جواب وكيدي
أقولها والله شهيد عليها
أقولها بالشيخ ولد الحميدي
زبن الطحوس اليا تردت يديها
يا شيخ والله ما شفاتي بعيد
ولا ودي اسكن ديرة منت فيها
شفاة . . وإلا نعمتي عند سيدي
مضمونة عند الولي ما عليها

شـــفي مع الحـــبـــلان فـــتـــخـــان الأيدي
من خـــوف راعي قـــالة مـــحـــتـــســـيـــهـــا

عند ذلك عفا الشيخ عنه ، وسمح له بالبقاء بشرط أن لا يعود إلى ما فات .

***

نصائح لا تقدر بثمن

نسمع كثيراً على سبيل المثال مقولة : إن النصيحة قديماً كانت تباع بجمل . دليلاً على عظم فائدة النصيحة .

وهذه قصة فتى من بيت إمارة ، كان آخر من بقي من أسرته فتربى في بيت خاله ، وكانت عند خاله بنت غاية في الجمال والأخلاق يمنع عنها الخاطبين لأنه يريدها لهذا الفتى . لكنه عندما عرض الأمر عليهما رفض الإثنان فالفتى يعتبرها مثل أخته وهي كذلك .

لكن الخال غضب وأصر على رأيه ، وزوجهما ، وفي صباح اليوم التالي خرج الفتى دون أن ينتبه أحد وغادر القبيلة . ولم يعرف أحد وجهته واستمر غيابه خمسة عشر عاماً . وقد شاء الله أن تنجب البنت منه ولداً في تلك الليلة ، وأثناء هذه الفترة كان خاله مات وعاشت المرأة مع ولدها . وقد تقدم لها كثير من الخطاب اعتقاداً بأن زوجها قد مات وهي ترفض .

أما الشاب فإنه عاش عند إحدى القبائل راعياً حيناً وحيناً يغزو معهم إلى أن جاء يوم فكر أن يعود إلى قومه فاستأذن من معزبه ، فقام المعزب فعزل له حلاله ونصيبه خلال هذه الفترة من الأعوام . فإذا لديه عشرون ناقة وهي تعتبر ثروة في ذلك الوقت .

ولما سار بها تبعه رجل ، وقال له : إن حلالك كثير وستمر بقبائل معادية ولن تسلم بها ، فما رأيك أن تبيعني إياها بثلاث نصائح . وفكر الشاب الذي أصبح رجلاً بعد هذه السنوات واقتنع بالعرض فوافق .

فقال له الرجل : الأولى لا تنم في مجري سيل ، والثانية لا ترافق الأعور الأمرد ، والثالثة إذا هممت بأمر الليل اتركه للصباح وإذا غضبت بالنهار فانتظر إلى الليل .

فحمل هذه النصائح وأكمل سيره على ذلوله .

وعندما وصل إلى الوديان معروفة باسم الأبيض في الشمال وهو مجرى سيل عظيم صادف ركباً من التجار أناخوا هناك للعشاء والراحة فانضم إليهم . فلما جاء وقت النوم تذكر النصيحة الأولى فقام إلى تل مرتفع وما هي لحظات وإذا بالسحاب يتراكم وتنهمر الأمطار غزيرة وإذا بالسيل يغرقهم ويجرف الأمتعة وغيرها . . فلما انكشف الصباح وجد أن أحداً منهم لم ينجو . فحمل ما استطاع من الأموال وأكمل سيره . فلما انتصف النهار صادفه عابر سبيل وإذا به على الصفات التي حذره الرجل منها في النصيحة الثانية ، فعينه عوراء وهو أمرد لا ينبت الشعر في وجهه . فترافقا . . ولما حل الليل وأناخا للعشاء وجاء وقت النوم قال لرفيقه : نم في الجهة الثانية لتكون الذلول بيننا حراسة لها . ولما نام صاحبه قام فوضع شجرة تحت فروته وغطاها واختبأ في مكان قريب ليرى ما يحدث حسب النصيحة .

وبعد قليل قام الأعور الأمرد وحمل حجارة كبيرة وهوى بها على موضع الرأس تحت الفروة وكان هو من خلفه فضربه بقناة كانت معه ، فتركه ميتاً وغادر المكان .

وعندما وصل إلى قومه ، حل ضيفاً عند رجل من قومه لم يعرفه لطول الفترة . وبعد تبادل الأحاديث عرف أن خاله مات . فسأل مضيفه عن امرأة تصلح للزواج . فقال المضيف وأشار إلى بيت المرأة التي كانت زوجته قائلاً : هذه توفي والدها وكانت متزوجة وزوجها هرب منذ زمن طويل ويبدو أنه متوفي وهي ترفض الخُطّاب . . وربما تقبل بك .

فلما نام المضيف . . أخذ يراقب بيت المرأة فشاهد رجلاً يدخل عندها .

فتملكه الغضب وكاد أن يلحق به ليقتله . لكنه تذكّر النصيحة الثالثة فعدل عن رأيه ونام .

وفي الصباح سأل مضيفه : كيف تقول إن المرأة بلا زوج وقد شاهدت رجلاً يدخل عندها البارحة؟ فقال الرجل : نسيت أن أقول لك أن عندها ابناً من زوجها الذي أخبرتك عنه .

فحمد ربه وأخبر الرجل بشخصيته وعاد إلى زوجته .

وهكذا كانت النصائح أغلى ثمناً من النياق التي ابتاعها بها .

***

حسنة لله!

هذه قصة حايف من قبيلة حرب يدعى عياد بن لافي الحنين ، في وقت سابق كانت الحيافة مصدراً من مصادر الرزق والمعيشة ، حيث يتسللون إلى مضارب الأعداء فيختطفون ما يستطيعونه من المواشي .

ففي احدى الليالي اقترب (عياد) من أحد البيوت متسللا ، فسمع حواراً بين الزوج وزوجته ، كانت تطلب منه حلب ناقة لبنها وفير كما يبدو ، والرجل يرفض ما تريده ، فتركهما عياد وانتبه إلى صوت امرأة في أحد البيوت القريبة كان تحدّث أبناءها وفهم من كلامها أنهم في أشد ما يكونون عليه من الجوع ، رغم أن العادة عند أهل البادية أن لا يبدي الواحد حاجته أو شكواه من كرب أو جوع بل يظهر الجلد والصبر ما أمكنه .

وفهم عياد أيضاً أن المرأة هذه هي زوجة الرجل الثانية .

فقام إلى بيت الرجل بعد أن نام من فيه وسرق غلة تمر ، وقسمها إلى نصفين ، نصف وضعه في بيت المرأة الجائعة ونصف أخذه إلى رفاقه . ثم ذهب وحلب للمرأة وأطفالها من أطيب الإبل لبناً وتركه لهم في البيت ، وعاد فاختطف ما قدر عليه من الإبل وانهزم بها . وكان قال هذه الهجينية يذكر فيها

إحسانه إلى المرأة . . يقول :

عـــــملـت بـه حـــــــسنـة لـلـه
مـــا ريد مـــخلوقٌ يـوفـــيـــهـــا
ابـغـي الجـــــزا مـن رفـــيـع الجـــاه
رب البـــريـة ووالـيـــهـــا
الـلـي خـلـق خـلـق مـــا ينـســـاه
بـنـاي الأطـواد مـــرســيـهـــا
مـــحـــيي هشـــيـم يبس من مـــاه
تـلـقـى الـزهـر زاهـي فـــيـــهـــا
تعــمـنـي رحـــمـــتــه وحــمــاه
بأســبـــاب حـــسنة مـــسويهـــا

***

ثلاثة وثلاثة وثلاثة لا تغني عن ثلاثة!

تروى هذه القصة عن أحد أشراف مكة القدماء ، كان حاضر البديهة ومولعاً بالألغاز ، ودائما ما يمتحن من حوله ويضع جوائز لمن يصلون إلى الحلول .

كان الشريف في أحد أيام الشتاء الباردة سائرا ومعه مجموعة من تجار البلد ، فصادف في طريقه «سقا» تناثر الماء على ملابسه ، فأشفق عليه وسأله بطريقة غامضة : «ثلاثة وثلاثة وثلاثة ألا يكفين عن ثلاثة؟» .

وكان «السقا» لماحاً فأجاب : «لا . . أدين دينا ، وأوفي ديناً ، وارمي في البحر» . . فقال الشريف : لا تبع رخيصا! . . فأجاب السقا : لا توص حريصا!

فلما ذهب السقا ، قال الشريف لمن حوله : ماذا فهمتم؟ . . فأجابوا : لا شيء . فقال : هذا السقا البائس يفهم ما أقول وأنتم في رغد العيش لا تفهمون

شيئا .

واعطاهم مهلة ليجدوا الجواب وتوعدهم بالعقاب ان لم يجدوا الحل .

فتفرقوا يبحثون عن السقا ليعطيهم الحل ، والشريف يعرف بأنهم سيلجأون إلى السقا لذلك أوصاه ألا يبيع رخيصاً لأنه يريد منفعته .

وفعلا كان من يصل إلى السقا يشتري الحل منه بثمن مجز مشترطا عليه ألا يخبر رفاقه .

وهكذا كان الشريف سببا في مساعدة «السقا» الفقير من أموال التجار .

أما تفسير الكلام الغامض بين الشريف والسقا ، فإن سؤال الشريف : «ثلاثة وثلاثة وثلاثة ألا تكفي عن ثلاثة؟» يعني ثلاثة أشهر الصيف وثلاثة أشهر القيظ وثلاثة أشهر الصفري ألا تكفي السقا عن ثلاثة أشهر الشتاء فيرتاح؟ وكان جواب السقا : أدين دينا أي أدين أبنائي بما أقوم به من أجلهم لعلهم إذا كبروا يؤدون وفاءه ، وأوفي دينا أي عنده والداه كبيرا السن يرعاهما ويقوم بخدمتهما جزاء ما قاما به .

وارمي في بحر يقصد الزوجة وشبهها بالبحر ، ان طابت العشرة تثني عليه وتذكر جميله وإذا تغيرت العشرة انكرت ما مضى وقالت : لم أر خيرا منك قط .

***

وسيم ومغفل!

هذه حكاية رجل وهبه الله الوسامة ولاشيء غيرها ، إذ كان مغفلا بدرجة لافتة ، وعنده زوجة لا تخلو من ذكاء وحكمة ، وكان شيخ قبيلة قريبهم عنده وله مجلس كبير يحضره عموم القبيلة .

وكان الرجل الوسيم يهاب حضور المجلس بين الرجال ، فسألته زوجته عن السبب ، فقال : أخشى أن يهزأ الرجال مني ، فأنا لا أحسن الرد حول بعض

الأمور .

فأشارت عليه أن يلزم الصمت ويكتفي بهز رأسه حين يضطر ، فأخذ برأيها ودخل المجلس .

وبينما هو جالس لاحظ عليه أحد الرجال أنه لا يشاركهم الحديث بخاصة وأنهم يتحدثون في موضوع ذي أهمية ويتطلب الرأي والمشاركة .

كانوا يتحدثون حول «سعر» يصيب السباع التي تقع على لحوم القتلى في الحروب قبل أن تدفن فتأكل منها ، فيصيبها سعار إذ تهجم ليلا على البيوت وتخطف الصغار . وهم يشتكون للشيخ ، والشيخ يطالبهم بترصدها وقد وضع جائزة لمن يقتل الحيوان المسعور .

فعلق ذلك الرجل بقوله : أظن لا يستطيع قتله إلا هذا . وأشار إلى الرجل الوسيم . فقال الشيخ : أتفعل ذلك؟ . . فهز رأسه موافقا . فقال : أتريد سلاحاً؟ . . فهز رأسه موافقا أيضا . فأعطاه السلاح .

وعاد الرجل الوسيم بالسلاح إلى زوجته وقال : لقد وضعتني في ورطة . فقالت : ربما كان في ذلك خير لك .

فركبا الجمل تحت جنح الظلام ، وارتحلا في البادية يلتمسان أخبار هذا السعر ، وفي أحد الأيام وبينما هما نازلان عند عرب جاء رجل يبشر بأنه قتل السعر وتركه في مكان حدده .

فركب الرجل وزوجته إلى المكان الذي وصفه ، ووجدا السعر مقتولا فاجتز رأسه ورجع به إلى الشيخ ليؤكد أنه قتله . فصارت له مكانة ونال جائزة الشيخ .

وكان للشيخ عادة سنوية ، إذ كان يجري سباقا بين الخيل . وفي السباق فقد الشيخ خاتمه وعليه اسمه منقوشاً . فجعل جائزة لمن يعثر عليه . فقام الرجل الأول وقال : أظن لا يعثر عليه إلا هذا . . وهو يقصد صاحبنا الوسيم ، بسبب حسده له من الحادثة الأولى التي نال عليها جائزة . . المهم . . سألوه فهز رأسه كعادته . . وقال : اجمعوا دجاج الحارة في الميدان ، لأنه رأى ديكا يلتقط شيئا

من الأرض فاعتقد في نفسه أن يكون التقط الخاتم . ونفذوا ما طلبه فأشار إلى الديك من بين الدجاج وقال : شقوا بطنه . فلما شقوا بطن الديك وجدوا الخاتم . . فازدادت مكانته وحصل على جائزة .

أما الرجل الذي يحسده فقد ازداد حسدا وصمم على حيلة تكشف بله هذا الرجل . فأتى بقوارير واحدة فيها ماء حلو والثانية فيها عطر وطيب والثالثة فيها مرارة . فأتى بها وقال أمام الحضور : أخبرني ماذا في هذه؟

فوقع في يد الشاب الوسيم ، وتذكر حادثة السعر فقال : الأولى يا حلوها . فتعجب الرجل وقال : والثانية؟ فقال : يا طيبها . . وهو يقصد حادثة الخاتم والديك . فزاد عجب الرجل وصاح : والثالثة؟ . . فقال : ما أمرها . . وهو يقصد ما هو فيه الآن . . حيث لا يعرف ماذا في هذه القوارير ! !

***

سبع الرجال يعف عن المرأة

هناك من القصص ما قد تبدو غريبة إلا أنها في خلاصتها تنم عن حكمة وعبرة لمن يتمعن ويعتبر .

يقال أن زعيماً أو صاحب مكانة كبيرة ، ذكرت له امرأة بارعة الجمال وهي متزوجة ، فوقعت في قلبه ، إذ أرسل بطريقة خفية من يخبرها أنه يريد رؤيتها . فامتثلت إلى أمره وهي على عفة وشرف إلا أنها استنكرت منه هذا الفعل وصارحته بأن الانتباه لحماية بلاده والابتعاد عن الأمور المخزية هو ما يليق به . ولما أبدى لها رغبته رفضت بشدة ومضت .

بعد مدة فوجيء برسول منها تطلب حضوره . فتعجب من تغير موقفها وكان سبب حضوره أولاً ليعرف الأمر الذي جعلها تغير رأيها . . وكان السؤال الذي ألقاه عليها أولاً فأجابته : كنت مع زوجي ، قبل أيام نقف هنا ، فشاهدت جيفة ملقاة اجتمعت الكلاب عليها تنهش منها ، ثم جاء كلب فهربت من

وجهه كل الكلاب وأخذ يأكل لوحده والكلاب تراقبه من بعيد .

وقد استغربت ، وسألت زوجي عن ذلك فأخبرني أن لكل نوع سبع وهذا هو سبع الكلاب ، وكلها تخاف منه ، مع أنه لو يجتمع عليه كلبان آخران لتغلبا عليه ، أو يأتيه كلب بقوته فيطرده . لكن له هيبة تنزل في نفوس الآخرين من نوعه فلا يجرؤ عليه أحد ، وكذلك الإبل لها سبع يكون من الرعية ، جمل قوي يحميها من بقية الجمال ولا يتحرك جمل إلا ويضربه فهو المسيطر عليها .

وكذلك بين الرجال يكون هناك سبع له هيبة وسطوة ، فلا يجرؤ أحد على الاقتراب من حدوده . . وأكملت المرأة : وقد ذكر زوجي أنك سبع الرجال ، لذلك طلبتك لأرى ما هي ميزة سبع الرجال وبماذا يفرق عنهم .

فقال هذا الزعيم : أنت من الآن حرام علي ، وهذا أقل ما أكافيء به زوجك على إشادته بحقي ، ومن اليوم سأتابع أخبارك فإن سمعت عنك ما يسوء فإن قتلك سيكون على يدي .

ولم يمسها بسوء وعف عنها .

***

عسى بالأمر خيرة

عن عمر - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا» .

أي لو أن الناس في ذهابهم ومجيئهم توكلوا على الله تعالى ورأوا أن الخير من عنده وبيده ، لم ينصرفوا إلا سالمين غانمين .

وهذا شيخ - كبير في السن - كان شديد الثقة بالله عز وجل متوكلا عليه في كل أموره ، فكان من عادته أنه إذا ما حدث أمر مفرح أو وقعت مصيبة إلا وتلقى ذلك بعبارة (عسى بالأمر خيرة) ولا تختلف العبارة في كلا الحالين . مما

أثار بعض رجال قومه ، فمنهم من يعتقد أنه غير صادق بمقولته ومنهم من يعتقد أنه يتصنع هذا .

وكانت الماشية هي أغلى ما يملكه المرء في ذلك الزمان ، وأغلاها الإبل والخيل ، وكان لهذا الشيخ «ذودا» من الابل ، وليس عنده من يرعاها ، حيث سرحها مع رعيان جماعته . وفي ذلك الوقت كان الخوف حاضرا على الدوام فالقبائل يغير بعضها على بعض والغزوات متبادلة بين القبائل .

وفي أحد الأيام أراد الرعيان اختبار هذا الشيخ لمعرفة صدق كلامه ، فيما لو خطفت إبله جميعها فهل يردد عبارته المعهودة؟! . . فقاموا بإخفاء إبله في مكان آمن خفي عن الأنظار ، وحين عادوا عند المساء أخبروا الشيخ بأن قوما أغاروا على إبله وأخذوها جميعها ، وأنهم - أي الرعيان - لم يفتقدوها إلا في آخر النهار وقد بحثوا عنها فلم يجدوا شيئا ، فما كان من الشيخ إلا أن قال : (عسى بالأمر خيرة) ولم يزد على ذلك شيئا ، ولم يبد عليه أثر انزعاج أو تذمر .

فلما ناموا ليلهم وقبل بزوغ الفجر ، داهمت الحي غارة من احدى القبائل ، فاستاقوا إبل الحي كلها ، ولشدة المفاجأة لم يجد الغزاة مقاومة بل تركوا رجال الحي ما بين مصاب أو قتيل .

عند ذلك أقبل الرعيان على الشيخ يهنئونه بأن إبله سالمة كاشفين عن الخطة التي نفذوها ، وأن غايتهم اختبار ثقته بربه . . فما زاد على مقولته شيئا (عسى بالأمر خيرة)!

***

اللهم... أنه اليوم ضيفك

روى أحد الأصدقاء هذه القصة ، وهي تحمل من الحكمة والعبرة ، يقول : إن رجلا من البادية حل ضيفا عند صديق له من أهل القرى ، وفي يوم وصوله وبينما هو جالس عند مضيفه ، جاءهم رجل يخبرهم بوفاة واحد من أهل القرية

ويدعوهم للصلاة عليه ودفنه . فسار البدوي معهم وهو لا يعرف الميت ولم يكن رآه . وفي اليوم التالي كان إمام مسجد القرية يسأل بلهفة : هل كان معنا بدوي صلى على الميت؟ . . فأجابوا : لا نعرف إلا بدويا ضيفا عند فلان وربما يكون هو .

فسار الإمام مستعجلا إلى بيت الرجل وعندما وجد الضيف البدوي بادره بالسؤال : هل صليت معنا على جنازة الميت يوم أمس؟ فأجاب : نعم . فقال : اسألك بالله ماذا دعيت له؟ فقال البدوي : لماذا تسأل؟ فقال الإمام : لقد رأيت فيما يرى النائم أن هناك من جاءني وهمس في أذني أن الله عز وجل عفا عن الميت وغفر ذنوبه بدعاء رجل بدوي عليه ، ولا أعرف بدويا غيرك بيننا .

فقال البدوي : والله لا أحفظ من الدعاء شيئا ، ولكني قلت : اللهم إني لا أعرفه ولكنه لو جاءني ضيفا لذبحت له وهو اليوم ضيفك . فسبحان الله أكرم الأكرمين ، إن هذا البدوي أقصى ما يمكن أن يكرم به ضيفا حل عليه أن يذبح له ذبيحة ، فكيف يكون كرم الله عز وجل إلا بالعفو عن عبده وغفران ذنوبه .

***

حتى لا ينقطع سبيل المعروف

من الحكايات المؤثرة . . ان عابر سبيل على راحلته صادف عابر سبيل آخر يمشي على قدميه ، حاملا زهابه على ظهره وعصاه في يده ، فأشفق عليه . وأناخ ذلوله وحمل زهابه على الراحلة وطلب منه ان يركب على الذلول حتى يرتاح من تعبه . وصاحب الذلول يمشي إلى جانبه على قدميه .

لكن ماهي إلا لحظات . . حتى دب الطمع في نفسة ودفع بالراحلة إلى الإمام مسرعا ، يريد ان يهرب بها . فلما شعر صاحبها بنيته اسف لذلك ، وصاح عليه بأعلى صوته : «ياخوي . . لاتقول للناس إنك خنت راعيها لكن قل إنك اشتريتها»!! فتوقف الرجل الطامع ، وقال : ماذا تقصد بقولك هذا؟ . . قال : أخشى ان فعلتك هذه تقطع سبيل المعروف بين الناس! . يقال ان هذا الرجل ندم أشد الندم على فعلته ، فنزل عن الراحلة معتذراً لصاحبها بخجل شديد .

سعيت أنا للجار وابنه بالإصلاح

من الحكايات التي تبين مدى حرص الجار على جاره ومنزلته عنده ، أن مترك ومتروك - من قبيلة عتيبة - جاران ، وبينهما مودة وصداقة . . وكان لهما أبناء دائما مع (الحلال) بعيدا عن البيوت .

وفي أحد الأيام حل عليهم ضيوف ، فأولموا لهم ، وبعد أن انتهت الوليمة ، قال مترك لمتروك : خذ قطعة اللحم هذه واذهب بها إلى الأولاد .

فعل متروك ذلك ، أما الابنان فبعد أن تناولا طعامهما ، شاهدا صيدة من صيد البر ، فأرادا صيدها ، ومعهما بندقية واحدة ، فأمسكها كل واحد من جهة ، وكل منهما يريد أن يكون هو من يصطاد . . وبينما هما كذلك ، انطلقت الرصاصة فأصابت ابن مترك بمقتل . . ومترك هو الذي ظل في البيت ، أما ابن متروك لما شاهد صاحبه مضرجا بدمه ، عقدت المفاجأة لسانه وفر هاربا ، فاجتمع الرجال حول متروك والد القاتل .

ولكن مترك كان من الرجال الذين يتحلون بالصفات الحميدة كالصبر والشهامة واحتمال المصائب لذلك صاح في الجمع قائلاً : لا داعي لاجتماعكم ، هذا أمر بيني وبين جاري ، ولا دخل لكم به .

فلما انفض الناس قال لمتروك : الثقة بيننا لم يتغير منها شيء وأنا أعلم أن ما حدث دون قصد ، وقد سمعت عن كل ما جرى .

وعادت الجيرة بينهما كما كانت .

لكن مترك عندما اختلى بنفسه ، لم ينس أنه أب وأن القتيل هو ابنه . . فأحس بالحسرة تعصر قلبه وأنشد :

يا ونتي بالقلب ماني بمزاح
ارجي ولي العرش يجبر صوابي
يوم ارجهن القلب والبال منساح
جتني مصيبة كتمها قد سطا بي

واثر على قلبي خــــفـــيـــات الاجـــراح
والسم في عـــرض وطول مـــشـــابي
لا من ثبـــات ونبـــرد القلب باســـلاح
جـــيـــران مـــا يعـــرف خطاه وصـــوابي
جـــاري اليـــا من صـــاحت ام الولد صـــاح
وظنيت من عـــقلي صـــوابه صـــوابي
وســـعـــيت انا للجـــار وابنه بالاصـــلاح
وارجى العـــوض من عند جـــزل الثـــوابي
امـــســـوا بني عـــمي تهنوا بالأمـــراح
وانا من الحـــســـرات اخـــفي مـــصـــابي
الشـــيب يا غـــلاب في عـــارضي لاح
والصـــبـــر له من عند ربك ثوابي
وصـــلاة ربي عـــد مـــا بارق لاح
على النبي خـــتـــمت تالي جـــوابي

***

وفـاء الصديـق والجـار

كان بين مهنا ابو عنقا والشيخ مشعان ابن هذال صداقة حميمة ، وابن هذال في الإحساء ينزل عند مهنا ابو عنقا وهو شبه وكيل لمشعان حيث يبيع ويشتري له ، وكانا يتبادلان الأشعار ، وكثيرا ما تسامرا بالأحاديث والقصائد .

وعندما كبر ابو عنقا ضعف بصره ورقت حاله المادية ووصلت هذه الأخبار إلى ابن هذال فشعر بالأسف لما آلت إليه حال صديقه ، وركب إلى الإحساء متخفيا وحل ضيفا على (ابو عنقا) هو وأصحاب له وقد تظاهر بالرمد حتى يخفي وجهه ويقل حديثه والقصد لكي لا يعرفه ابو عنقا ، أما ابو عنقا فلم يكن

عنده ما يقدمه لضيوفه . . فذهب إلى جاره ليستعين به فإذا بالجار اسوأ حالا . . إلا أنه كان لديه قليل من القهوة أعطاها (لأبو عنقا) وقال : نادمهم بالقهوة ريثما اتصرف! وهكذا طلب من زوجته أن تذهب إلى بيت جاره لمساعدة زوجته في إعداد الوليمة لضيوفه ، وبعد خروجها أخذ من حليها وباعه فاشترى بالثمن ذبائح لكي يستر وجه جاره أمام الضيوف وهذا من وفاء الجار .

أكرم أبو عنقا ضيوفه وتفرقوا بعد أن حل وقت النوم ، حيث تركهم ينامون وذهب إلى الداخل ، فقام مشعان إلى صندوق يضع فيه ابو عنقا فناجيل القهوة كما هي العادة فأودع فيه صرة نقود كثيرة وترك مفتاحه في المكان الذي وضعه فيه ابو عنقا . . وسرى مشعان وأصحابه ليلا ولم يعلم ابو عنقا برحيله . . إلا أن ابو عنقا وجد المال وعرف أن ضيوفه هم مشعان وجماعته . . وبالطبع لم ينس جميل جاره فتقاسما النقود بينهما .

***

أصدقاء أوفياء

أحداث هذه القصة جرت في (بريدة) في الزمن السابق . . وهي تبين مدى وفاء واخلاص الأصدقاء .

أبطالها أصدقاء ثلاثة اعتادوا الاجتماع بعد أن ينتهوا من أعمالهم الصباحية على (شبة القهوة) في وقت الضحى عند واحد منهم ، وقد سبقهم الداعي في ذلك اليوم على أن يلحقوا به . . ثم تذكر أن يمر في السوق لحاجة ما . فلما سبقاه وطرقا الباب ظنا منهما بوجوده في الداخل . جاوبتهم زوجته من وراء الباب بطريقة فيها ازدراء واحتقار باللحظة التي دخل فيها زوجها من الباب الآخر ، وسمع كل شيء . . فقال لها : أنت طالق !

فعل ذلك تقديرا لأصدقائه ، وعدم رضاه عن إهانة زوجته لهما ، وهما قد سمعا كلامه .

فلما غادرا من عنده ، قال أحدهما للثاني : ما رأيك؟ . . صديقنا طلق زوجته بسببنا ، وأنت عندك أخت في سن الزواج ، وأنا على استعداد لتحمل تكاليف الزواج كافة . . واتفقا على ذلك .

وعندما التقوا في المساء ، قالا له : أنت عريس مساء غد - إن شاء الله - على أخت فلان وقد دفعت مصاريف الزواج .

وبالفعل تم الأمر .

وهكذا هي الصداقة الحقيقية بين الرجال ، فهل بقي منها شيء في هذا الزمن؟ !

***

يا ذيب قم عو

في الزمن السابق كانت الحياة صعبة ، وأساسيات العيش غير متوافرة ، من ذلك كانت القهوة نادرة . . ولقلتها تجد أن بين العرب رجلا - أو رجلين على الأكثر - يحرص على عمل القهوة في وقتها حيث يجتمع عنده جماعته .

ومن هؤلاء الرجال ، كان (رشيد بن مقلقل العرادي) من قبيلة بلى ، وقد عرف بالكرم وحرصه على القهوة وفي شبابه وهبه الله قوة جسدية هائلة ، ولعل هذه الحادثة تبين لنا مدى قوته .

حيث أغار قوم على ابله وأخذوها ، ولم يكن عنده فرس ، فاضطر أن يلحق بهم سيرا على الأقدام ، وكان يتبع آثارهم ، فلما حل الليل وتوقفوا للراحة ، كمن قريبا منهم حتى حانت الفرصة فتسلل إلى عقيد القوم واسمه (حمد) فأطبق يديه على فمه وحمله على ظهره وعاد به !

فلما أفاق الغزاة صباحا افتقدوا زعيمهم واكتشفوا الأثر وعلما بما جرى .

فارسلوا يطالبون باطلاق زعيمهم فقال لهم رشيد : هو عندنا على الرحب والسعة ، ولن يعود لكم إلا إذا أعدتم الإبل . فرضخوا للأمر وتم له ما أراد .

وقد ذكر ذلك شاعر من قبيلة بلى في بيتين من الشعر :

يا رشـيـد يا شـوق البني الرعـابيب
شـوق الهنوف اللي تجلي عـذابه
خطف حـمـد واقـفى كـمـا يقـفي الذيب
يا ليـتنا حـضـار يوم التـوى به

وبعد أن بلغ - رشيد بن مقلقل - سن المشيب ، حمل أبناؤه أعباء تصريف الأمور ، وأصبح المال في حيازتهم ، حيث ينزلون إلى (الديرة) لشراء حاجياتهم ، ويجتهدون خصوصا في شراء القهوة إلى والدهم الذي يشدد في وصاته عليها .

وفي أحد الأيام كانت كمية القهوة التي اشتراها الولد قليلة فلم يرض الوالد ، الذي تمتم قائلا : «ليه ما كثرت القهوة والهيل» . وربما لم يسمع الولد أو لم يفهم ما قاله والده فقال لأمه : ماذا يقول الوالد؟ فقالت الأم - بلهجتها : «اخصره عنك هذا شايب قلبه مريحاني» .

فاستاء رشيد من هذه الكلمة وتذكر شبابه وقد لاحظ الابن ذلك عليه ، وعرف أن والده تأثر من الكلمة لذلك لم ينم ليلته ، بل تظاهر بالنوم وهو يراقب والده ، أما الوالد فعندما ظن أن الجميع ناموا تمثل بهذه الأبيات :

ياللي بقـولك شـايب مـريحـاني
الله مـا بالقلب عـقـدات ولوو
يـا ذيـب وان خـليـت عـليـك المكـانـي
ولجلج عليك الجـوع يا ذيب قم عـو
ولا يـعـوي الا بـارد الـزنـد وانـي
او من عـيـاله عن هوى باله انحـو
هـاتـوا لـنـا بن وباقي المعـانـي
يعـبـا لأهل شـيب الغـوارب اذا جـو

حــــــــتى يـجـي لــونـه اذا صـب قـــــــاني
بــرنـــوق والاريـــق طـيـــــــــــــــــر تـرى هـــو
صـــــبـــــه وبد . . ابهــــا طوال الـيـــمــــــاني
حـــــتى تشــــوف ان المضــــاريم يـحــــيــــــو
واقـــــصــــــر عن اللي مــــا يـعـــرف المعــــاني
حــــتـــيش لـو راحـــوا وحــــتــــيش لو جـــو

لما سمع الابن قصيدة والده نهض في لحظته وركب ذلوله وسرى ليلا ليشتري ما يريد والده من القهوة والهيل ، وأكثر منها .

***

وصية الآباء وصفات الرجال

دائما يحرص الآباء بما يملكون من تجارب في الحياة ، على زواج أبنائهم من النساء الصالحات ، وهذا أحدهم أوصى ابنه بأن يتزوج من فتاة طويلة قصيرة! . . وهي عبارة غامضة لم يفهم الابن مغزاها إلا أنها بقيت في ذهنه . . وفي أحد الأيام وجد فتاة تحتطب لأهلها فسألها عن المعنى ، فأجابته : طويلة . . أي طويلة العشرة مع الزوج وحفظ نفسها والمحافظة على بيته في غيابه إن طال الغربة . وقصيرة . . أي قصيرة الخطوة فلا تخرج من بيتها إلا لسبب ضروري .

وقيل إن الشاب تزوج من هذه الفتاة فهي ضالته التي يبحث عنها حسب وصية والده .

وهناك عبارة دارجة عند العامة في وصف الرجال ، فيقال : رجل ، ونصف رجل ، ولا يعد رجل . فالرجل هو الذي امتاز برجاحة العقل وكثرة التجارب ويحرص مع ذلك على استشارة غيره في أمور فيختار ما يراه مناسبا . ونصف الرجل من وهبه الله العقل ، إلا أنه يعتمد على رأيه ويعتد به ولا يشاور أحدا . أما الذي لا يعد رجلا فهو ناقص العقل ومع ذلك لا يقبل مشورة من أحد .

ومن الأبيات في وصف الرجال ، هذه المعاني الجميلة للشاعر جروان بن مبارك القحطاني :

ترى الرجـــال اشكال يا فـــــهـــيـــد واجناس
لاشك تجـــملهـــا ثيـــاب عليـــهـــا
أحـــد يقـــوم بحـــجـــة مـــا لهـــا ســـاس
واليـــا تعـــايـس دربهـــا مـــا قـــواها
واحـــــد يـجـي بين المخـــــاليق بلاس
حـــســـو الظفـــر والمرجله مـــا بغـــاها
وأحـــــد يجي بين القـــرابات قـــبـــاس
هـدو أم ســـيـــلان قـــريب مـــداها
اللى بنى له حـــجـــرة مـــا لهـــا ســـاس
خـطر علـيـــــه اليــــا رقـــــد في ذراها

***

قولوا ترى ابوكم حلف

كان يحدث في الزمن السابق ، ان ينزح البدوي من بلده إلى بلدان مجاورة إما بحثا عن المرعى الخصب أو تلمسا لأسباب الرزق ، وقد يكون ذلك بسبب الدم أو يكون مطالبا بثأر فيلجأ إلى قوم بعيدين عن مواطنه «جاليا» ويعيش عندهم ، وربما أكرموه وألف العيش معهم فيتزوج منهم ويظل عندهم إلى الأبد أو يعود بعد ذلك .

هذا «ابن جريد» من قبيلة شمر ، كان عليه دم ، فغادر بلاده في نجد وارتحل شمالا حيث حدود سوريا والاردن ، وحل جارا عند «شبلي الأطرش» أمير الدروز ، وكعادة أهل البادية وجد الإكرام والحفاوة .

وابن جريد هذا له ولدان في سن الشباب هما سيف وشوردي ، تميزا

بالشجاعة والعفة والأخلاق الحميدة ، وبعد مدة أرسل جماعة «ابن جريد» يطلبون منه العودة حيث تم حل الإشكال وتسوية الأمر ، فقال لولديه : «نبي ديرتنا واهلنا وربعنا» . فقال الولدان : تقدم وسوف نلحق بك . فأخبرهما بأنه سوف يخطب لهما من بنات الجماعة .

وبعد فترة . . عندما أراد الولدان اللحاق بوالدهما ، قال الشيخ شبلي : «ان مشيتوا تراني خوي لكم» . . قال ذلك إعجابا بهما ولقربهما من نفسه ، اضافة إلى ذلك فإن لهما هيبة في نفوس بعض أقاربه ، فثمة خلافات كان الشيخ شبلي يخشى من تطورها بينما يكفل له وجود سيف وشوردي عدم تجرؤ أقاربه على فعل شيء . . وهكذا تأخرا عنده .

أما الوالد «ابن جريد» فقد شعر بالقلق عند تأخر ولديه ، فأرسل قصيدة يحثهما من خلالها على سرعة المجيء ، ذكر فيها أسماء أبنائه وطريق المسير والدلالات . ويبدو أن قلقه كان في محله إذ سرعان ما حملت الأنباء خبر موت ابنه «سيف» . . وكانت المصيبة مفاجأة حيث سقطت أخته ميتة عند سماع الخبر .

وهذه قصيدة ابن جريد . . يقول :

يا راكبٍ من فـــوق عـــشـــر على لون
شـــعلٍ يهـــاوزن الأظلة خـــواتي
عـــجـــلات طفـــقـــات اهلها يتـــبـــارون
مـــثلَ الجـــريد ارقـــابهن ناحـــلاتي
قب الضلوع ارقـــابهن تقل مـــازون
فج العـــضـــود مـــتـــونهن نابيـــاتي
يا عـــيـــال كـــان أنتم لحـــوران تبـــغـــون
يا مـــوافـــقين الخـــيـــر اخـــذوا وصـــاتي
بالله عليكم ريضـــوهن على الهـــون
لما تجـــيـــب الحـــبـــر هو والدواتي

نكتب جـــواب زاهبٍ قـــبل تمشـــون
جــواب احلى من حليب الفـــتـــاتي
مـــدّوا من «التـــيم» عـــاكم تردون
والعـــصـــر من عند «النقي» ممســـياتي
والثـــانيـــة في قـــرب «الأزرق» تحطون
خـــمـــوا عـــشـــاكم بالعـــجل خـــايفـــاتي
لاجـــيـــتـــوا «الزيرا» تراكم تخـــافـــون
بالليل ســـمع ، وبالنهـــار التـــفـــاتي
امـــســـوا يســـار الحـــد واصـــحى تتـــيـــهـــون
ترى النعـــايم ســـبـــعـــة بيناتي
ويمضي في قصيدته إلى أن يقول :
والتـــاســـعـــه من خلف حـــوران من دون
مـــثل النعـــام ان جلعـــدن رايحـــاتي
ليله ثلاث يم «غـــــزه» تعـــدون
من «الرحـــيـــبـــه» دوروا للجـــاتي
مـــيـــعـــادهن في بيت الأطرش تلاقـــون
عطواً شـــوابيش الغنا لاقـــيـــاتي
سلم على اللي مـــدوني وخلون
ســـيف وشـــوردي . . نور عـــيني شـــفـــاتي
قـــولوا ترى ابوكم حلف كـــود تاتون
وامـــا لفـــيـــتـــوا حـــالف غـــيـــر يأتي
الأجنبي بديار الأجـــنـــاب ممـهـــون
لا صـــار مـــا يقـــوى على الطايلاتي

***

ليس للكرم عند الإنسان زمان أو مكان محدد ، لكنها صفة ارتبطت بالبدوي وحرص عليها أيما حرص .

وهذه قصة تروى عن رجل اشتهر بالكرم ، هو سالم بن صويلح من آل عطية من قبيلة غامد - احدى قبائل الجنوب - وغامد فئتان واحدة بالبادية والأخرى بالحاضرة . ويحكى أن غزوا من قومه طال بهم السير دون أن يغنموا شيئا فنال منهم التعب وأنهكهم الجوع وعادوا بخفي حنين كما يقال .

وكانوا بطريق عودتهم يمرون على أطراف قبيلتهم ، فقال قائل منهم : من تعلمون من قومنا يمكن أن يستضيفنا؟ . . فأجابه أحدهم : سالم بن صويلح مع هؤلاء العرب الذي أمامنا . فطلبوا من أحدهم أن يتقدم ويرى إن كان يستقبلهم أم يبحثون عن غيره . فقال : لكني لا أعرف بيته . فقالوا : إن أمام بيته عمودين تذبح عليهما الذبائح . فلما أقبل عليه رحب به سالم بن صويلح وسأله إن كان ضيفا؟ فقال : نعم . . وورائي ضيوف . فقال سالم : الله يحييكم قليلا كنتم أم كثيرين .

وأولم لهم وأكرمهم . . وكانت عنده زوجة ناشز عنه ، فسئل عنها فأجاب : يبدو أنها تريد رجلا أكثر شبابا مني . ثم هاضت قريحته وقال هذه الأبيات مبينا أن الشيب قد كسا شعر رأسه وأنه حريص على خصال الرجولة . . يقول :

يا أهل الركاب الضمّر الحافياتي
وصلن إلى نجد وجني مناكيف
حقبانها من بطنها قارباتي
ومزاهب ما عاد فيها مصاريف
تغانموني حد باقي حياتي
إن كان تبغون الشحم وأشقر الليف

تـلـقــــــــــون عـنـدي دلـتـين خــــــــــواتـي

ويمنى علـى ذبح أمــــــهـــــات الشـــــحم هيف

اليــــــــوم عـــــــافـنـي ازيـان الـبـنـاتـي

شــــــــافـن رأسـي شــــــايـب كـنـه الـلـيـف

يبــــغـن خـــبـلِ مـــا يـســـوي ســــواتي

يبــــرق لهـن وان جـــا ربيعٍ مـــعــــه صـــيف

وان جـــا لـيـــال بالقـــســـا جـــارحـــاتـي

يعـــافـــهـــا من عـــقبْ مـــا هـم مـــواليـف

الـفــــــــرق بـالـلـي يـكـرم المحــــــصـنـاتـي

يرعـى حـــقـــوق الرحم لو جـــا تخـــاليف

مـــن دوّر الــــزلات بــــــ أم الـــبـــنـــاتــــي

لابـد يـلـقـى بـه افـــــتـــــوق وعـــــــواذيـف

الـفــــرق بـالـلـي يـنـقـل الـقـــــاصـــــراتـي

يســــتـــر ويكرم بالسنين الشـــفـــاشـــيف

***

مدّه رهن لولاك!

عرف عن دغيم الظلماوي شدة اهتمامه بعمل القهوة ، وكان عندما يجهز القهوة الأولى يحضر الثانية لتكون الأولى للمستعجل والثانية للقادم . وكان يتعب على تكاليف القهوة ويعتني بأدواتها . لم تكن ناره تنطفيء حتى تكون مهيأة لإعداد القهوة في أي وقت .

وكانت قصيدته :

يـا كـلـيـب شـب الـنـار يـا كـلـيـب شَـــــبــــه

يـا كـلـيـب شــــبّــــه والحطـب لك يجـــــابي

قلّط لهـــا يا كليب من جـــزل خـــبّـــه
وشـــبّـــه الي منه غـــفـــا كل هابي
حنّا علينا جـــيب مـــاها وحـــبّـــه
وعليك تقليط الدلال العـــذابي
إغـــدق ليـــا شـــبّـيـــتـــهـــا ثم قـــبّـــه
تدعي لهـــا ربع ســـراة غـــيـــابي
لو هم بعـــيـــد شـــوف ضـــوّه ينبّـــه
ولّـو هـم قـــريـبين بنبح الكلابي
بنســـرية يا كليب يا شين غـــبّـــه
ليـــا نسنست لكنّهـــا سمّ دابي
مـــتلطمّين وناطحين مـــهـــبّـــه
مـــتكتّـــفين وســـوقـــهم بالعـــقـــابي
خطو الولد يا حـــيف مـــا ينحـــسب به
مـــعـــيـــرة على غـــضـــيـــر الشـــبـــابي
وش عـــاد لو يلبس زبون وجـــبّـــة
يصـــيـــر منهم من حـــســـاب الزهابي
الوالمة يا كليب عـــجّل بصـــبّـــه
والرزق عند اللي ينشّي الســـحـــابي
صـــبّـــه لقـــرمٍ صـــرفـــتـــه مـــا حـــسب به
يوم البـــخـــيـــل مكنهب الوجـــه هابي
وثنّه لمصـــدور ليـــا جـــاه تبّـــه
يرخص بعـــمـــره والدخن له ضـــبـــابي
وعـــده عن اللي مـــا يداري المســـبـــة
اللي يدوّر بالقـــصـــيـــر الغـــيـــابي

إحـــرص على جـــمــره من احـــراق حـــبــه
لما تـشـــــوف الـعـــــرق بـالحـب ذابـي
ودقّـــــه بـنجــــر تـالـي الـلـيـل نـبــــه
يـشـــــادي لـذيـب يا عـــــوى بـراس نـابـي
ودقّ الـبـــــهـــــار وبـهّـــره ثـم صــــبـــه
تصـــبغ على الفنجـــال مـــثـل الخـــضـــابـي
ومن يـوجـــعـــه راســـه ترى الهـــيـل طبـــه
ولـيــــا تـقـــهـــــوا غـــــايـة الـكـيـف طـابـي
تـذبـح لـهـم كـــــبش عـــــريـض المـلـبّـــــه
ومـن مـــــذبـح الـسـكـين حـسّ الـر كــــــابـي
كـم كــــبـش مــصـــــلاح لـراســـه نجـــبّـــه
ولـو زودوا فـــيـــه الـثـــمـن مـــا نـهــــابـي
مع الـشـــــتـــال مـــزيّن طـبـخ حـــــبــــه
والـعـــــــذر مع هـذا وزيـن الجـــــــوابـي
ونـبــــدي لـهـم يـا كـلـيـب هـرج المحـــــبــــة
يـا جنـب الهـــــيّن عـــــريـض الـعـــــلابـي
وبـهـــــرج أحلى من شـــــخـــــالـيل «جــــبّـــه»
واحلى من الســــمن الجـــديد الـعـــــرابـي
يا رب ناخــــذ تالي الـعـــمـــر عـــبــــه
من قــــبـل مـــــا ينسف علينا التـــــرابـي
الـصــــبــــر زين وراعي الـصــــبـــر غـــبـــه
يـرقى بـروس مـــشـــمــرخــات الـهـــضـــابـي
ومـن لا صــــبـــــر يـا كـلـيـب في حـكـم ربـه
هـذاك يـوم الـبـــــعـث مــــا لـه ثـوابـي

وهذه القصيدة قد أخذت شهرة استثنائية بين قصائد أهل البادية ، وبلغت شهرتها كل مكان حتى وصلت إلى مسامع محمد بن رشيد زعيم حائل في ذلك الوقت ، فأراد أن يتأكد بنفسه مما يسمع ، فركب في وقت متأخر من الليل وحل ضيفا على دغيم ، فلما جلس قال : هات الوالمة ، أي الجاهزة . فصب دغيم له الفنجان وقال :

مـــــده رهن لولاك مـــــا قلت يا كليب
ولا قلت شب النار صـــــر مـــــوقـــــد لـه
يا بو العـــــمى والعـــــجـــــز هم والمحـــــاديب
أبو لمن صـــــار العـــــصـــــا ثالث لـه
يالعنبـــــر الناريز يا فـــــاخـــــر الطيب
يا عنبـــــر من عـــــامله مـــــا يملـه
تقـــــعـــــد مـــــحـــــاليب وتسـقي مـــــحـــــاليب
كـــــبـــــد تيـــــبـــــســـــهـــــا وكـــــبـــــد تبله

وهي أطول . فطابت نفس ابن رشيد وكان قبل ذلك في نفسه شيء من الغضب .

والجدير بالذكر أن قصيدة «يا كليب» حظيت بمعارضات شعرية من الكثيرين في ذلك الوقت .

منهم حسين التبيناوي الذي جاء في قصيدته بيت يقول :

من مـــيـــر سلطان العـــرب جـــبت حـــبـــه
واللي تبـــقى يلحـــقـــونه حـــبـــابي

وهو قول لم يرق للظلماوي ، حيث عاتبه على قوله : «سلطان العرب» قائلا : لا تذكر الأمراء معنا فنحن دونهم منزلة . يقول الظلماوي :

يا حـــسين دلوك مـــا تعـــدى المصـــبـــة
من الحـــوض زلت زلفـــة بانكبـــاب

الضـــيــفـــمي حط المراجل بعـــبـــه
وحنـا نـلـقـط مـــا وقـع بـالتـــراب

لا صـــار دأبه جـــعـل رمـح يـدبـه
رمح مـع الأبهــر غــمــيق الصـــواب

جـــعـلـه يطيـح بـديرة مـــا تحـــبــه
تـأتـي ذَلـولـه بـس عـلـمـــه يـجـــاب

طيـــبـي وطيـــبـك بـين رجـلـيـك ذبـه
لا جت بـهـم فـــالكف لـك والهـــبـــاب

يـا كـلـيـب خـــذ عـلـمـي وبـالـك تكـبـــه
افـــهـم نـبـــا من هـو عـطاك الـصـــواب

الموت يـقـــعـــد لك ومـــالـك يكـبـــه
لو ان مـــالـك كـــثـــر طش الســحـــاب

***

الرزق من عند الله

حين نتحدث عن الكرم في صحراء شبه الجزيرة ، فإن وجوها معدودة تطل بقاماتها الممتدة كرمًا وجوداً وعطاء . . واحد من هذه الوجوه ، هو حجرف الذويبي ، شيخ بني عمرو من قبيلة حرب ، الذي اشتهر بكرمه النادر ، إذ كان لكرمه لا يمسك على شيء في يده مما يملكه .

وفي تلك الأيام ، كانت ثمة عادات طيبة عند الناس ، منها أن أهل البادية يجمعون بعض الحلال للأمير وللضعيف المستحق . وربما شعر بعض هؤلاء بالعبء الثقيل الذي يقع على كواهلهم لفرط كرم «حجرف» أو أن الأمر مجرد اختبار له ! . . فقد اتفق القوم على تركه والرحيل عنه ليروا ماذا يفعل ؟ !

وكانت زوجته تضع اللوم كله عليه ، قائلة : كل هذا جرى بسبب كرمك ، فقد رحل قومنا وتركونا ليس عندنا شيء نرحل عليه .

أما حجرف فأجابها بهدوء : الرزق من عند الله .

وعندما صلى صلاة العصر ، خرج يتمشى ويفكر بما فعله قومه وما قالته زوجته ، وبينما هو كذلك رأى أفعى ترفع رأسها عند جحرها ، وما هي إلا لحظات وإذ بطائر يحط على رأسها يظنه غصن شجرة ، فالتهمته .

ولما اقترب منها ، فإذا هي عمياء ، وهذا الطائر طعاماً ساقه الله تعالى لها ، فقال حجرف في نفسه : إن الذي ساق لهذه الأفعى العمياء الرزق ، سيرزقنا .

فلما انتصف الليل ، إذا بجلبة حول بيته ، فلما خرج فإذا بقطيع من الإبل ليس معها أحد ، فأخذها . . وأنشد يقول :

يقول ابن عياد وان بات ليله
ما نيب مسكين همومه تشابله
انا ليا ضاقت عليه تفرجت
يرزقني اللي ما تعدد فضايله
يرزقني رزاق الحيايا بجحرها
لا خايلت برق ولا هيب حايله
ترى رزق غيري يا ملا ما ينولني
ورزقي يجي لو كل حي يحايله
جميع ما حشنا ندور به الثنا
وما راح منا عاضنا الله بدايله
نوب نحوش الفود من ديرة العدا
ونخز اللي ذاهبات عدايله
خز بالأيدي ما دفعنا به الثمن
ثمنها الدما بمطارد الحيل سايله
مع لابة فرسان ننطح به العدا
كم طامع جانا . . غنمنا زمايله
نكسب بهم عز وننزل بهم خطر
ولا هيب من قفر رعينا مسايله

الكرم والقيام بالواجبات تجاه الضيوف من الأمور التي لا يتخلى عنها البدوي مهما كانت ظروفه . وهذا رجل من قبيلة الرشايدة اسمه فلاح السلاي أو اسمه مقارب لهذا ، وهو من أسرة «أبو حديدة» . . كان في يوم من أواخر أيام الربيع قادماً من البادية يريد دخول المدينة ، وكان على زمله ليس معه سوى أهل بيته . فقال لزوجته لما استراحوا في الطريق : ابني البيت لنستظل به .

فقالت : أخشى أن يجلب علينا (الطراقي) والضيوف ، وسوف (يشرهون) عليك معتقدين أن الحلال قريب منا . . وأنت تركته بالبر بعيداً .

فقال : ربما لا يأتي أحد .

ولكن ما أن شيد بيت الشعر ، حتى رآه ركب من قبيلة عنزة ، من المطوطح ، فعرفوه ، ونزلوا عنده . فكان مجبراً على اكرامهم . . حيث قدم لهم القهوة مرحبا بقدومهم . ودخل على زوجته يعرض عليها شراء واحدة من الزمل . فقالت : لا فرق بيننا وحلالنا واحد وافعل ما بدالك ، ولكن غداً على ماذا نحمل عفشنا؟ . . فقال : يسهل الله .

وأخذ سكينا وإناء ليذبح البعير ، وكان البعير خلفهم في المرعى ، ولو علم ضيوفه بظروفه لمنعوه بالتأكيد ولكن اعتقدوا أن لديه غنما .

وفي طريقه إلى المرعى ، صادف أحد الرعاة هجم الذئب على أغنامه وأصاب عدداً منها ، وكان مع الراعي ذبيحتان مصابتان . . فتعارفا ، وعرض عليه شراءهما وأخبره بأمر الضيوف . فقال الراعي : خذهما الآن . . وسوف نلتقي في وقت آخر بالنسبة للحساب .

فقدم (فلاح) واجب الضيافة على أفضل ما يكون ، وذهبوا من عنده وهم يعتقدون أن الغنم عنده . وهو رجل كريم ومعروف بالصفات الحميدة وقد قال بالمناسبة هذه الأبيات :

يالله ياللي تعلم السر والغيب
المالك المعطي منشي الهبايب
يقوله اللي جرب الوقت تجريب
نفسه معودها لقضي النوايب
حنا بلينا في حشام واجانيب
ونويت أعشيهم حدات الركايب
لاشك ربي قرّب الرزق تقريب
الله هو المعطي جزيل الوهايب
الفعل يبقى مثل رسم المكاتيب
والعمر قافيه الفنا والنصايب

***

تعارف وكرم

يروى أن شاعرا له مكانته من قبيلة «سليم» اسمه ابن عاطف ، حل ضيفا على رجل ، وكلاهما لا يعرف الآخر . وابن عاطف وقتئذ متقدم بالسن ، وقد تحزم بندقا قديمة اسمها «أم فتيل» ولها مراسن وحلق .

فلما أناخ على مضيفه شك المعزب بأن ضيفه ربما كان ابن عاطف ، ولما كان من غير المألوف سؤال الضيف عند أهل البادية ، فإن المعزب أثناء تقطيع الحطب بالفأس ، تمثل بهذين البيتين على مسمع من ضيفه . . يقول :

وراك تلبس حلق والشيب في عارضك قد لاح؟
لبس الحلق ما يوافق للرجال العاقلين
ما يصلح إلا لحي ينظر الماطر إلى طاح
فإلى اعرضت له حلبها باليسار وباليمين

فرد عليه ابن عاطف بعدما فهم ما يرمي إليه ، فلما عرفه المعزب أكرمه الكرم

البالغ تقديرا لمكانته . . يقول ابن عاطف في رده :

يا ناس كـيف أترك البندق وأنا للصـيـد ذباح
إلى تبـعت الجـوازي مـا نصـيـد إلا السـمين
امـشي لهن بالغـبـا من ذل تصـفـقـهن الارياح
مـا نذبح إلا العـنود اللي نظرها مـا يـلين

***

احذرك عن رفقة خطاة الرذيلي

خلف أبو زويد شاعر كبير من شعراء قبيلة «شمر» عاصر حكم محمد العبدالله الرشيد عام ١٢٨٩ - ١٣١٥هـ . كان كثير الترحال واشتهر بحبه وتعلقه بالركائب «الإبل» وتغنيه بها . ولم يتغزل قط .

قال ينصح ولده عن رفقة الأجناب :

أبـديت أنـا هـاجـوس قـلبـي بقـيـلـي
مـا هي هـواجـيس القلوب الهـبـايـل
هـرجـات مـا هـولس بهن الهـبـيلي
مـثـايل من رمـعـة العـقل قـايل
دخـيـل كـان أنـك لـهـرجـي تشـيـلي
هـرج بـدل اللـي يـتـيـه القـوايـل
يـا صـاحـبي وداعـتـك يا دخـيـلي
ودعـتك اللـي مـا يبـوق الرسـايل
خـويك اللي بالخـلالك وكـيـلي
لـو زل عـنـدك زلـة لا تـسـايـل
واحـذرك عن رفـقـة خطـاة الرذيـلي
مـا ينبـذر بلّي بغطّ الجـمـايل

صـــــديقك اللي قـــبـل جـــيلك وجـــيلي

صـــــديق جـــــدك بالعـــــصــــور الأوايل

لا تطيع بـه حـكـي العـــــرب والنقـــــيلي

عـــدّل مـــعـــه شـــيله الى صـــار مـــايل

وعـــــدوّك اللي بغض جـــده مـــحـــيلي

تاتيك لـوصـــــافـــــاك منه النقـــــايل

وافـــــهـم ترى باقي العـــــرب مـــا يضـــيلي

يا صـــاحـــبي مـــا غـــيـــر ربعك صـــمـــايل

أصـــــبـــــر تصـــــيـــــر بعين ربعك جليلي

صـــــبـــــرك يجنبك الدروب الرذايل

الصـــــبـــــر يودع باب حظك طويل

وخل الهـــــبـــــايل تايهين الدلايل

يا صـــاحـــبي حـــذراك بالك تعـــيلي

ارتك على العـــاقل الى جـــاك عـــايل

ياصـــاحـــبي حـــذراك تنسى الجـــمـــيلي

ولا تنفع اليـــمـنى بليـــا شـــمـــايل

الكد يصلح بالحـــصـــان الأصـــيلي

اللي يهـــدد بالجـــيـــاد الأصـــايل

ومن قصائده أيضا قوله :

دخـــيل . . خـــذ من والدك لك مـــســـاله

مـــســـالة مـــا يفـــهـــمـــه كل رجـــال

احـــــشم خـــويّك عن دروب الرزالـه

ترى الخـــوي عند الأجـــاويد له حـــال

والمرجلة بالك ترخّي حـــبـــالـه

حـــذرا تعـــيل ولا تراخى لمن عـــال

إن كـــــان مـــــا تدعى على كل قــــاله

تـراك من حـــــــســـــــبـــــــة هدوم بـه أزوال

وإن كـــــان دلّوك مـــــا تموحـــــه شـــمـــــاله

تر النشـــــامى ينسـفـــــونه على الجـــــال

رفـــيـــــقك الداني لـيـــــا شـــــفت حـــــاله

أحـــمل عليك من المعـــــاليق مـــــا شـــــال

يا عل رجل شـــوفـــتـــــه قـــــد حـــــاله

عـــسى تـدوّر زوجـــتـــــه فـــيـــــه الأبدال

الحـــمّـــره تدرك مـــعـــوشـــة عـــيـــاله

لا عـــــاد مـــــا يبـــغى منه بعض الأحـــوال

وإن صـــــار لك من عـــوص الأنضـــا زمـــاله

حـــمـــــرا تورّد بك ليـــــا صنقـــــر اللال

تمـرس كـــــمـــــا تمرس خطاة المحـــــاله

مع ســـهلة عـــمـــــال من جـــامـــعـــه ذال

خـلّـه مـع الـديّـان تمـشـي لحّـــــــــــاله

يا صـــار مـــا انت للمـــســـة الخـــشم حـــمّـــال

تـر . . ربـع يـوم مـــــــجـلـسك بـالـشـكـالـه

يســـــوى حـــــلال عـــــايشين به أنـذال

وحول تغير أحوال الزمان ، هذه أبيات للشاعر (خلف أبو زويد) يصف كثيرا من المتغيرات ، إلا أنه أوضح قناعاته في الأخير بأن كل شيء سوف يعود بالنهاية إلى أصله والأساس الذي كان عليه . . يقول :

قم ســـــو يا راعي المعـــــامـــــيل فنجـــــال

كـــيف إلى جـــا الرأس يجلي عـــمـــاســـه

قـــالوا تســـيّـــر؟ . . قلتْ مـــا من فـــضـــا بال

دورٍ على الأجـــواد مـــا فـــيـــه أناســـه

أشـــوف دنيـــا يا عـــرب شـــيلهـــا مـــال
منين مـــا عـــدلتـــهـــا مـــا تواســـه
قـــامت بصـــاع المنكـر الناس تكتـــال
ودلت تبـــاع الجـــوهره بالنحـــاســـه
هذا زمـــان من قـــوافـــيـــه أنا ذال
وقت به الحـــصني يدور الفـــراســـه
يا حـــيف . . يا لبّـــاســـة الجـــوخ والشـــال
قـــامت تفـــرسـهم عـــيـــال البـــســـاســـه
راعي الجـــحش شـــرّه على كل خـــيـــال
مـــتـــحـــزم فـــوقـــه بدرعٍ وطاســـه
يا راعي الخـــصـــرين والطوق وهلال
اللي بخـــدّينه نظيف لعـــاســـه
اصـــبـــر وعند الله تصـــاريف الأحـــوال
والناس مـــرجـــعـــهـــا على بني ســـاســـه

***

خطو البناخي يرتفع عن بني خيه

قال الشيخ سالم بن حمد الشريف يوصي ابنه :

يا عـــبـــيـــد يا صـــقـــرٍ على كف راعـــيـــه
يا عـــبـــيـــد خـــذ مني وصـــاة عظيـــمـــه
الأوله يا عـــبـــيـــد فـــرضك تصليـــه
هذي على الاســـلام فـــرضٍ قـــديمه
لو ان عـــمـــرك طال فـــالموت قـــافـــيـــه
عـن هادم اللذات مـــا من هزيمه

عـــملك يكتب بالموازين تحـــصـــيـــه
تشـــوف مـــا قـــدمت عـــدل وظليـــمـــه
الثـــانيـــة شي تـــسـرّك مـــعـــانيـــه
فـــعل الكرم واقطع حـــبـــال النمـــيـــمـــه
بيت بليّـــا ســـاس مـــا ينّزل فـــيـــه
ســـريع مـــا تنظر بعـــيـنك هديمه
الثـــالثـــة شـــر العـــرب لا تجي فـــيـــه
اجـــهـــد لهم بالنصح واطف الجـــريمه
راع الطلـب يلحق على الطول راعـــيـــه
ادخل عنه ولا تزوره بشـــيـــمـــه
واللي يعـــرف الحق يا عـــبـــيد يكفـــيـــه
ومن لا يعـــرف الحق مـــثل البـــهـــيـــمـــه
خطو البناخي يرتفع عن بني خـــيـــه
الى اغـــتنى يحـــسب غناته مـــقـــيـــمـــه
يدبر الدنيـــا وهي دبّرت فـــيـــه
نوب تحلوى له ونوب تضـــيـــمـــه
ومن لا يرد الشـــورّ لك لا تراعـــيـّـه
خله بدربه مـــا يفـــيـــد اتّعليـــمـــه
لا خـــيـــر في رجلٍ يضـــيّع مـــعـــانيـــه
يعـــيش بالدنيـــا حـــيـــاته ذمـــيـــمـــه
عـــمـــه وابن عـــمـــه ومـــا يتـــصل فـــيـــه
وضـــيـــفـــه وجـــاره والخـــوي والرحـــيـــمـــه
عليـــه حقٍ لازم مـــا يخليـــه
يصـــون عـــرضـــه والســـلامـــه غنيـــمـــه
هذي وصـــاة الوالد ابنه يوصـــيـــه
والعـــمـــر فـــاني والليـــالي مـــقـــيـــمـــه

قصور الطيّبين.. خراب

يعيش الإنسان في هذه الدنيا ما شاء الله تعالى له أن يعيش ، فينشغل في أمور كثيرة ، ليبني ويفكر ويخطط ويقدم ويؤجل ، وهو يبذل من أجل ذلك الكثير من الجهد والمال . . والحياة أقصر من ذلك !

هذا الشاعر (ابن حصن) من قبيلة الدواسر ، الشرافا أهل الوادي ، حيث كان قد مر على منازل أخواله (المخاريم) فرأى أطلال قصورهم في أعلى الوادي ، وقد تغير كل شيء ، فكأنهم ما كانوا ولم تكن أذكارهم وأخبارهم . . فلما أخبر والدته بذلك ، كان سبب موتها حزنًا وكمداً على أخوتها .

فقال ابن حصن في ذلك :

أنا هاضني يوم وأنا فيه ساند
الى ذي قصور الطيّبين خراب
وقفت أنا أدير النظر واعتبر بها
لا كن ما وقّف لها بجناب
ولا كن شيّد بها منازل
رفاع المباني كنّهن هضاب
أقول له يا دار وين «ربيع»؟
قالت : قمر يوضي سناه وغاب
يا دار «سلطان» إن لقيته وين هو
أدعيه . . قولي بالمراح ركاب
ربع معابير على أكوار ضمّر
ولاّ عاد فوق ظهورهن زهاب
يبون العشا عندك يا عيد النضا
يبونه بيوم إنك سهل جناب

يا دار وين هو فـــارس الخــيل «مــاجــد»
لا حل بأطراف الجـمـوع ضـبـاب
خـوالي عـزاز الجـار كـسـابة الثنا
كـرامٍ إلى عـاد الزمـان جـداب
يـا ويـلـنـا يـا دار مما غـدا بـهـم
وهو مـقـتـفـينا مـوقفٍ وحـسـاب
ولو إن قـصـدي الموت . . فـالموت هيّن
يا سـعـد من يقـبـر ، يصـيـر تراب
مـيـر البـلا الميـزان والعـدل بالقـضـا
ولا يخـتـفي على الله بشيءٍ غـاب

***

قصة الشعيلي وفليح

نشرت في السابق قصة تحت عنوان «من أجل كلمة ثناء» وقد جاءنا من الأخ الفاضل جزاع الشمري اتصال هاتفي أوضح لنا من خلاله حقيقة هذه القصة مضيفا معلومات مدهشة .

حيث بين أنه حفيد الحميدي الشعيلي (بطل القصة) وأن الحميدي الشعيلي من المفضل من عبده من قبيلة شمر وما زال على قيد الحياة حيث يستقر في مدينة «الحفر» بالمملكة العربية السعودية . وهذه هي القصة . برواية الأخ جزاع الشمري :

في فترة سابقة كانت البلدان في الشمال تنعم بخيرات وافرة من الطعام والمؤن لكثرة الزراعة فيها اضافة إلى تمتعها بربيع شبه دائم .

فكانت العادة أن تتجه قوافل «المديد» من نجد إلى تلك الأنحاء للمتاجرة والاكتيال والبيع والشراء وجلب الأطعمة والمؤن .

وكان هذا هو الغرض الذي سار من أجله الحميدي الشعيلي - من المفضل

من عبده من قبيلة شمر - ورفيق معه ، وهما أهل ركائب - حيث كانت وجهتهما من موطنهما «حائل» إلى ناحية العراق .

وحلاّ عند مضيف لهما بالأجرة خلال الأيام التي يقضيانها حتى تمام حاجتهما . وعند وصولهما حذرهما المضيف من رجل من جماعته يدعى «فليح» مهنته الحيافة والسطو وهو شجاع وجريء .

وفليح هذا من شيوخ عشيرة «الشبل» وهي عشيرة معروفة في تلك الأنحاء .

وكان كلام المضيف في محله ، حيث لاحظ الحميدي منذ وقت العصر أن «فليح» يراقب المكان الذي ينزلان فيه ، ويبدو أنه يعد العدة للهجوم عندما تسنح الفرصة . . وفرصته عندما يغفلان أو ينامان .

وعند الساعات الأخيرة من الليل ، قبيل الفجر ، سمعا حركة . . ولمحا شبح «فليح» يبدأ في سطوه ، فنهضا لصده . . إلا أنه لما أحس بهما هرب من مكانه .

فأشار رفيق الحميدي بقتله . إلا أن الحميدي صوّب طلقته بالهواء ليرهبه فقط .

وقد اجتمع عليهما جماعة «فليح» عند سماع صوت الرصاص ، معتقدين أنهما قتلاه ، لكن الحميدي أجابهم أن «فليح» رجل شجاع ولا يستحق الموت!

فبلغت الكلمة أسماع «فليح» وسرّ بها ، وجاء للسلام عليهما ، وشكر الحميدي على موقفه عند اطلاق الرصاص وللكلمة التي قالها .

وكانت بداية علاقة وصداقة طيبة بينهما . . فقال «فليح» إنه رهن إشارة الحميدي إذا احتاج إلى شيء أو جاء أحد من طرفه .

وكان الحميدي يرسل الهدايا إلى فليح بين فترة وأخرى . هذه هي القصة كاملة .

أما المفاجأة في الموضوع ، كما أخبرني الأخ جزاع الشعيلي ، فهي أن «فليح» هو والد الشاعرة العراقية «اقبال فليح» التي نالت شهرة واسعة إبان الحرب الايرانية - العراقية .

واذكر أنها زارت الكويت قبل أشهر قليلة من الغزو الغاشم للبلاد ، وأقامت أمسية شعرية . . واللافت أنها غابت عن الأضواء أثناء الغزو ولم تعلق بشيء .

هو شمري وأنتم على العز مطران

هذه حكاية سرور بن جرمان الحميداني من قبيلة مطير، ورفيق معه، كانا في طريقهما بركبان سيارة، وفي أثناء الطريق شاهدا رجلا على ظهر راحلته، وبعد فترة رجعا من الطريق نفسه حيث شاهدا الراحلة لوحدها ولا أثر للرجل، فتوجسا أن شيئا ما حدث للرجل. فتوقفا وتبعا أثر الراحلة، وبالفعل صدق حدسهما إذ وجدا الرجل مغمى عليه وكسرت ساقه، فقد وقع من على ظهر الراحلة.

فقاما باسعافه إلى المستشفى، وبقيا بجانبه مدة علاجه، وكذلك أمضيا معه مدة طويلة.. فوجد منهما الإكرام والمعزة. وكان لابد من الجزاء، ولما كان الشعر هو الأبقى والذي يخلد المواقف والأحداث، فقد قام (كابد بن طعيميس الشمري) وهو اسم الرجل بإنشاد هذه القصيدة مقابل ما واجهه من معروف وطيب.. يقول:

يا هل النضا ياللي على الدرب ماشين
تكفون عوجوا روسهن لي بالأرسان
ريضوا لعله ما يريّضكم الشين
مقدار ما نكتب من الهرج نيشان
وليا خذيتوا من كلامي عناوين
مدوا على هجن مطافيق وسمان
مدوا.. من الله ياعسى فالكم زين
تنحروا شرقي مبايض ليا بان
تلفون ربع يذهبون المعادين
بريه.. ليا ركبوا على الخيل فرسان
سيلوا طرفهم عن طريق الحمادين
أهل الصخا والجود ذربين الأيمان

وإن قـــــيل دنوا هجنكم عند الأدنين
قـــولوا مـــعـــزبنا (ســـرور بن جـــرمـــان)
و(رحـــيم بن ثويني) عـــزيز القـــريبين
ربعٍ يســـرك شـــوفـــهم كل الأحـــيـــان
تمـــسون بارباع تجـــيـــهـــا الدواوين
ويذبح بهـــا حـــيلٍ ســـمـــانٍ من الضـــان
ودلال تزهى في يدين المقـــهـــوين
ومـــحـــمـــاسـهن دايم على النار حـــمـــيـــان
والى تقـــهـــويتـــوا وصـــرتوا مـــريحين
وطار العـــمـــاس وصـــار للهـــرج مـــيـــدان
قـــولوا ترانا يا جـــمـــاعـــه مـــوصين
مـــعـــنا كـــلامٍ عـــد مـــا كـــاينٍ كـــان
وعـــداد مـــا زار المســـاجـــدْ مـــصلين
أو طافت الحـــجـــاج مـــا بين الأركـــان
قـــولوا يقـــول اللي غـــدت رجله اثنين
مـــحـــتـــار بأمـــره لين جـــيـــتـــوه بلشـــان
لما عـــرفـــتـــوا حـــالتـــه حـــال مـــسكين
مكســـور في برٍ مـــداهيل ســـرحـــان
قلتـــوا برسم خـــدمـــتك مـــســـتـــعـــدين
لـــينه نـــهـــج يمشي عـــلى الرجل بـــريـــان
غـــيـــر الحـــمـــيـــه مـــا لكم به مـــيـــادين
هو شـــمـــري وأنتم على العـــز مطران
شكرا لكم باللي على الصـــبـــر قـــاوين
جـــزاكم الله عن جـــزانا بالإحـــســـان

شكرا لكم يا ملحقين المخلين
رحتوا مني ما احد شفاني ولا شان
وبيضا تجدد كل حين بعد حين
تكتب وتنشر بالصحايف والإعلان
وصلاة ربي عد ما ترمش العين
على الرسول الهاشمي نسل عدنان

***

هذارة المجلس قليل حلاها

من قصائد مشاري بن سلطان بن ربيعان - والرباعين من شيوخ الروقة من قبيلة عتيبة ، عرفوا بالشجاعة والكرم والحلم والصفح عن زلات القبيلة والسعي وراء مصالحها ومشيختهم قديمة - هذه القصيدة حول القهوة :

ما انيب هلباج على النوم نعاس
همه طعامه لين كرشه ملاها
ادرج الدنيا بالافعال وقياس
نسعد عيون وعين نسحن دواها
لا ضاق صدري جيت نجر ومحماس
ودلال بيض غالي مشتراها
قم سو فنجال على خمسة اجناس
احذر تجي حرقه وبالك نياها
خلك لها من كل عذروب حساس
قيس له الطبخه على قد ماها
حتى يجي فنجالها يجلي الأعماس
عقب الصلف والسهر ما أكبر غلاها

خصص مشاكيل على النار جلاس
حبوس الرجال اللي بعيد مداها
بدوا به اللي للمعادين نطاس
مودع سمان الهجن يثلع حفاها
والثاني اللي يثني العصب بالراس
في ربعه يشبع بها من نصاها
والثالث اللي يحتمي دن الأفراس
لا روحت خيل بخيل حماها
وباقي الملا لو ما تقهويه لا باس
هذارة المجلس قليل حلاها
لا نافع ربعه ولا حاش نوماس
ضباط مال ولا يذري ذراها

***

هذاك في فعله تبوه المداوير

عندما توفي خلف بن دعيجا ، صاحب الكرم المعروف والشجاعة النادرة ، آلت رئاسة جماعته إلى ابن أخيه واسمه «عيد» ولكن الفرق كبير بين الرجلين ، حيث رأى منه جماعته ما لا يعجبهم . . فقال أحدهم متمثلاً :

يا عيد والله ما تعرف التدابير
تبيه ورث تستغله ورانا
هذاك في فعله تبوهْ المداوير
مجرب ما هوب عذق اللسانا
ان ركبت قشر السنين المَعاسير
من البل لو غليت رخيص عشانا

لبست ثوبه ما حسبت التناظير
حليب نوقه ما تذوقه بنانا
نوجد بيوم شر ما به لقى خير
يوم به الشدات يظهر ثنانا
ان جن بالفرسان شوح الشوابير
مثل الخواطف حاملات عدانا
قامت تعالج مبهمات المسامير
فيهن رها ركض واهلهن حزانا
ان صار لون العج مثل المعاصير
يبن العشاير والعشاير ورانا
لازم تروح الخيل عيفا مدابير
لعيون قطعان رعت في ذرانا
نرمي عشا للضبع والذيب والطير
ونكبد البلوى لمن هو بلانا
وان طار ستر معورجات الدواوير
يا عز من هو بالقبيلة نخانا

***

حنا بدو وألقابنا ما بها عيب

البداوة مصدر القيم والمبادىء العظيمة والأخلاق السامية والعادات والتقاليد الحميدة ، ولا يرضى أحد أن يساء إلى البداوة بأي صورة من الصور . وهذا هو موضوع قصيدة ألقاها الشاعر جزا صالح الحربي في الاذاعة يقول مطلعها :

يا معذرين البدو ويش العذاريب؟
ياللي هدفكم بالعذاريب حنا

وقد تفاعل مع هذه القصيدة الشاعر عقاب عيد الذويب المسعودي – من الأسلم من قبيلة شمر – حيث جاراها بهذه القصيدة الرائعة والتي ذكر من خلالها عددا من شخصيات البادية . يقول :

بديت باللي يعلم السر والغيب
اللي خلق ناسٍ مع الناس حنا
اللي سخر للناس حدب العراقيب
بامره وتقديره لنا يخدمنا
من بعد ذكر اللي بنا كوّن الشيب
مدير الليالي السود وايامهنا
هات القلم واكتب بالاوراق يا اديب
هاض القريح وطيّر النوم عنا
خلّك ظريف ورتّب القاف ترتيب
يوم البيوت الغايبات احضرنا
اكتب لـ «أبو صالح» مهدي الأصاعيب
الشاعر اللي ليل الاثنين غنا
مثايل ما هي مزوح وتلاعيب
مثل الذهب تصلح على كل فنا
نبع الصخر ما هن مصال ودغاليب
من رأس أبوصالح صخرهن وجنا
عبر الأثير وجابهن «رادو عضيب»
وتابعت معنى قافهن واعجبنا
أدّب بهن من جنّب الحق تأديب
يا ما اذرعه مثل البعير المثنا
كواه على ضلع النكب بالمناكيب
يا ما المكاوي للمكّوى انجفنا

يا مـــــا هنّيك يا مــــــدافع ورا الطيب
لو مـــــا تخـــيت . . اللي ذكـــــرت ازعلنا
حنا على أمـــــرك بس كـــــز المناديب
وجـــــوارحي مما ذكـــــرت احـــتـــمنا
وذكـــرت ببـــيوتك كـلاب القـصـاصيب
اللي على بعض العـــــرب ينبـــحنا
لا كـــــــلاب قناص ولا يطردن ذيب
وان جن ظلّال الســـــاس به ريضنا
وان جـــا نهـــار فـــيـــه حـــر ولواهيب
تقـــابلوا واحـــرابهم واجـــهنا
مـــــدافعٍ تضـــرب هذولاك وتصـــيب
وقـــامن مـــخـــابيط «الفـــشق» برشـــقنا
وصـــارت دخـــاخين الحـــرايب تقل سـيب
ومـــثل النســـور بجـــونا حلقنا
تلقى الذي ســبّـــوك بأقـــصى السراديب
مـــثل كـــوانين الشـــتـــا تســـتكنا
ثيـــران عـــصل برق لو له لغـــابيب
من جـــملة النســـوان واحـــسابهنا
مـــثل الرخـــال اللي غـــدت من جـــواليب
لولا الوســـوم اللي عليـــهن غـــدنا
ترطيـــبـــهم حـــزّة ليـــال المخـــاصيب
الكل منهم غـــازي مع مـــهنا!
لو هم قـــبل يوم العـــرب تأخـــذ النيب
تأخـــذ عـــشـــاه وقـــال : سم وتهنا

لو انهم حضروا مغازي (تريحيب)
وإلا زبون الجاذيات (أخوينا)
أو (ذيب) ريف للي عليها كلاليب
خيالهن بالخوف يا جفلنا
يوم ان جدع الروس مثل اللعابيب
هذا ذبيح وذاك عنده يونا
بضرب السيوف اللي تقص الجلاليب
وكفوفهم من ضربهن خضبنا
البدو منهم مهلهل الزير وكليب
نطاحة القالات لو يصملنا
وعنتر ليا صكت وجيه المغاضيب
ما ذكر به مره عن الخوف كنا
وحاتم مكثر بالضيوف التراحيب
وصحايفه بالجامعه يدرسنا
واللي يصوّت بالعشاء للأجانيب
وفعول «ابو صلفيق» ما يجحدنا
امكمّل سبع جموع ياجت شلاهيب
يوم السنين الجايرات اذبحنا
حنا بدو من قبل هارون وشعيب
ولا خسرن اللي بالمهاد امهدنا
حنا بدو نرعى امهات الدباديب
اللي بنا خرس العيون اعتزنا
حنا بدو ومعربين الاناسيب
وحقوقنا نحماه ما يوخذنا

حنا بدو وألقـــــابنا مـــــا بهــــا عــــــيب
لنـا الفــــخــــر يا قـــــالوا البــــدو منا
حنـا بدو مـــــا فـــــيــــه شك ولا ريـب
اهــل الـربـاع مــــــــــزبنين المجـنــا
حنا بدو من باب جــــده ليـــا نخـــيب
من حــــمص للزرقـــا لمشــــارف يمنّا

***

من لا نفع في شبته

من الحكايات التي تدل على الصبر عند البدو ، واحتمال المصاعب . . أن محمد بن جازع - من الصهبة من قبيلة مطير - في وقت قلة الموارد وصعوبة الحياة ، كان المطر قد تأخر نزوله وأصاب الماشية هزال وهو نازل في البر وعنده سيارة اشتراها بعد أن استدان المبلغ ، ليسقي عليها ماشيته ، وكثر من حوله الجيران ، وكل واحد من هؤلاء الجيران «يشره» على محمد بن جازع أن يسقي حلاله ، والأمر صعب عليه لكن رجولته وصبره واصراره على كسب العلم الغانم ، تأبى أن يتخلى عن واجباته تجاه جيرانه .

وفي ليلة . . بث شكواه لأخيه «خالد» قائلا «الجيران كثروا علينا ، والسيارة أكلت ما عندنا ولحقنا الدين» . . وقد اتبع قوله بهذه القصيدة المعبرة :

يا خـــــالد اســـــمع واردي وافـــــهم الجـــــاب
عــــقب النصـــــيحــــــه ود مني رســـــاله
المرجلـه صـــــــــــبـــــر عـلى كل الأنـواب
وصـــــبـــــر على الكـايد بدرب الشكالـه
ومن لا يعض ابرطمــــه في شــــفـــا الناب
عـــقب الكبـــر مـــا ادرك بعــــمــره جــــمــاله

ومن لا نفع في شبته دام ما شاب
عقب الكبر والشيب يصعب مجاله
ومن لا حكى له بأول العمر مضراب
لا مات تطوي بالصحايف افعاله
واحذر من الخاطر ترى الضيف سباب
باشر بطيبة خاطره والسهاله
لين له الجانب ويده بترحاب
تلقى بها عند القبايل نفاله
وقصير بيتك لا عنالك من اجناب
احشم جنابه لين تقفي رحاله

***

القعيط..وجارد بن رمال

من شيم أهل البادية ، أن الرجل إذا أعطى كلمة يلتزم بكلمته ويصبح واجباً عليه إتمامها مهما حدث .

حول ذلك . . فقد تجاور جارد بن رمال ، والقعيط - كلاهما من قبيلة شمر - في «الخاصرة» بالقرب من حائل ، في فترة القيظ ، وقد اتفقا أن يكون مجلس القهوة عند أحدهما في الصباح وعند الآخر في العصر ، حيث يلتقي عندهما جماعتهما لتبادل الأخبار وتمضية الوقت .

وكان عند (ابن رمال) ابنة اسمها (زعرا) أعجب (القعيط) بأخلاقها منذ اليوم الأول ، وكانت لأدبها وحسن طباعها عندما تأتي بالماء أو الحطب لا ترفع بصرها في الجالسين ، وعندما تنصرف ترجع بخطواتها إلى الخلف فلا تعطي ظهرها للجالسين ، فصمم (القعيط) أن يخدع (ابن رمال) بكلمة يمررها بصورة وكأنها عفوية في سياق الكلام ثم يلزمه بتنفيذها .

ففاجأه يوماً بينما هما يتجاذبان الحديث قائلا : «يا جارد ما تزوجني زعرا؟» .

فرد عليه جارد : «أنت كفو يا بوهايس ولكن» .

وتوقف الحديث بينهما عند هذا الحد .

شك القعيط أن «لكن» ربما تعني صغراً في سن البنت أو طبعاً ما غير مناسب ، ولم يأبه بذلك طالما تحقق مراده في كلمة «كفو» وهذا ما يحتاجه .

وبعد أيام رحل عن موضع الماء الذي ينزلون عنده إلى موضع ماء آخر ، فلما استقر هناك اختار من أطيب إبله واشترى جهازاً وضعه على جمل وأرسلها مع نسائه ، وأمر بوضعها عند نساء جارد ، ولا يخبرن من يسألهن بشيء سوى القول بأن صاحبها سيأتيكم!

وفعلت النساء ما أمرهن به ورجعن .

وصاحبة البيت لم تخبر زوجها إلا في المساء عندما سألته : أنت زوجت ابنتك؟!

فاعتزى ابن رمال قائلاً : لقد غدرني بتلك الكلمة لعلمه بأني لن أتراجع عن كلمتي .

ثم أرسل القعيط ثلاثين ناقة وفرساً ، حسب العادة ، حيث تعاد في اليوم التالي ، باستثناء ناقة واحدة للضيافة . وتم زواجه من البنت .

وبعد فترة . . حدثت غارة على (جارد) وأخذت حلاله ، وكانت العادة أن يجد من يتعرض لمثل هذا الظرف إعانة من جماعته ، فمر جارد على صهره القعيط فأعطاه الثلاثين ناقة التي أعطاها له من قبل وعشراً أخرى هبة منه ، فرفض جارد أخذ النوق الثلاثين وقد عفا عنها من قبل إلا أنه قبل أن يأخذ العشر الأخريات ، وقد تجمع لديه أكثر مما أخذ منه .

وفي السنة التالية حدث له ما حدث في العام الذي قبله وأعطاه القعيط مثل ما أعطاه أيضاً ، إلا أنه أبى عنها وأخذ عشراً فقط .

وفي السنة الثالثة تعرض لإغارة أيضاً ، إلا أنه رفض الإعانة ، وصمم على الغزو قائلا : لابد أن نغزو من غزانا .

فسار بجماعته ، وسار القعيط بجماعته معه ، وغنموا ابلا في غزوهم وعادوا مسرعين خشية أن يلحق بهم أصحابها .

وفي الفجر . . بينما تابعوا سيرهم ، أناخ جارد ذلوله ليصلي ، فلما انتهى ولحق بهم ، وقع على راعي ابل كان هرب بها لتنجو من المعركة ، فأخذ الراعي والإبل غنيمة .

فلما أبصره القعيط قادماً بالغنيمة الكثيرة ابتسم قائلا : كنا نريد مساعدتك يا جارد ، والآن أنت كفيتنا .

***

بخيت العطاوي.. عفة رجل وشجاعة فارس

بخيت بن ماعز العطاوي . . من ذوي عطية من روق من قبيلة عتيبة ، فارس شجاع ، إلا أن شهرة أخيه شليويح غطت عليه كما يبدو وحجبت مواقفه الشجاعة .

وما يروى عنه . . أنه في وقت هدنة بين قومه وقبيلة البقوم ، جاء زائرا للشيخ قاعد بن حرشان ، فطلب قاعد الهيل للقهوة ، فمرت من حوله واحدة من نسائهم تدعى «سارة» وكانت على قدر كبير من الجمال ، فسقط الفنجال من يد بخيت ، وابتسم الشيخ قاعد قائلا : «شوف عينك حظ غيرك»! .

فأنشد بخيت :

طرد النظر ما فيه عيب عليه
ابا اتحلى بنت ماضين الأفعال
يا ونتي يا ساره الوازعيه
ونة معيد ساقه الفجر غمال

تقـــفي وتقـــبل فـــوق جـــال الركـــيـــه

ومن الصـلف خـــالي ظهـــرها من الحـــال

لاشـــــدوا العـــــربان ودوجـــــر حنيـــــه

يبـــرا لهـــا قـــاعـــد بتـــســـعين خـــيـــال

فلما سمعت (سارة) اطراءه وهبته (جوخة) وهي من أغلى الملابس ، فقال لها : مقبولة . . وجزاؤها حصان سوف أكسبه من قومك!

وبالفعل حدث أن غنم حصانا من قومها في معركة بعد ذلك وأرسله إليها . ونستدل من ذلك على نقاء أهل البادية وعفافهم وطيب نفوسهم .

ومن شجاعة بخيت العطاوي ، أنه غزا مرة مع «الحفاة» ومعهم ساير التوم وهو شجاع وكريم ، ولكن لديه حصان بطيء ربما لا ينجيه في لحظات الخطر . ومن ذكاء بنات البادية . . قامت ابنة ساير وتدعى «قويلة» وأعطت بخيت يداً من الذبيحة ، وأوصته على والدها أمام القوم . وهذه عادة شائعة تسمى «علقة» .

فابتسم بخيت قائلا : لا داعي للوصاة . ودخلوا في معركة مع البقوم ، فما تأخر من الخيل اغتنمه الأعداء ، حيث أن السلاح في ذلك الوقت كان عبارة عن سيوف ورماح . وعندما ابتعدت خيل عتيبة تأخر «التوم» وآخر من جماعته يدعى «ابن الاصيقع» وكل منهما يريد النجاة ، فاقبل الفارس قطنان البقمي وهو يقول : «الجيرة ما تقطع الدشة» .

فرجع عليه بخيت ، وأظهر التوم ، ورمى بهذا الفارس وغنم حصانه ، وهذا الحصان هو الذي أرسله إلى «سارة» جزاء عن الجوخة .

وقال بذلك :

يـا قـــــويـلـه جـــــيـنـا بمـن يـذبـح الـكـوم

لو راح مـــا تـنفـع ســـمـــان العـــذارا

يـا قـــــويـلـه قـطـنـان حـنـث عـلـى التـــــوم

وابن الاصـــيـــقع خـــالفـــه من يســـارا

فك الخوي حق علينا وملزوم

مودعين فك راعي الشبارا

يا عنك ما يقضي لك الحاجة اليوم

ما يقضي الحاجات كود الحرارا

والله لو إن الخوي غانم الروم

انه عشاهم عند خشم النوارا

ابوك نعم فيه ما يلحقه لوم

لاشك غوجه قاصر بالمغارا

يا سابقي عرضك بعيد عن اللوم

لاجا نهار مثل هاك النهارا

تهوي كما يهوى مع الجو صيروم

يبي العشا من نابيات الفقارا

وهذه أبيات في المناسبة نفسها، قالها في «سارة» ثناء عليها، ولا غرابة أن يفعل ذلك رجل بعفته، وهي مشهورة بالعفة وكرم الأخلاق، وهو معروف بالشرف والشجاعة. يقول:

ردوا سلامي يم ساره بالأنصاح

ياللي تجون ديارهم بالخبارا

إني ما جيهم غير والسبر طفاح

على النضا ومحيلات المهارا

في ظف نمرا كل من شافها صاح

ومعزل مركيها أبو زبارا

يا شيخ ما تأمر عليهم بالإصلاح

والصلح أخير من الطرد والمثارا

أبى إلى قرب السلف والحيا طاح

ظعوننا وظعونهم جت تبارا

مصيفهم في وادي غردقة فاح
ومقطاننا مران عند العشارا
مرباعنا بأسفل بريده بالأسياح
يم النفود وزاميات الزبارا

***

علي.. لا سلطان، لا هو شريفي

ربما كان لتقارب أسلوب هذه القصيدة من قصائد عبدالله بن سبيل فإن هناك من ينسبها إليه ، إلا أن الثابت والمعروف أن هذه القصيدة لطلال بن فريج - من الغازي من الدغيرات من قبيلة شمر - تؤكد ذلك - أيضا - العلامات التي ذكرها في قصيدته . . يقول :

عديت في رأس الطويل المنيفي
واصبحت من رقي الرجوم اتعباني
اخيل مظهور الحبيب يهيفي
بأيسر قطن بين الموشم وباني
احقهم بالشوف شوف نظيفي
لما غدا باقي العرب ذيهباني
وحولت من رأس الطويلة معيفي
ماني لوضاح الثمان أرجواني
يا راكب من فوق عجل الزفيفي
مأمون قطاع الفيافي عماني
يشبه نعام جافل من ذريفي
أول شكوك وتالي الزول باني
اقفى يومي بالجناح الخفيفي
والريش شالنه ثنادي سماني

عليه من يوصل سلامي حليفي
عياد شوق مفلجات الثماني

عياد حيثك بالمعاني ظريفي
وتقلط ليا هاب الذليل الهداني

حالي على مظنون عيني عنيفي
وصايف ما هن على مودمامي

يا غصن موز ناعم مستريفي
متمرجح بين اللزى والسواني

صخف بلطف للنسايم يهيفي
تنوب لاوينه ولا به مثاني

علي . . لا سلطان لا هو شريفي
مقطع كل الحسب والعواني

رجلي ليا شافت عشيري تقيفي
تحير رجلي ما تعدى مكاني

له مبسم من كل ذرب نظيفي
يضفي على اللي كالزهر قحواني

***

افرح اللي من ربوعي هقايي

عاش سلطان بن سطام الأدغم السبيعي فترة ليست بالقصيرة من حياته جارا للطوالة من شيوخ الأسلم من شمر وكان حضر معهم معارك عدة وأظهر شجاعته وبطولته . . وهو إلى جانب فروسيته شاعر جزل . . له هذه القصيدة قالها عندما كبر في السن متذكراً شبابه ومفتخراً بصفاته :

اليــــوم يا نـاصــــر غـــــدا شـــاربي شـــيب
من عـــــقب مــــا كنه جناح الـعــــقـــابي
عـــقب العلوم وعـــقب ذيك التـــعــــاجـــيب
اليـــوم عـــود وفي مـــروفـــة أحـــبـــابي
يـا مـــــا رقـــــينـا في طـويل المراقـــيب
دليلـة لـلهــــجن خـــــضع الرقـــــابي
ويـا مـــــا جـــــذبناهن لدار الأجـــــانيب
بـرهـــراهـة يـزمـي وراه الســــــــــرابـي
وان وردوا رس قـلـيـل التــــشـــــاريب
وردتـهن عـــــــد بـعـــــيـــــد وغـــــابي
آدل من مـــشـــقـــاص هدف العــــراقـــيب
لا ورد حـــوض مـــقـــفـــدات العـــقـــابي
وان لحـقت الفــزعـــات مـثل العـــيـــاســـيب
والجـــــيش خف ولا بـزاه التــــــرابي
اردها لعـــــيـــــون زين التــــعـــــاجـــيب
واخـــرب الفـــزعـــة بضـــرب الركـــــابي
واطـمـــــر على حـــــوض المنايا الى هيب
لا هـابـوا الرديـان مــــــا نـيب أهـابـي
واليـــــــــا خــــــذيـنـا جـل ذود حـنـازيـب
افــــرح اللـي من ربـوعـي هـقــــــابي
ولا نـيب دعـــــبـــــول هروجـــــه رباريب
ســــوه على ريعـــه غـــضــيــــر الشـــبـــابي
شــــرّي على الفــزعـــة بكثـــر التـــصـــاويب
واثـنـي الـى نـار الـذلـيـل الـرعــــــــــابي

من مات ما أرث من ذراريه مثله

هذه قصيدة (رميزان) التي يشكو فيها من أحوال الزمان وقد حملها من الحكم والأمثال النادرة التي تدل على شاعريته وتجربته الحياتية الواسعة . . وهو يخاطب (جبر بن سيار) أحد أشهر معاصريه من الشعراء .

اخـــيـــر الليـــالـي لذة في ســـعـــودها
ووصـف المـعـــــالـي كـل شـي يـكـودهـا
وخـــيـــر الملا من فـــيـــه عـــز ورفـــعـــة
يـجـــود إلى قـل اليـــدا من وجـــودها
ولا شي ســـوى التـــقـــوى الى صـــار نعـــمـــة
الأجـــواد تســـتـــر عـــرضـــهـــا من جـــهـــودها
قـــلـــتـــــــه ولـي عـين عـن الـنـوم ربمـا
يحـــصـل لهـــا عن نومـــهـــا مـــا يذودها
يـا جـــبـــر يـا واعـي امـــور جليلة
بهـــا تتـــقي شـــجـــعـــانهـــا في حـــيـــودها
لفـــاني ضـــحي يـا ابن ســـيـــار رسلك
من الشـــعـــر مـــدحـــات تفـــجـع نشـــودها
خـــيـــر المعـــاني يا ابن ســـيـــار تركـــهـــا
اخـــيـــر لي من شـــقـــوة في حـــدودها
تشكي الملح يا جـــبـــر واشكي رفـــاقـــة
عـــدمـــهـــا وقلـه اخـــيـــر لي من وجـــودها
بذلت الحـــســـاني بالحـــصـــاني وغـــرني
مـــصـــافي الحـــصـــاني من مـــصـــافي اسـودها
كـم بـذرت كـــفي بـهـم مـن صنيـــعـــه
وكـم بـذرت جـــداتـنـا في جـــدودها

وكم اشتكى منا المعادي بفعلنا
عليهم تعلوينا وهم من شهودها
وكم دبروا عنها وهي قد تلاحمت
يبور حاكي خزنها من نفودها
وكم زلة يرفونها عند غيرنا
أولا حدثوهم صوب من لا يرودها
تشب نار في ذراها ومثلها
والاجواد ما تجعل ذراها وقودها
وكم مجرم فينا تركنا لزلته
نحمله وكم يوم غمنا حسودها
لي ديرة يا جبر ما بيت الحما
عن الضد باطراف العوادي نذودها
حكرنا لها وادي سدير غصيبه
بسيوفنا اللي مرهفات حدودها
لا صدر اللامي والاجناب وردوا
على عيلم بالقيض يكثر ورودها
جرى لنا في مقرن السيل وقعة
اللي حضرها مالك الله يعودها
برجال امضى من ليوث الشرايع
سعيدية تشبه ضراغم وسودها
لي ديرة يا جبر خضرا مظللة
يشتاق في نظرة قناها كدودها
يا طول ما قابلتها فوق منشع
محالها بالليل يسهر رقودها

لا جـا الشـتـا تشـرب صـوافي سـيـولهـا
وبـالـقـيـظ مـن جـم البـطـاحـي بـرودهـا
حـمـلتـهـم حـمـل ثقـيـل نقلتـه
بالضـيـف مع جـيـرانهـا عن انقـودها
جـداك فـيـهـا يا ابن سـيـار ديرة
في شـيـخـة لو تـتـقي عن حـسـودها
كـمـا انك في طـرق المراجل مـجـرب
وحـسن الـثـنـا بالحـال مـن لا يـكـودهـا
يـا حـيـف يا شـم العـرانين خـلفـوا
اراذل عـمـيـان تبـي من يـقـودها
مـوت الـفـتـى مـوتين مـوت مـن الـفـنـا
ومـوت من اخـلاف الذراري جـدودها
مـن مـات مـا ارث فـي ذراريه مـثـلـه
فـهـو مـثـل نـار يوم جـروا وقـودها
ليت الـذي حـدر الـثـرى فـوق الـثـرى
وليت الذي فـوق الـثـرى فـي لحـودها

***

الصدق سبب إفلاسه

إن الصدق من أهم الصفات التي يتصف بها البدوي ، فلا تجده يكذب حتى في الأمور التي يلحق به الضرر لو صدق فيها .

حدث أن «ابن لهاب» من التومان من قبيلة شمر ، مع ركب من جماعته ، حنشل يتسللون لخطف الأدباش وتسمى «حيافة» وهي وسيلة من وسائل الكسب وأحد مصادر الرزق في ذلك الوقت ، وهي مهنة محفوفة بالمخاطر

وتتطلب للقيام بها شجاعة نادرة وجسارة وذكاء وحسن تصرف .

لأن «الحيّاف» جمع حائف ، يكونون - عادة - من واحد إلى أربعة تقريبا ، وربما زاد العدد قليلا ، ومثل هؤلاء لو أنذر بهم فسيكونون في مأزق شديد حيث يواجهون قبيلة أو نزلا بأكمله ، كما أنهم معرضون للقتل لأنهم جاءوا تحت ستار الظلام غدرا للحيافة والسرقة .

وطبيعة الحيافة ، أن يختفي هؤلاء في النهار ويتحركوا في الليل حتى لا يراهم أحد فيفقدوا عنصر المفاجأة .

نعود - مرة أخرى - إلى «ابن لهاب» ومن معه ، فإنهم لما اقتربوا من الأعداء تفرقوا ، بعد الاتفاق على ساعة معينة من آخر الليل وفي مكان محدد يجتمعون فيه للانسحاب سواء غنموا أم لم يغنموا شيئا .

وعندما اجتمعوا ، لم يحصل أحد منهم على شيء ، بسبب الحراسة المكثفة التي وضعها العرب على أدباشهم ، فتشاوروا بالأمر ، وكان الرأي أن يختفوا في النهار بمكان ما ويعودوا في الليلة التالية .

فلما عادوا في الليلة الثانية ، وجدوا الحراسة مثل الليلة الأولى ، فاتفقوا على الانسحاب في آخر الليل حتى لا يراهم أحد في النهار ، دون رجعة .

فقال واحد منهم ، كبير في السن ، بأنه لا يقدر على السير وسوف يمضي إلى هؤلاء العرب ، وهو يعلم أن من «عوايد العرب» إذا سلّم وردّوا عليه السلام ، فإنه يأمن منهم ، وإذا أكل شيئا من الطعام وتسمى «الملحة» كانت أمانا له أيضا ، حتى وإن عرفوا بعد ذلك أنه من الأعداء .

فلما اقترب من البيوت ، وجد فرسا وعندها بنتها «حولية» وعليها القيد من الحديد ، وهي كحيلة من أصايل الخيل تصل قيمتها إلى خمسين ناقة تقريبا ، فحاول معالجة القفل بمفاتيح معه ، فكان له ما أراد .

فركب الفرس وهرب بها وابنتها من خلفه .

فلما كان الصباح ، قص هؤلاء العرب الأثر فوجدوا آثار اجتماعهم في

الليل ، ورجوع واحد من أصحابهم ، فعرفوا بخبراتهم وتجاربهم الحياتية أنه رجع يريد الأمان لنفسه . فركب صاحب الفرس بأثره حتى أدركه وطالبه بالفرس ، لكنه رفض أن يتنازل عنها بعد أن غنمها .

فقال صاحب الفرس : أريد أن تقسم اليمين بأنك عندما رجعت من أصحابك هل كانت نيّتك الحيافة أم رجعت مسالما؟! . . فقال ابن عايش من شيوخ التومان في وقتها للرجل الذي من جماعته : راقب الله . . فإني أخشى أن تكذب فيعاقبك بأن تقتل على ظهرها . . فاعمد إلى الصدق .

عندها قال الرجل الصدق ، معترفا بأنه رجع يريد السلامة ، وأعاد الفرس وابنتها إلى صاحبهما ، رغم قيمتها عندهم التي تعد من أسباب الغنى . . لكنه ضحى بذلك حرصا على الصدق وعدم الكذب .

***

نجاة بعد يأس

من عادة أهل البادية أن (العقيد) يكون له سهم من غنائم جماعته . وهذا الفارس الشجاع غضبان بن رمال ، عقيد اشتهر بالغزوات الظافرة ، كان إذا غنم يعفي الرجل الأعزب – غير المتزوج – من نصيبه منه وذلك اعانة له على الزواج ، لهذا لقب (مجوز العزاب) .

وقد حل عليه ضيف مكث عنده شهرا دون أن يسأله عن حاجته فلما عاتبه الضيف على ذلك ، أجاب غضبان : عادة العرب عدم سؤال الضيف ، إنما عليهم إكرامه والاحتفاء به ، إذ ربما كان الضيف لاجئا فيكون السؤال محرجا له .

فأخبره الضيف أن مجيئه بسبب رغبته للغزو مع غضبان ، لكن لم ير عنده نية للغزو .

عندها أعلن غضبان الغزو ، باتجاه الشمال في أرض عبر (مفازة) حيث يبلغ

منهم الظمأ قبل العودة إلى المورد ، فاحتاطوا لذلك بزيادة (قربة) لكل منهما .

وفي أثناء مسيرهم أبصرهم القوم المراد غزوهم بواسطة الدرابيل - المكبرات البصرية - فوضعوا شركا لإيقاعهم بأن أخرجوا ناقة لتكون طعما للغزاة وتفرقوا من حولها في مكامن ساترة ، فلما وصل غضبان ورفاقه انقض القوم عليهم من كل جهة ، وقد نادوا بالغاء (المنع) وهو أن يستسلم المحارب بلا قيد أو شرط .

فوقع غضبان ورفاقه في الأسر ، وفي نية القوم (فضخ) عيني غضبان أو سلخ مواطىء قدميه حيث كان أرعبهم بالحيافة والغزو مرات كثيرة .

ولكن تراجعوا عن ذلك ، واستقر رأيهم على سلب رفاق غضبان وأخذ كل ما معهم على أن يتركوا قريبا من أحد موارد الماء . أما غضبان ورفيقه فيتركان في مهلكة بعيدين عن الماء ، ولما نفذ القوم عقابهم ومضوا منصرفين ، التفت آخرهم إلى غضبان ورفيقه وفي غفلة من جماعته رمى قربة ماء على شجرة ومضى .

فعل هذا الرجل وهو من الأعداء ربما يفسر على أنه شفقة وعطف ، إلا أن الحقيقة التي أعرفها عند أهل البادية هي احترامهم وحبهم للرجل الشجاع فلا يرضون له الموت حتى وإن كان من الأعداء ومثل هذا حدث كثيرا في أحداث الزمن السابق ، وأعتقد أن هذا ما كان يقصده الرجل .

المهم . . التقطا القربة ، ولم تكن تكفي لأن موارد الماء بعيدة ، وهما يسيران على أقدامهما ، وقد تيقنا من الهلاك جوعا وعطشا ، حيث صاح رفيق غضبان خائفا من الموت بعد أن يئس من الحياة .

إلا أن غضبان بما واجه من مخاطر وتجارب مريرة هدأ من روعه قائلا : لا تخش الموت ، فقد اعتدنا طوال الحياة على مثل هذه الظروف الصعبة ، ثم ما نلبث أن ينقذنا الله سبحانه بأيسر الأسباب ، فإن كان الأجل قد حل فلا حيلة لنا ويجب أن نؤمن بما قدر الله .

ثم حفر كل واحد منهما حفرة اتقاء من الحر ، وكانت حفرتاهما تحت تل .

وبعد يومين وهما على هذه الحال ، وقد أشرفا على الهلاك أقبل قوم غزاة ، فنزلوا بجانب التل ، وارتقى اثنان منهم إلى التل يتطلعان عبر الدرابيل ليقوموا بالغزو .

وكانت ركائب هؤلاء الغزاة محملة بالطعام والماء والسلاح . وعند غياب الشمس انطلقت الإبل إلى المرعى راتعة .

فانسل غضبان وصاحبه من حفرتيهما بخفية إلى الإبل واختطفاها تحت جنح الظلام ، ولم يتمكن أصحابها من اللحاق بهما .

وبعد يومين ، وهما عائدان في طريقهما اغتنما خمسة عشر رأسا من الإبل من بني صخر ، وقد وصلا قبل بقية رفاقهما ، الذين كانوا يعتقدون أن غضبان وصاحبه لابد وأنهما هلكا من شدة العطش .

أما غضبان فقد اعطى صاحبه ضعف ما أخذ من الغنيمة ، وهكذا كانت حياة البادية خوفا وظروفا صعبة ومواقف ظلت شاهدة على نبل اولئك الرجال .

***

نبعد حراوي الذم عنا إلى جيب

جهز بن شرار - من شيوخ قبيلة مطير - من ميمون من بني عبدالله عرف بالشجاعة الفائقة والكرم وقرض الشعر باجادة وهذه قصيدته يسندها على ابنه صنيتان وهو يتحدث عن شبابه بعد أن بلغ سن المشيب وخصاله الكريمة عندما كان يتمتع بالقوة والصحة .

يالله يا اللي سايله ما يخيبي

يا منفذ ارزاقه بليا تحاسيب

طالبك تغفر لي ذنوبي وعيبي

باكر اللي وردت علي الطواليب

دنيــا فـــرحــــهــــا من كـــرهـهـــا قـــريبي

هني من لا أشـــقـــاه هـمـــه عن الغـــيب

طرايف الدنيـــا تحـــضـــر وتغـــيـــبي

لـو ســـاعـــفت بواقـــة للأصـــاحــيب

صنيـــتـــان يا ابني كـــان لك بان عـــيـــبي

اســتــر علي ان كـــان فـــيـــه عـــذاريب

يا مـــا جـــرى لي في شـــبـــابي وشـــيـــبي

من قطعـــة القـــرجـــة على شـــمخ النيب

وقـحص الامـــهـــار مـــشـــعـــثـــرات الـســبـيـــبي

جـــرايـر يشـــبـع بهـــا الطيـــر والـذيب

الـلـه ينـادي لـك بحظ ونـصـــيـــبي

يـدفـع لـك الأيـام بـامـــرذي الـنـيـب

يا مـــا نحـــول في مـــرامي تصـــيـــبي

خــــلاف جــــيش يوم يقـــفي صـــواليب

يوم ان هـراج الســـعـــة يتـــقي بي

عـنـد المـواقـف يـلـزمـن المـواجـــيب

اليـــا ركـــبنا اكـــوارهـن مـــا نهـــيـــبي

نبـــعـــد حـــراوي الذم عنا إلى جـــيب

الذم مـــا يلـقى عـليـنـا مـــصــــيـــبي

لا عـــدت الافـــعـــال بالكره والطيب

كـــود الظلايم من ضـــعـــاف النصـــيـــبي

والا فـــلا للشين فـــينا مـــقـــاضـــيب

يـا مـــا قطعـنـا ســـرح والأعـــزيبي

فـــي دبـــرة المـــولـــى وحـــنـــا مـــنـــاديـــب

مع درب شـيخ مـا يبـوق الصـحيـبي
يشكون منه القـوم كـفي المحـاليب
يا ليت عـصـر فـات يرجع قـريبي
وان الصـبـا يجلب ويغلي الى جـيب
نشـريه لو انه علينا تعـيـبي
والا نجـيـبـه من ديار الاجـانيب
على النقـا مـا له علينا مـصـيـبي
اليـا ركـبنا سـايجـات المحـاقـيب
مـخـتم قـولي بذكـر الحـبـيـبي
الله يغـفـر لي نهـار التـحـاسـيب

***

قرونها.. جرد السبايا

من قصائد الشيخ الفارس ساجر الرفدي . . قوله :

عـيني جـزت من نومـهـا واسـهـرتني
مـا هي مـريضـة مـيـر في القلب ولوال
واحـسـرتي من عـشـقي عـايفـتني
شـامت ونسـيت مـا مـضى لي بالأفـعـال
تعطرت يوم إنهـا باغـيـتني
واليـوم مـا حطت علومي على البـال
قـرونهـا جـرد السـبـايا تلتني
وعطورها دم النشـامى ليـا سـال
عـاهدتهـا بالله ،وهي عـاهدتني
واليوم أشـوف فـعـولهـا اقـفـاي واقـبـال

دنيـــــاي بحـــــــمــــــول العنا ضـــــــاهدتني
والكبــــــــــر يرّث بالرجل كل غـــــــربال
من مـــــــدها بالجـــــود يا مـــــا عطتني
ويامـــــا ركـــــبنا فـــــوق عــــجـــــلات الأزوال
يا مـــــا على طيب الفـــــعــــايل هدتني
وخليت عـــــيـــــرات النضــــا تهــــذل اهذال
نمشي على مـــــا كـــــادلو ســـــاعـــــفـــــتني
وان عـــــاضـــــبت نذكـــــر بهـــــا زين الأمـــــثـــــال
وكم ســـــرية جـــــريتـــــهـــــا تابعـــــتني
وخليت غـــــارتهـــــا على القـــــوم تنهـــــال
والله لأخـــــوض بحـــــورها لو عـــــصـــــتني
مـــــا دام جـــــســـــمي باقي مـــــا بعـــــد زال
ومـــــالي حـــــســـــايف كـــــانهـــــا خـــــالفـــــتني
للي يخلط الخـــــيـــــر والشـــــر عـــــمـــــال

***

الشمالي.. يرهن بيته، ويدفع النقود

من الحكايات التي تبين حرص الرجال على السمعة الطيبة ، وتحمل المصاعب والآلام في سبيل المحافظة على أعراضهم من المساس بها .

هذا فلاح من ضواحي القصيم يدعى الشمالي ، يشتغل عند أحد التجار ، وهذا التاجر يقطن في احدى المدن إما بريدة أو عنيزة . وبينهما من التقدير والاحترام والصدق في التعامل ما جعل العلاقة تبدو بينهما وكأنها بين أخوين .

فإذا أراد الفلاح أن يستدين من معزبه ، أخذ قدر حاجته من المال فيخبر معزبه بذلك حالا أو فيما بعد للثقة بينهما . وكان التاجر يضع ماله في خزانة بجانب

مكان عمل القهوة ، والفلاح إذا جاء يضع ما يحمله من حاجيات في هذه الخزانة .

وفي احدى الليالي ، تسامرا حول القهوة بالأحاديث والحكايات حتى سمعا مؤذن صلاة الفجر ، فقاما للصلاة بالمسجد ، ونسي التاجر باب الخزانة وكذلك باب الديوانية مفتوحين .

في تلك الأثناء مر رجل فقير ، فلاحظ الباب مفتوحا فدلف داخلا من شدة البرد ، فلما جلس إلى النار لاحظ الخزانة فمد يده فإذا بها تقع على صرة فيها خمسمائة ريال وجنيهين من الذهب ، كبيري الحجم ، وكان يسمى الجنيه منها في ذلك الوقت «ربّح بالك» . . فأخذها وخرج .

عندما عاد الرجلان من الصلاة لم يلحظا شيئا متغيرا . وفي آخر النهار بعد أن غادر الفلاح ، افتقد التاجر الفلوس وهو لا يظن أن أحدا يدخل عليه سوى الفلاح حتى أن مكان القهوة بعيد عن النساء فلا يأتينه أبدا . . لذلك كتب إليه : «إني أثق بك . . والفلوس إذا كانت عندك فأعدها إن كنت تريدها حتى أطمئن وارتاح ، وأنا لا أعتقد إلا أنك حملتها مع عفشك بطريق الخطأ» .

أما الفلاح . . فحين قرأ الكتاب كاد أن يغمى عليه ، وتمنى لو أنه خسر كل ما يملك ولا يجري له مثل هذا وخشي أن العار يلحق به فيما لو أنكر علمه بالفلوس ، فيتهم بالسرقة . لذلك فضل أن يخسر من ماله ولا يلحق بسمعته سوءا . فقام واستدان من تاجر آخر مبلغا يوازي ذلك المبلغ ورهن ملكه عند هذا التاجر إلى أجل اتفقا عليه .

وكتب إلى معزبه مع المبلغ : «إني حملت الفلوس مع العفش بالخطأ ، أما الجنيهان فقد وضعت قيمتهما من الدراهم» .

وسبحان الله . . بعد فترة قريبة ، شاء الله تعالى أن يظهر الحق ويبزغ النور ، فبينما التاجر يتمشى يوما في السوق ، فإذا الجنيهان الكبيران مع «دلاّل» ينادي على بيعهما ، وكانت هذه العملة نادرة وقليلة مع الناس ، فدنا منه وسأله عن

مصدرهما ، فدله عليه ، فإذا هو فقير وليس من أصحاب الأملاك ، فهدده التاجر بالشكوى عليه أو يعترف كيف حصل عليهما فيتستر عليه .

وبالفعل أقر الرجل الفقير بفعلته ، واعتذر بأن السرقة ليست من عاداته ولا هو قصد ذلك إنما زين الشيطان له ما فعل حين شاهد الخزانة مفتوحة . . فعفا التاجر عنه .

وركب التاجر من لحظته إلى حيث الفلاح ، وبكى أمامه وقبّل رأسه معتذرا منه طالبا المسامحة ، قائلا له : لو اعتذرت لكنت صدقتك حسب الثقة بيننا ولما أعرفه عنك من صدق وأمانة .

أما الفلاح فإنه لم يخبر أحدا بما حدث ، ولم يطلع على سره لا أقارب ولا أصدقاء أو أي أحد وهذا من قوة العزم والجلادة عند الرجال .

فسبحان الله . . أين من هؤلاء . . «بعض» الناس في أيامنا هذه ، الذين ما أن يحدث اختلاف أو سوء فهم بينهم إلا وقام أحدهم بالتشنيع على صاحبه ، وقد يدعي عليه ما ليس صحيحا ، بل إن البعض قد يفشي أسرارا لا يعرفها أحد عن صاحبه ظلت طي الكتمان طيلة زمن صفاء العلاقة بينهما ، فلما ساءت العلاقات أهدر كل شيء واستباحه؟!

***

أبكي خفى واضحك بيان

هذه أبيات من قصيدة طويلة للأمير الفارس ناصر بن عمر بن هادي ابن قرملة . كان قد عشق فتاة من قبيلته ، وهو عشق على شرف وعفة . وفي أحد الأيام رحل أهل الفتاة إلى مكان آخر طلباً للمرعى . . فصور ما يحس به من ألم الفراق بهذه الأبيات :

أبكي وحطيت البكا ساهمة لي

هافت غصون القلبٌ واصفت ركاياه

ابكي خفى اضحك بيانٍ مع اللي
القلب ما يدرون عن غاية أقصاه
قالوا لي العذال وما أخبلك ياللي
تبكي ولد ناسٍ تفارقت وياه
قلت آه ما انسى اللي حديثه يسلي
والله ما أنسى اللي تواجهت وياه
اللي ليا منه نوى ذبحة لي
أرخى المليثم لين تبدّي شفاياه
يضحك بحجر العين كله رضى لي
من خوفته يدري حدٍ من دناياه
العارض المنقاد من دون خلي
والمجمعة وسدير قاصي قراياه
خلي ورا العارض وانا فرع سلي
يا بعد ديرانه ويا قرب طرياه
ما ازين حديثه فوق فرشٍ وزلي
لا واحسايف يوم ما ابطيت وياه
خذيت من ريقه شروب المولي
شروب أهل هجنٍ قربهم مطواه

وقد استخدم أسلوب التورية في قوله : «العارض المنقاد من دون خلي» . . وقصده : حجاب البيت الذي يفصل بين مجلس الرجال ومجلس النساء . وفي قوله : «خلي ورا العارض وأنا فرع سلي» . . يقصد : المعاميل أي أواني القهوة وقد تعمد الخلط بين الأسماء لإبعاد الشبهة وفي الواقع ليس بينهما إلا قاطع البيت .

بغاها طرب صارت نشب

هذه قصة طريفة نوعا ما . . سمعتها مرة تروى عن ابن رشيد أثناء استراحته في طريق عودته من غزوة قام بها .

وسمعتها مرة ثانية ، تروى عن أحد شيوخ الجربا غضب ذات يوم فطلب ممن حوله أن يروي أحدهم قصة مسلية .

فقال أحدهم : أنا يا طويل العمر . فأذن له .

فقال الرجل : تسللت يوما على الفلاحين حول النهر . التمس الكسب عند مورد مواشيهم ، وهو جدول تم إصلاحه لتشرب الماشية منه وتحيط به غابة . فوردت عليه الماشية فهجم عليها الأسد وطرح واحدة منها . ولما افتقدها صاحبها رجع فإذا به بمواجهة الأسد ، فاشتبكا وقد وضع الأسد يديه على أكتاف الرجل ، يضربه بذيله ويجرحه . . والرجل ممسك برقبته . فلما أوشك على الهلاك تذكر أن معه سكينا فأخرج وشق بطن الأسد فسقط ميتا وسقط هو من التعب . وفي تلك الأثناء كان هناك ثعبان كبير يزحف باتجاهه ، والرجل لم ينتبه له ، فلدغه من الخلف ومات الرجل .

فتملك الأمير غضب شديد على غضبه ، وصاح بالرجل :

- كل هذا يجري وأنت ترى .
- فقال الرجل : نعم .
- فقال : لم تنقذ الدابة من الأسد؟
- فقال : لا .
- فقال الأمير : ولم تساعد الرجل على الأسد؟
- قال : لا .
- فقال : ولم تنبه الرجل من الثعبان؟
- قال : لا .

- فقال : هل أنت متزوج؟
- فقال الرجل : لا .
- فأمر الأمير أن يعقم هذا الرجل حتى لا ينجب ذرية جبناء مثله .

***

والحمايم تجاويني

عبيد بن هويدي الدوسري . . سكنت أسرته في بلدة (الشعراء) ولد فيها وشب في أسرة صغيرة كادحة ، أسود البشرة غير أنه مرهف الاحساس ، قال الشعر في ميعة شبابه فأجاد في الغزل واشتهر به ، شعره تعبير عن عاطفة صادقة وحب مضن . في هذه الأبيات صرح بدلال محبوبته وقال أنه يعجبه ذلك ، وصرح بموطن حبه من قصر الجبارا والمقصود به بلدة الجفارة الواقعة غرب مدينة القويعية إلى الزبني وهو قصور ونخيل بين الجفارة وبين مدينة القويعية . وكان في تلك الفترة شابا متوثب الحيوية محسودا على حبه مغبوطا في ميدان طربه وانطلاقة شعره .

تعليت في رأس الحجي النايف المبني
زمى بي وهيض عبرتي يوم اعدي به
وحيد واداوس رابعة فيه والغبن
تزايد عنا قلب الخطا ويش اسوي به؟
أجر المثايل والحمايم تجاويني
وما جابت الورقا فأنا عاد أباجيبه
تذكرت منهو بالعجاريف يعجبني
الى مر فيه المطروي بي غاري به
ترى شبهها عفري شمخ نيها يبني
مع ذود شيخ كل قفر تعشي به

عــشـــاكـــيل مــجـــدوله تجي مـــقـــود مـــثني

رسـن مـــــــهـــــــرة جـت بـالشكـايم تلاوي بـه

وهـو تـاجــــــــر بـالـزيـن والـزيـن بـه مـكـنـي

ولا شــفت بـاحـــسن من نهـيــد تحت جـيـبـه

انا شـــــفت من غـــــرس الجــــبــــارا الى الزبني

ولا مــــــــثـل منـبـــــــوز الـردايف نـحـلـي بـه

عــــسى الحـــاســـد اللي في جــــوابي مكذبني

عــــسى منزله بأســـــفل جـــــهنم وتلـهى بـه

***

أربع ستين وحب خلي على ضن

ذكرنا في الجزء الأول قصة عشق مخلد القثامي – من قبيلة عتيبة – ومساعدة ابن رشيد في زواجه من محبوبته ، وهذه واحدة من قصائده قبل أن يتزوج بمحبوبته ، وكانت ممنوعة عنه حسب عادة التحجير وقد عقد أخوها لأحد الأشراف عليها ولكنها كانت في البر عند أخيها .

أما مخلد القثامي فقد رآها في احدى المرات في الحج أثناء الطواف وفي زحمة الحجاج ، وكانت رؤيته لها بعد سنوات من الفراق . .

فقال :

يـقـــــول مــــــخلـد عـنـد بـاب الحـــــرم ون

فـي المـدعـى يـا عـــــــــــــارفـين المـكـانـي

شــــفـــتـــه عليـــه ثيـــاب مـــدري وش هن؟

لابس مـع الدفـــــه حـــريـر عـــــمـــــاني

مــــا شـــــفـــتـــه الا اقــــدامنا قــــد تناصن

سـلـم الـعـــــــرب عن درب خـلـي حــــــداني

أول عـــذاب القلب من عنبـــر خن
والمسك والريحـــان والزعـــفـــراني
وأتلا عـــذاب القلب شـــقـــر يقـــصن
على عـــفـــيف للخنا مـــا يداني
أربـــع سـنين وحـــب خـلـــي علـــى ضن
واربـــع سـنين وزادنـا مـــا هـنـانـي
واربع سنين اقـــرع كـــمـــا يقـــرع الشن
واربـــع سـنـــين وحـــب خـلـــي طـوانـــي
ودي أســـايـل عنه وأقـــول من .. من
لو كـــان ســيـــدي خـــابره مـــا غـــواني
يا راكب عـــشـــر وعـــشـــرين ينقن
أيضـــاً .. ويقـــفـــاهن عـــشـــر وثمـــاني
وعـــشـــرين منهـــا في المدينة يعـــسن
وثمـــاني منهـــا يم وادي شـــهـــراني
واللي تبـــقى بالقـــرايا يجـــولن
ويدوّرنه بالغـــبـــا والبـــيـــاني
اتلـي وعـــد بآخـــر فطور يهـلن
وأول وعـــد ليلة هلال رمـــضـــاني
وآخـــر وعـــد يوم المحـــامل يدقن
في لمة الحـــجـــاج ليلة ثمـــاني
ان كـــان جـــابن الحـــبـــيب عليـــهن
ابنشـــر البـــيـــضـــا وأشـــيل الغـــواني
امـــا جـــزيناها على الله جـــزاهن
والموت خـــيـــر من الهـــوى والهـــواني

قلت الخبر عن ناصر.. قال مرحوم!

هذه قصة اثنين من الأشقاء ، يدعى الأول عبدالله والثاني ناصر ، وهما من أهل القصيم ، أنعم الله عليهما بالمال والحلال والمزارع ، ولسبب ما بعد طول اجتماع قرر ناصر أن يرتحل إلى أحد بلدان الشمال الغنية في ذلك الوقت ، واستقر هناك وقد رزقه الله خيرا وفيرا ونعمة وأبناء ومكانة وسمعة طيبة بين الناس .

ومرت السنوات . . وتغيرت الأحوال بالقصيم ، وحل عليها قحط شديد اضطر عبدالله إلى بيع أملاكه ورهن مزرعته بسبب ديون متراكمة ، ولم يستطع خلاصا منها .

فأرسل إليه أخيه ناصر يطلب منه المساعدة والعون ، فبعث له ناصر مالا كثيرا وفك رهن مزرعته وقام بسداد الديون عنه . فاستعاد عبدالله وضعه الأول وبدأ الزراعة من جديد . وكان اشتاق إلى أخيه شوقا كبيرا ، فقرر السفر إليه ليراه بعد سنوات طويلة من افتراقهما ، وكان طوال الطريق يحدث نفسه – لشدة شوقه – كيف سيلاقي أخاه؟ وكيف أصبح شكله بعد هذه السنوات؟ وتساؤلات عدة تدور في ذهنه . . إلا أنها تلاشت وتبددت من مخيلته تماما عندما شاهد عند وصوله جماعة يحملون جنازة ، فلما اقترب منهم كانت ملامحهم نجدية . . فتقدم يسألهم عن الميت ، فأخبروه أن اسم الميت ناصر بن غيث! . . فكانت الصدمة بالنسبة إليه ، والتي لم يدم بعدها ، إذ لم تمض أيام قليلة حتى فارق الحياة ليدفن إلى جانب أخيه في مقبرة واحدة . وكان عبدالله قال قبل وفاته :

يا مل عين شافت الخط مرشوم
تبشر بطوي اليأس وفراق غالي
يالعين صبر فراق الاثنين ملزوم
قبلك وعقبك وأول هم تالي

دنيت مـــــا يطوي الفـــــيـــــافي من الكوم
ثنتين لما تركن الجـــــــفـــــــالي
كم مـــــارد مع بينة الصـــــبح مـــــدهوم
يجـــــزن ونوردهن قـــــراح زلالي
وقال في آخرها متأثرا بأحزانه الشديدة على فقد أخيه مبيناً عمق محبته ومكانته في نفسه :
والأه ينطحني ســـــعـــــيـــــد وسلوم
وحـــــمـــــد يفـــــتّخ يوم شـــــافن بحـــــالي
قلت الخـــــبـــــر عن ناصـــــر؟ . . قـــــال مـــــرحـــــوم
صـــــبـــــرك على الله واعـــــتـــــصم لا تســـــالي
ازريت أنا لا أمـــــشي ولا أقـــــعـــــد ولا أقـــــوم
صـــــبـــــرت صـــــبـــــر مـــــحـــــجـــــزات الجـــــمـــــالي
والا غـــــريب تاه بالدو منجـــــوم
تغطرست صـــــار الجنوب الشـــــمـــــالي
انحب نحـــــيب الورق وألعي لعـــــا البـــــوم
واعـــــوي عـــــوى ذيب لقى الجـــــوخـــــالي
مـــــا عـــــاد غـــــضب خـــــاطري دايم الدوم
ولا عـــــاد يوم قـــــال ذا لك وذا لي
صـــــغـــــيـــــر سن عـــــاش في ديرة القـــــوم
حـــــاش المراجل دقـــــهـــــا والجـــــلالي
من خـــــشم سنجـــــار إلى الضلع لملوم
الضـــــيف يقـــــرى والعطايا جـــــزالي
له ســـــفـــــرة يرمى بهـــــا الزاد وشـــــحـــــوم
والعـــــبـــــد عند مـــــسطرات الدلالي
يا كـــــيف أنام وســـــاقف البـــــيت مـــــهـــــدوم
يطري علي في مـــــرقـــــدي من هبـــــالي

افرح اللي يرتجيني

بعد أن كبر وتقدم به العمر تذكر الشاعر الشجاع راضي الشحمي من السبعة من قبيلة عنزة صباه وشبابه . . وكان قد عاب على بعض الشباب اتكاليتهم وتهاونهم عن القيام بواجباتهم ، فأخذ يفخر بعزيمته أيام شبابه وشجاعته بهذه الأبيات الجميلة :

خطو الولد يعطي العزا . . والعزا فيه
حي وهي تسفي عليه السوافي
لا قيل له سو الغرض ما يسويه
ولا يخترج من قوهم والعوافي
من اول نحفي القدم ما نوقيه
ما بي نعول ولا زرابيل حافي
اطا مواطي الذيب وأعدي معاديه
أركض برجلين سباق خفاف
وأطلق من الذود القليل نواديه
وأفرح اللي يرتجيني خلافي
لا صوتوا وقت العشا بالتواجيه
ما مرقدي عند المعازيب دافي
أشوف شوف الطير واللي قنص فيه
وأميز الأزوال بالاختلافي
واليوم عود غايلاته تراقيه
حتى الظهر به حنوة بانهدافي
جانا الكبر وابليت به من بلاويه
وراح الصبا مثل الظعون المقافي

ترك التمرة برجوى الذبيحة

كان لأخوين جار غني ، اعتاد أن يحسن إليهما ويصلهما بالمعروف دائما ، وفي أحد الأيام كان عنده ضيوف فأولم لهم ، وقد تأمل الأخوان أن يدعوهما ، وكان عندهما ماء وتمر قليل ، وبينما الوقت يمضي وهما ينتظران الدعوة . قال أحدهما سوف أنام وهذه التمرة تكفي في حين أصر الثاني على الانتظار ولم يأكل وهو يقول سأنتظر الدعوة إلى الذبيحة ! . . وربما لانشغال الجار بضيوفه نسي دعوتهما .

فأطلق بهذه المناسبة مثلا عبارة عن بيت من الشعر :

يا عـــايف التـــمـــرة برجـــوى الذبيـــحـــة

كل الســـحـــيـــحـــا والذبيـــحـــة لهـــا حـــال

***

عند وقيّان لك ناقة!

- يضرب هذا المثل عند اليأس من شيء ما .

- وقيان هذا رجل ، وقصة المثل ، أن الناس كانوا يضعون إبلهم عنده ، ليقوم برعيها واصلاح شأنها ، ثم تبين أنه ليس على قدر ثقة الناس به ، فقد كان يتصرف بالإبل ويبيعها ويدعي أنها ضاعت . واستمر على هذا الوضع حتى انكشف أمره عند الكثيرين . وفي هذه الأثناء أتى رجل إلى أحد التجار ليبتاع طعاما بالأجل ، فلما سأله التاجر من أين يوفيه حقه؟ أجاب الرجل : إن لي ناقة عند وقيان على وشك أن تلد ، وحين تلد سوف أبيع ولدها وأعطيك حقك .

فما كان من التاجر إلا أن زم شفتيه قائلا : «أوووه . . عند وقيان لك ناقة» . . فذهب قوله مثلا بين الناس ، وبالطبع لم يبعه .

ما ريد كل الغوش

دائما . . تجد الشجعان يثيرون اهتمام الفتيات ، ويسيطرون على مشاعرهن . وهذه احداهن من قبيلة الرشايدة ، بينما تشاهد معركة دائرة بين احدى القبائل وقبيلتها ، أثار اعجابها شجاعة فارسين من قبيلتها ، ذكرت اسميهما ، ولكن يبدو أنهما من بطن آخر لأنها قالت : «يا ليتهم منا» . . ضمن ما قالته من أبيات تصف فيها المعركة وتمتدح الفارسين :

يـا يـاه مـــــــــا ريـد كـل الـغـــــــــوش
يـا غـــــــيـــــــر شـــــــامـــــــان ومـــــــهـنـا
الـكـل مـنـهـم بـوقـت الـهـــــــــوش
يـذبـح هـل الخـــــــــيـل وان جـنـا
الـيـــــا تـنـاخـــــوا بـتـــــالـي الـبـــــوش
طـب أخـــــــو مـــــــزنـة وأخـــــــو بـنـا
والـيـــــا قـــــضـــــبـــــوا عـــــقـــــبـــــهـا بـالـهــوش
يـا يـاه يـا لـيـــــــتـــــــهـم مـنـا
ولـيـــــــا ركـب زيـنـة المـنـقـــــــوش
يـا حـلـو صـــــــوتـه لـيـــــــا غـنـى

***

وصايا وتحذير

هذه احدى النساء توصي ابنتها ، وهي تقدم نصائح عدة للنساء ذات قيمة في أسلوب التعامل مع أزواجهن تقول :

يا بنت قلبي وافـــــهـــــمي يوم أوصـــــيك
بخـــــمس وحطيـــــهن من أول وصـــــاياك

زين النبـــا ، ومـــتـــابع رضـــاه يغليك
بالســمع والطاعـــة يحـــشـــمك ويدراك
حطي عـــوان الرجل من فـــوق عـــانيك
حـــتى احـــجـــاجـــه ينطلق لك إذا جـــاك
والى طلعـــتي فـــاضـــفي اللبس يذريك
واضـــفي على وجـــهك عـــسى الرب ياقـــاك
هذي وصـــاة أمك عـــسى الرب يهـــديك
وأرجي عـــسى ربي عن الشـــر يرعـــاك
ترى الرجل يوم يتـــخـــيـــر لأهاليك
مـــعلم باطبـــاع أهاليك واربـاك
وامـــضـــاك له في سنة الشـــرع واليك
وان كـــان عـــاندتيـــه حـــدّك على اقـــصـــاك
إيلا دخل زعـــلان فـــابدي مـــراضـــيك
بالمزح والعـــشـــرة وطيّب نـــواياك

***

ما يستوي في ماكر الصقر بوم

توفي زوج واحدة من نساء البادية اسمها «غلبا» وكان فارسا معروفا اشتهر بالكرم والشجاعة ، فجاء أحدهم يخطب هذه المرأة بعد أن قال فيها قصيدة يفتدي بها الجميع من أجل هذه المرأة .

وعادة يغضب الناس من مثل هذا القول سواء كانوا رجالا أو نساء . لذلك اجابته هيا بنت مبارك – من الشداديين من الشلاوي – بحدة قائلة :

يـالبـــيض عن حظي تذرن بسناح
من خـــوف من حظي يجـــيكن ســـمـــومي

يا واصلن «غلبا» ترى شوقها راح
ما يستوي في ماكر الصقر بومي
شرب العذف عقب الطفاطيف ينزاح
وأخذ الردي عقب المناعير لومي
يا بعيج لا تفدى بصبيان الأمداح
نطاحة الكايد تهار اللزومي

***

التاجر الجشع

يروي الأديب الفاضل منديل بن محمد الأسعدي في كتابه «من آدابنا الشعبية» هذه القصة التي تبين جملة من الصفات الحميدة النادرة كالوفاء بين الأصدقاء، والإيثار والصبر والاعتماد على النفس.

تقول القصة: إن صديقين، أحدهما بدوي والآخر حضري، وهذا الأخير فلاح صاحب نخل، وكان الأول ينزل عنده في كل صيف، فترة المقطان، بأهله وبماشيته، والحضري يعطي صاحبه من التمر ما يزيد عن كفايته، والبدوي يبادله كرمه بمنائح من الغنم وإبل يسقي عليها.

وهذا الفلاح كان دائم الاستدانة من أحد التجار، بينما التاجر يغض الطرف عن الديون السابقة كلما جاءه الفلاح يستدين منه، ولا يرده أبدا. ولم يكن فعل التاجر نبلا منه، ولكن كانت له نية سيئة، حيث كان قصده أن يتضاعف الدين حتى يبلغ قيمة بستان النخل فيأخذه منه.

فلما تحقق للتاجر مبتغاه، اشتد في مطالبة الفلاح وأطال لسانه وقد وقف الناس معه لأنه يطالب بحقه.. إلى أن وافق الفلاح على بيع النخل باستثناء جزء منه ادعى أنه كان وهبه للبدوي، فصدقه الناس لما يعرفونه من صداقة وثيقة بينهما. ولم يكن قصده من هذا الادعاء إلا أن ينفع صاحبه ويكافئه على مودته

ومواقفه .

وبعد أن باع النخل رحل إلى بلدة أخرى يبحث عن الرزق .

أما صديقه البدوي ، حين جاء كعادته في الصيف وعلم بالخبر ، قال أنا أحق بالبيع ، وشفع الشفاعة الشرعية وأخذ النخل من التاجر وذهب يبحث عن صاحبه حتى وجده وأعاده إلى نخله .

وكانت هذه المواقف النبيلة بين الرجلين ، دافعا لأديبنا منديل الأسعدي ليخلدها في هذه القصيدة . . يقول :

يـا حـــــبني لأهل الـوفــــا والأجـــــاويد
لو هـم من أهـل الشـــرق وإلا الشـــمـــال
خطو الولد يصــبـر كــمـــا يصــبــر الحـــيد
يشـــيل شـــيل مـــثـــقـــلات الجـــمـــالي
وأحـــد مـــحـــاصـــيله لربعـــه مناقـــيـــد
يضـــــرب على درب الردى مـــــا يبـــــالي
وقـــفـــاتهم لأهداف حـــاجـــة وتقليـــد
بذر بهم كنه بصـــبـــخـــا هيـــــالي
ودّك ترافق مـــثل عـــواد وعـــبـــيـــد
يـضـــرب بهم وصف إلى اتلا التــــوالي
بـاع الـنـخـل لـلـديـن هـو والمعـــــاويد
وظهـــر مـــفلّس من جـــمـــيع الحـــلالي
مـــســـتـثني عـــشـــر نخـــلات من القـــيـــد
قـــال لرفـــيق قـــد ســـخى لي بغـــالي
وفـــزع رفـــيـــقـــه مـــرذي الكنس العـــيـــد
والديـن ســـاقـــه بالوفـــا والكـمـــالي
رده على ملـكـه بـلـيـــا تحـــاديد
ذي رفـــقـــة اللزمـــات بين الرجـــالي

مـا هوب من يدرق رفـيـقـه كـمـا الصـيـد
مـفـوّت زمـان وينكر الفـضـل تـالي
سـبـابة المقـفي لئـام حـواسـيـد
الـلـه عـاهـم لـلـفـنـا والـزوال

***

يا فاطري حني على مرتع لك

كان قيعي الشليمي – من السعيد من قبيلة الظفير – مع نجوع جماعته في إحدى أنحاء النفود ، وهذا المكان لا ينبت به الحمض ، لذلك عقد اجتماعا لتبادل الرأي والمشورة حول الانتقال إلى مرعى أكثر خصوبة ويوجد فيه الحمض .

فقال قيعي : إني أخشى من ساجر الرفدي – وهو شيخ السلقا من قبيلة عنزة – لأن ساجر صاحب غزوات وسمعته معروفة .

وقد عبر قيعي عن خوفه بهذه الأبيات :

يـا فـاطري حـنـي عـلـى مـرتـع لـك
بين البـراك وبين نقـرة عـشـامـيـر
خـشـم الحـقـي اذا جـذا مـدهـل لـك
لـيـا كـنـهـب الـنـزال ود المـظـاهـيـر
اليـوم (سـاجـر) بـالحـوايا يـلـك
مـل الـزريـقـي لـلـبـكـار الخـواويـر
عـزي لمن بعـض العـرب فـزعـة لك
حـدب الظهـور وباردين المناقـيـر

وشاء الله تعالى أن تصل هذه الأبيات إلى أسماع ساجر الرفدي ، فأرسل إلى الشليمي من يخبره أن ساجر يأذن له بالنزول في أي مكان يختاره ، تقديرا له ،

وهو في جواره إن تعرض له أحد من قومه .

وبالفعل أغار عليه قوم ، فلما عرفوا إبله ، قاموا بأدائها من أجل جوار ساجر . والواقع أن البدو كانوا يقدرون بعضهم على الذكر وإن لم ير الواحد منهم الآخر ، ومن أجل الثناء والمدح أو كلمة (ونعم) يفعل البدوي المستحيل ، وهم أشد ما يكونون احتراما للشجاع وللكريم ولصاحب الصفات الحميدة .

***

هدباء عند آل حميد والخنافرة

من الحكايات التي تدل على مكانة الخيل ، وأهميتها عند أهل البادية ، هذه الحكاية التي تبين مدى تعلق البدوي بفرسه ، وعدم تخليه عنها بسهولة ، واستماتته من أجل الحصول عليها وامتلاكها .

حصل أن (ابن فتنان) وهو من شعراء قبيلة قحطان ، وكان شجاعا معروفا ، قد ساءت أحواله لما أصابه من الحاجة والعوز ، فتوجه إلى (آل حميد) شيوخ برقا من قبيلة عتيبة ، لإعانته على ما ألم به . . ويقال أنه تعرض لنهب ما معه وهو في طريقه إليهم .

فلما وصل عندهم ، قام الشيخ ابن حميد بواجبه ، فاحتفى به ، وأولم له بما يليق بمكانته . وحين تعرف على أحواله ، دعا كبار قومه وعرض عليهم مساعدة (ابن فتنان) . . ثم ألقى أمام البيت أربعين عقالا ، وجرت العادة أن من أخذ عقالا أحضر مكانه ناقة ، ومن أخذ أكثر من ذلك يأتي بعدد ما يأخذ . فلما اجتمعت عند الشيخ ابن حميد أربعين ناقة لقحة ، قام وأعطاها إلى ضيفه ابن فتنان ، الذي بنى بيته ، وعاش معهم سنين عدة معززا مكرما . وكان أن رجع بعد ذلك إلى قبيلته قحطان وهو لم ينس ما أسداه آل حميد من معروف وحسن جميل .

وحدث بعد سنوات . . أن عباس بن علوش بن حميد ، كان عنده فرس

أصيلة نادرة ، من سلالة مشهورة ، من مرابط هدباء ، من خيل (ابن مضيان) شيخ الظواهر من قبيلة حرب ، وهو شريك لرجل حربي في هذه الفرس . ثم أن عباس بن علوش قدر قيمة هذه الفرس بستين ناقة ، فاشتراها بأن أعطى لشريكه الحربي ثلاثين ناقة . . حيث أصبحت ملكه . . وكان للفرس هدباء وابنتها شهرة واسعة .

وفي معركة جرت بين عتيبة وقحطان ، وقعت هذه الفرس في أيدي «الخنافرة» من قحطان ، وكان يركبها واحد من «الحمدة» .

وكان ابن فتنان قد توفي ، فأرسل آل حميد إلى ابنه «مجدل» يطلبون منه أن يبذل ما بوسعه ويتوسط في إعادة الفرس . فصادف أن مجدل كان مريضا ، فاعتذر لهم بمرضه ، وأبلغهم أنه إذا كتب الله له الشفاء من مرضه فإن الفرس ستعود لهم . . وإن مات فإن الفرس ليست بأغلى منه . وشاء الله أن يموت مجدل في مرضه هذا!

ومن قصائد عباس بن علوش في هذه الفرس (هدباء) التي لمكانتها عنده كان رفض أن يبيعها أو يهديها لأحد ، يقول :

يا سابقي حالي سوي لحالك
حبك سطا بالقلب ما فيه تشكيك
سويت من زين البيادي جلالك
وأربع تحت صم الحوافر توقيك
وحب الشعير من البلد يشترى لك
أيضا ومن در العرابا نبديك
باغي إلى سرنا وقل العشا لك
وإلا اللحم مترفع في علاويك
ضلع زمى دونك وضلع زمالك
يبون بدو حودروا من ورا ريك

يا ســــابقي يا زيـن صــــفّت حــــبـــالك
ويـا زيـن بـأطـراف الســـــبـــــايا تمـدريك
كم مــــهـــــرة قــــبّـــــا لجت في ظـلالك
من وسع وســــــرك قـــــيّلت بين أياديك
تبين فـكّة مـــــقــــصـــر في حـــبــــالك
لا رفــــعـــــوا القـطـيّـــهن المســــاليك

وقال فيها – أيضا – قصائد عدة ، منها قوله :

لا قــــوّدوها ســــتــــة أيام عـــــدّهـن
يشـــوفــون نشـــر مع جــــذيب مـــال
أخـــــذت ســـــروال ورمح مـــــزرّج
وثوب جـــديد واعــــتــــصــــبت بشــــال
ظـلّـت عـلـى الحـكـام ثـم مــــاج عـنـهــــا
ثم اطـلقـــوا طـوال اليــــدين حـــبـــال
تكســـــر لحس الخـــيل من خلف ذيلهـــا
ريميـــــة تكســــــر لحس غــــــزال

وهذا من شعر عباس بن علوش في الفرس الأم هدباء ، أما ابنتها التي رفض الخنافرة إعـادتها ، فهي (ثالم) في عـرف أهل البادية ، وهو مصطلح معناه أن الفرس المغيرة إذا سقطت لا ترد إلى صاحبها ، وتسقط حقوقه كافة في المطالبة بها .

ورغم ذلك لم ييأس (الحمدة) من الفرس ، لعظم مكانتها عندهم ، حيث أخذوا بعد موت مجدل ، يبعثون إلى أخيه (منيف) مراسلات وقصائد لإثارة نخوته ، وقام يطالب جماعته ، إلى أن رفعوا الأمر إلى العوارف (قضاة البدو) فترافعوا عند عوارف آل حميد أنفسهم ، شويمي وخباب وخالد ، فكان حكم هؤلاء ضد آل حميد بأن مثل هذه الفرس لا ترد ، ولاحظ عدالة وأمانة هؤلاء في

حكمهم ، فلم ينحازوا إلى جماعتهم وحكموا بالحق .

ولم تتوقف محاولات آل حميد ، فقد قام الشيخ محمد بن هندي بمراسلة (منيف) ومن ضمن ما أرسله قصيدة تني أبو عبية على لسان ابن هندي . . يقول :

يـا راكـبٍ مـلـحـا مـن الـداربـات
مـأمـونة من نـابيـات الحـصـيـرة
تـلـفـي مـنـيـف حـامي الجـاذيات
ريف لـربـعـه في الليـال العـسـيـرة
يا مـا ذبح من فـاطرٍ غـيـر شـاة
لا ركـبت غـبـر الليـال الـضـريره
رمـايهـم لا قـل هـوش الـرمـاة
وخـيـال لاجـا بالدبايل سـعـيـره
الـسـابق اللـي مـثل وصف المهـاة
ومن الفـهـد فـيـهـا حـلايا وسـيـره
الـذيـل مـركـوز بـوسـط الـقـطـاة
والسـاق نـاعـور عـلـى جـال بيـره
قـصـيـرةٍ لأولاد روق الـعـصـاة
قـصـيـرة ياويّهـا من قـصـيـره
ثوّرت فـيـهـا مـجـدّل لين مـات
وصـارت لـكم يـا باقي الحي سـيـره
خـشـيـرتك بـالزاد والحي فـات
وأمك عـدايلهـا عـدايل منيـره
مـادام صـبـحـا من قـبـال الحـصـاة
لهـا عليكم شـامـةٍ مـسـتـديره

قل الفـــــرس بسلومكم كــــيف تأتي

والخنفـــري فـــيـهـــا هروجـــه كـــثـــيـــره

وهو يقصد في (أولاد روق) من قحطان وليس الروقة من عتيبة ، وهذا البيت وما بعده لا ينقص من قدرهم ومكانتهم شيئا ، وهم لم يقترفوا شيئا مشينا ، ولكن الشاعر تعمد إدخال مثل هذا المعنى لاستفزازهم وإثارة نخوتهم ليحصل على مراده بإطلاق الفرس ، خاصة وأن البدو أحرص ما يكونون بالابتعاد عما يؤثر على سمعتهم وذكرهم .

ولما كثر الإلحاح على منيف ابن فتنان ، اشتد في طلب الفرس ، وضيق على جماعته حتى كادت أن تقع فتنة ، إلى أن أدركها .

فأرسل الفرس إلى آل حميد ، ومعها قصيدة يوضح لهم أنه بذل جهده في تخليصها جزاء لجميلهم القديم ، وإلا فإنه لا حق لهم فيها لأنها أخذت أثناء اغارتها على قحطان وهو ما أكده قضاة عتيبة في حكمهم . . ويقول منيف في أبيات من قصيدته :

الســـــابق اللي قطعت ذرو الأطناب

تاعـــوا لهـــا يوم الركـــاب أقـــبلن

مـــا طعت فـــيـهـــا شـــور خـــالد وخـــبـــاب

وســـوالف لشـــويمي قـــــد مـــضـن

اللوم مـــا يديه ضـــحك بالأنيـــاب

ورقص مع رقـــاصـــة يرقـــصن

يا كـــود من عـــينه كـــمـــا صلو مـــشـــهـــاب

أو لولب يوم الحـــجج يفـــتلن

***

الشيخ طير والجماعة ريشة

للشعر قيمة عالية عند أهل البادية وللشاعر دور كبير في حسم كثير من المواقف ، وإن كان بمقدوره أن يشعل نار الحرب في قصيدة فإن بإمكانه أن يعيد الصفاء إلى النفوس في قصيدة أخرى .

حول ذلك .. أن سوء تفاهم حصل بين الشيخ محمد العواجي شيخ ولد سليمان من قبيلة عنزة وبين ابن عمه حسن المرتعد ، فأوشك سوء التفاهم أن يتطور إلى حرب بين الطرفين فتدخل الشاعر حمود بن زويد القروع بهذه القصيدة :

يا راكب من عندنا فوق حره
حمرا وهي وقم الرباع ظهير
سرها وتلفا للشجاع محمد
له بيت من بين البيوت شهير
الشيخ طير والجماعة ريشه
طير بلا جنحان ما يطير
جماعة جال يظلل ظلهم
إن جاك يوم من عداك خطير
ادمح لهم ذخر تزور بها العدا
تغز فيهم بيرق وتغير
أقول حسن ما رضى بالشر بينكم
إلا المراجل والإله خبير
حسن يضد الخيل من دون مالكم
حد الظوامي عن شراب البير

فكانت قصيدته سببا في اخماد نار الفتنة واعادة علاقتهما إلى سابق عهدها من الصفاء والمودة .

غريب الدار

بالرغم من بساطة ألفاظها وسلاسة أبياتها ، إلا أن هذه القصيدة ذات معان عميقة ، معبرة ، أجاد شاعرها رسم حالة غريب الأوطان بدقة متناهية . واستطاع أن يعبر عما يشعر به وهو المسافر بعيدا عن أوطانه . . قال ابراهيم بن مزيد ، الشاعر المشهور ، هذه القصيدة قبل خمسين عاما - تقريبا - بينما كان يتنقل بين الكويت والعراق ومصر وراء أسباب الرزق :

غـــريب الدار لا تبـــحث كنينه
على مــا فــيـه جــعل الله يعــينه
على مــا فــيــه خلوه مــتــدامل
يكفــيكم عن أبحــاثه ونينه
أقـــول أن الفــتى يمشي مــدبر
ولا له غــيــر مــا كــتب بجــبــينه
ولا نيب أفــتــخــر فــيــمـا أقــوله
كــــلام كل أبوكم خــــابرينه
تعـــرفـــون الغـــريب الى تذكــر
بلادينه . . وربع عـــارفـــينه
وهو في دار قـــوم مـــا تعـــرفـــه
كـــلامـــه عندهم مـــثل الرطينه
يجـــر الصـــوت من غـــيــر اخـــتــياره
ولا يظن بأحـــد ســامــعـــينه
هواجـــيـــسه تلاطم في ضـــمـــيــره
تراواله كـــمـــا راكب ســفـــينه
يموج به البـــحـــر من كل جـــانب
ولا يفـــرق شـــمـــاله من يمينه

يقـــــوله واحـــــــد غـــــرّب وجـــــرّب
وذاق من الـدهـر زينـه وشـــــــينـه
وشـــاف أن الفـــراق اكـبــر مـــصـــيـبــه
وأمـــــر من الـصـــــبـــــر . . يا ذايقـــــينه
وهـذي دبـرة الـلـه يـا مـــــحـــــمـــــد
غـــــريـب الـدار لا تبـــــحـث كـنـيـنـه

***

من صفات الرجال

ذات مساء . . وكنا نجلس عند أحد الأصدقاء ، رحب أحد الحاضرين بصديق قائلا : (حيا الله فرز الوغى) . . وتعالت الضحكات والتعليقات ، ثم ما لبث أن التفت إلينا معلقا : (إن فرز الوغى صفة لا تستخدم سوى في القصائد ، ولا وجود لها في أحاديثنا العادية)! . . وهكذا كانت هذه القضية الطريفة محور أحاديثنا تلك الليلة .

وتعليق صاحبنا على جانب كبير من الصحة ، إلا أنني أجد أن هذه الصفات كانت موجودة بمعناها والغرض منها . . فيقال للرجل الشجاع انت شجاع إلا أنه ليس من المعقول أن يقال لرجل حيا الله من يثني خلاف التوالي ، هذا ضرب من ضروب الشجاعة . . فقد يتطلب الموقف من الفارس الإقدام على ذلك . . وربما انتهت الحرب بانتصار قومه – مثلا – ويكون كل ما فعله في ذلك اليوم قتل فارس أو اقتلاعه من فرسه وربما أسر غيره . . وهكذا .

وهذه الصفات التي سنذكر بعضا منها – عبارة عن كلمات مركبة ذات جرس موسيقي خاص ، شاع استخدامها في القصائد النبطية . . وتلاشى منها ما تجاوزه الزمن . . المهم قال أحد الأصدقاء : اكتب ذلك . . قلت : أكيد فابتسم ، يعتقد إني أمزح بينما كنت جادا – وما زلت – فيما أقوله :

* **الوجيه المطاليق :**

الوجوه الطلقة أي ضاحكة مشرقة ، رجل طليق الوجه : ذو بشر حسن . وطلق الوجه إذا كان سخياً . والمطاليق عادة في الشعر الشعبي ، الكرام ومن لم يرتكبوا معيباً يزوي وجوههم حياء . ومن أسماء الرجال «مطلق» .

* **عطران الشوارب :**

العطران من العطرة وهي لون يقرب من الحمرة . وعادة الشجعان والكرام تعطير شواربهم بالهيل ورائحته العطرية .

* **هديب الشام :**

يضرب مثلاً لمشية التبختر وأصلها محمل الحاج الشامي ، لأن الراكب يمشي في نظام كهدب العين في انتظامها وتراصها .

* **صواريم سنجار :**

ويقال - أيضاً - طير شلوى ، وطير حوران ، ومذروب سنجار ، والحر الأشقر . يراد بالحرار الصقور ، وهي رمز الشجاعة عند العرب . وقد أكثر الشعراء الشعبيون من التشبيه بالصقر لشجاعته .

* **هداج تيماء :**

تيماء البلد المعروفه شمال الجزيرة بكثرة مياهها ، وهداجها بئر غزيرة الماء يضرب بها المثل ويشبه بها الكرماء في كثرة العطاء .

* **كعام الحريب :**

الكعام ما يشد به أفواه الأبل ، يوصف به من اعتاد قهر أعدائه .

* **فرز الوغى :**

الفرز عزل الشيء وتمييزه ، الوغى ما في الحرب من صوت وجلبة ، والحرب نفسها يطلق عليها اسم الوغى لهذه العلاقة . . فالمراد بفرزها من اعتاد خوضها .

لا واحسايف عشبة المرباع

إن العلاقة الزوجية واحدة من أهم وأشرف العلاقات الإنسانية ، وإن كانت مثلها مثل أي علاقة قد تمر بمنعطفات من فتور أو مشاكل قد لا يخلو منها أي بيت إلا أن الشرع حدد حقوق وواجبات كل من الزوجين ، ومتى ما كان الزوجان على فقه وتقوى من الله فإنهما قادران على تخطي كل الصعوبات .

ومن الحوارات الشعرية الجميلة ، بين زوجين ، عندهما القدرة على تقديم الأدلة و الحجج المقنعة ، والأمر لا يخلو من طرافة ، ما كان من شأن أحد الأزواج عندما عاد من عمله ذات يوم ، فاستلقى متعبا على فراشه ، وقد دارت في رأسه خيالات وأمنيات ربما ليس باستطاعته الإقدام على تنفيذ شيء منها . . ولم يكن يعلم أن زوجته قريبة منه تسمع ما يقول ، حين أخذ يردد :

يالله يا سماع صوت الداعي
جزل العطايا مغني الفقرية
إن ترحم اللي عن هواه يصاع
والعين عن حيّانها منحيه
يا دار وين مخضب الأصباع
اللي تحط بقذلته ورديه
أرجيه رجوى واحد زراع
ركّب محاحيله وصل دليه
يا قلب لا تيّس ولا ترتاع
هذي أمور كلها مقضيه
لا واحسايف عشبة المرباع
عليه باللي مثل ورك ضحيه
لاجيت أدير الورك لك مفقاع
مشي خبيب وخطوتي ملويه

فاستاءت زوجته من أمنيته بأن يتزوج فتاة شابة ، كما يصف في أبياته ، تزين شعرها وتضع الحناء على أصابعها ، يقول ذلك بعد العشرة الطويلة بينهما ، كما لا يخجل من التلميح بأنها كبرت في السن وفقدت نضارتها . . فقالت ترد عليه :

لانـــي ذلـــول لـــك ولا أنـــت بـــراعـــي
بـعـنـي . . ودوّر بـكـرة عـكـيـــه
نـســيـت يـالأكـــوخ فـــديـد ذراعـي
يـوم الـظـمـــأ في ديـرة الـغـــريـبـــه

فلما رآها «أخذت المسألة جد» فهي تطلب الطلاق منه ، لتفسح له في المجال كي يتزوج من يشاء ، ولما يعلمه من أن المرأة خلقت من ضلع أعوج ، فلو قومها لانكسرت ، وأيضا ، حديث النبي ﷺ : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» . لذلك انتبه الزوج من خيالاته ، وعاد إلى واقعه إذ ليس أمامه إلا استرضاء زوجته وملاطفتها بالكلمات الرقيقة . . فقال :

يـا فـــاطـري يـفـــداك كـل مـــراعـي
الـلـي تـرافـق خـــابـثـين الـنـيـــه
بـالـبـــيـت لا تـشـــرى ولا تـنـبـــاع
في ســوق واقـف نـأخـــذ الـربـعـــيـه

***

بغيت ادخل العزلة ليا الباب مصكوك

أثناء دراسة مطلق الثبيتي - رحمه الله - في بريطانيا ، صادف وجود الشاعر القدير خلف بن هذال هناك بسبب دورة تدريبية عسكرية ، فكانت أماسي رائعة عامرة بالشعر ، منها هذه المحاورة بينهما :

قال مطلق :

سـرى الليل يا مـعـجب تعـاجـيب واضـحـوك

ولندن بدت شـمـسـه وغـابت نجـومـه

وليل جـمـعنا يا ابيض الوجـه مـبـروك

وكلٍ من الشـعـار نأخـذ علومـه

فأجاب خلف :

الأيام يا مطلق حـواجـيـز وشـبـوك

تصـحي رضـيع الديس من حلو نومـه

هذا الليل عـيـد وليل الأجـواد مـشـروك

تركنا الزمـان ولا تركنا سلومـه

مطلق :

ابو زيد ظلا شـيخ واليـوم صـعلوك

من أول شـتـا واليـوم قـيض سـمـومـه

تلين الليـالي وانعـتق كل مملوك

ولا ينعـتق قلبٍ تعـاقب سـهـومـه

خلف :

ابو زيد في عـقـلـه دواكـيك وشكوك

وبعض الحـرار اخـر من العش بومـه

بغـيت المعـالي والمعـالي لهـا شـوك

وتمر يبس في نخلتـه لا تسـومـه

مطلق :

هل الرأي الأقـشـر توهـوا بي وغـووك

تعـوذت منهم واقـعـد والا نقـومـه

بغـيت ادخل العـزلة ليـا البـاب مـصكوك

عليـهـا المطر يمطر وظلمـا غـشـومـه

خلف :

شــــــيـــــــاطين خـلـوني وراحـــــوا وخـلـوك
يبــــون الخـــــشـــــونه عـــقـب ذيك النعـــــومـــــه
انا شـــــــفت شـي جـــــره الغـــــدر باسـلوك
ووراثة يتـــــامى مـــــا حـــضـــــرها حكـومــــه

مطلق :

جـــحـــالو مـــحـــا مـــا هو بعـــمك ولا بوك
ولوم العـــــدو وصـــــاحـــبك لا تلومـــــه
ويا ليت مـن سـلـوا هـل البــــــحـــــر سلـوك
ولا كـــان مـــا بين الرفـــاقـــه خـــصـــومـــه

خلف :

عـــــــــسى الـلـه يـرحـم نـاس تـاهـوا ودلـوك
عـــسى الرجل يحـــيـــا لين يقـــضـي لزومــــه
عـــبـــرنا البـــحـــر على ســفـــينه وسنبـــوك
ولـكن لـبس خـــــايـب الفـــــال لـومــــــه

***

أصد عنها لو تدوس البشت

عندما أدى الشاعر الكبير صقر النصافي فريضة الحج في عام ١٣٦١هـ ، التقى بالشاعر المعروف عبدالله اللويحان في مكة ، وكانا لم يلتقيا منذ مدة طويلة ، فلما اجتمعا حدثت بينهما أكثر من محاورة بحضور الكثيرين من الأصحاب والأصدقاء . . نقتطف بعضا من المقاطع لاحدى هذه الرديات : قال اللويحان :

ســـــلام ردية كـــــمـــا ذوب العـــــسل من نحل
ردية مـــثل العـــسل تمشي على أسناعـــهـــا

لعل دارك مـــربعـــة ولا يجـــيـــهـــا المحل
سـقـوى إلى شـفـت الدبادب مـخـضـر قـاعـهـا

قال صقر :

يا مـرحـبـا بك عـد مـا يخـضـر نبـات السـهل
أو عـــد مـــا جت سلعـــة في كف بيـــاعـــهـــا
يقـــولـه الـلي مـــا يبـي درب الخطا والزّلـل
اللي مكاييله ثقـــيل بالوفـــا صـــاعـــهـــا

قال اللويحان :

يا صـــقـــر أنا وياك خـلينا طروق الجـــهـل
جـزنا عن اللي تلبس المصـبـوب باصـبـاعـهـا
إلى ذكـــرت اللي ثمـــانه مـــثل ضـــيق الهلل
أمـــسـيت جلبـــتنا تبـــوج الموج بشـــراعـــهـــا

قال صقر :

البكره اللي تلتـــفت عند اعـــتـــصـــاب الجـمل
لو طاوعت قلبي بذاك الدرب مـــا طاعـــهـــا
خليـــتـــهـــا اللي إلى قـــربت يجـــيـــهـــا الزمل
وإن أبعـــدت يكفخ جناحـــه يم لماعـــهـــا

قال اللويحان :

البـــاتع البـــاتع يدل الماء بظلمـــا الدحل
والا المخـــاير يتـــرك الهـــوشـــة وفـــراعـــهـــا
مـــا لوم قلبي لو على هاك الرســـوم انهـــبل
يلومني من لا يشـــوف الصـــوع بذراعـــهـــا

قال صقر :

يوم رأسي عن ســـواده بالمشـــيب اشـــتـــعل
أصـــد عنهـــا لو تدوس البـــشت بكراعـــهـــا

مـــــعـــــاد أبي المملوك واللي بالمغـــــالي همل
والا الذبيـــحـــة خـــابرٍ بالرأس مـــشـــراعـــهـــا

قال اللويحان :

اللي تهـــيـــا لك جـــديد مـــا بغـــيت الســـمل
الصـــبح باكـــر تنطح الغـــربي وذعـــذاعـــهـــا
تقـلط ولو دونهـــا يا صـــــقـــــر درب وحل
ولا يهـــمك راقـــد الديبـــان وســـبـــاعـــهـــا

قال صقر :

حي الجـــديد اللي مـــلامـــيـــســـه تزيل الخلل
عـــيني تعـــوروني وكـــفي قـــاصـــر باعـــهـــا
حـتى إني أصـــبح عـــقب تلمـيـســه نشـاطي دبل
والعين مـــا تونس وجـــعـــهـــا عـــقب مـــرباعـــهـــا

***

هذي منازل ربعنا والأصاحيب

هذه واحدة من قصائد الشاعر المعروف حنيف بن سعيدان ، في مدح الشيخ نايف بن هذال بن بصيص - من شيوخ الصعران ، من قبيلة مطير ، والبصايصة لهم مواقف مشهودة وحافلة بالشجاعة والكرم وهم أهل للمدح . . يقول :

هـذي منـازل ربـعـنـا والأصـــــاحـــــيـــب
وهذي مـــعـــاذر كل قـــبـــا قـــحـــومي
يا دار وين مـــبـــهـــجين الشـــراريب؟
عـــقب الطرب مـــا فـــيك زولٍ يحـــومي
يا هيـــه يا هل ســـايجـــات المحـــاقـــيب
حـــمـــر عليـــهن من شـــحـــمـــهن قـــدومي

مــشــارعـــات في حلول التـــشـــاريب
اســـــبق مـن الـلـي بـالجـنـاحـين يـومـي
داروا عليـــهن ســـوقكـم بالعـــراقـــيب
كـلمـــه . . خلوهن عـــســاكم سلومي
مـــا كـــزهن خطو الرجـــاجـــه مناديب
ولا ركـــبــهن دب عـــريض الخـــصـــومي
كـــزيتـــهـن مني عـلى منـقـع الطيـب
نـايـف ولـد هـذال مـلـفـــا الـعـلـومـي
زيـزوم غـلـبـــا يـوم تمـشـي جـنـاديـب
اطرافـــهـــا تاطي الغـــبـــا والحـــزومي
اكـــوانهم قـــد بيـــحت بالاجـــانيب
وقـــد بيـــحت ســد الحـــصـــان القـــحــومي
ونجــــر توالي الـليل يلعي كــــمـــا الـذيب
يـفـــرح به اللي قـــايم عـــقب نومي
عـلـى ثـلاث دلال بـيـض مــــرابـيـب
على فطر . . ودلال غـــيـــره تصـــومي
ان جت نجـــوم الليل مـــثل المشـــاهيب
تلقى لـيـــدله في صـــحـــونه رســـومي
تلقى مـــدافـــقـــهـــا على خـــالي الجـــيب
واللي بعـــد عـــقب الـنـشـــامى يقـــومي
نـدمـح لـه الـزلـه ويـدمـح لـنـا الـعـــــيـب
نبـــيـــه عـن ضـــداتهـــا والزحـــومي

***

نقص من المعلوم خمسة ريالات

بديوي الوقداني ، شاعر مشهور من قبيلة عتيبة ، سبب شهرته واحدة من قصائده التي تعد من عيون الشعر النبطي ، وهي مليئة بالحكم والخبرة الحياتية ومطلعها :

أيامنا والليـــــالي كم نعـــــاتبـــــهـــــا

شـــبنا وشـــابت وعـــفنا بعض الأحـــوالي

هذا الشاعر عاش الشق الأول من حياته في بادية الحجاز ، ثم استقر بالطائف على عهد الأشراف ، وقد برع في الشعر النبطي وكان قرض الشعر الفصيح في أواخر حياته بعد أن درس أصول اللغة العربية ، وبراعته في الشعر النبطي وشهرته الواسعة قربته من الشريف محمد بن عون – أحد أشراف مكة – فكان أحد رجاله وساعده الأيمن ، كشاعر في ظل أحوال سياسية غير مستقرة بالذات بين الأشراف حكام الحجاز ، وخلافاتهم على الزعامة ، ولذلك برز بديوي الوقداني كشاعر سياسي يدافع بالكلمة مناصراً الشريف محمد بن عون .

ومن قصائده النادرة ، هذه القصيدة ولها موقف طريف ، حيث كان يتقاضى راتبا ثابتا ، وفي وقت انقص المسؤول المالي – المقدم – من راتبه خمسة ريالات ولم تجد نفعا محاولات الشاعر الحصول على راتبه كاملا ، فقد كان المقدم يتحجج بأعذار واهية . فما كان من الشاعر عندما لم يتسن له الحصول على حقه إلا أن يشتكي حاله إلى الشريف محمد بن عون وقد عرّض بالمقدم ونعته بالجبن والخوف يقول :

ســــلام (يا بن عـــون) عـــســـــاك تسلم

يا نجم من فـــــرع النجــــــوم المطلات

يا ســــيـــدي شـــاكي عليك (المقـــدم)

نقص من المعلوم خـــمـــســـة ريالات

عـيـا عليـهـا مـا قـدرت اتكلم
واليـا طلبـتـه قـال هذي حـوالات
انا احـسب المكتـوب حـايز مـولم
واثره بعـيـد ومن وراعـشـر ليـات
كـتـبت لي جـوخـة ، وسلم مـسلم
لا سلم جـا وافي . ولا جـوخـتي جـات
ان جـيت ابطلبـهـا عليـهـا تقـدم
وان جـيت ابصـبـر حـاط فـيـهـا دبارات
هذا بـعـد عـفت الحـمـول المردم
كـيف احـتـمل كل المعـاني خـسـارات
ولو كـان انا خليـتـهـا مـا تندم
لكن راحت واكـثـر الناس شـمـات
كم واحـد من سـوق مـالك تغنم
واليـوم لابس لـه من الجـوخ بدلات
ويركب جـيـاد الخـيل وامـسى مـعظم
اشـرد من العـصـفـور لو تنهـمـه مـات
ولو كـان راسـه يوجـعـه مـا تحـجم
خـايف يشـوف الدم ويموت حـسـرات

***

في حضرة الناس

يروى عن الشاعر المشهور راضي السلمي ، أن فتاة من قومه ذات جمال ، كانت ترعى غنمها بعيدا عن العرب . فلحق بها على أمل أن يظفر منها بشيء . وحين رأته الفتاة مقبلا اشتد خوفها واستعدت للدفاع عن نفسها إن بدر منه

شيء مما لا ترضاه . فلما رأى ذلك ، أخذ يتقرب منها بالأبيات الشعرية ، وهو حين يقول (يا ضلع) فإنما يقصد : يا بنت . . حسب لهجة قبيلة سليم .

قال راضي :

يا ضلع ياللي عن الضلعـان حـايز لحـال
يا ضلع ياللي عن الضلعـان حـايز بتـيل
يا ضلع أبا ارعى الغنم في رأسك أريع ليـال
الناس حـالت . . وأنا يا ضلع مـا في أحـيل

فردت الفتاة :

الضلع مـا هوب مـبني بجـرف هيـال
مـا نتب على الضلع يوم إنك وصلتـه وكـيل
الضلع له ناس فـيـه يصلحـون الحـلال
ويخلصـون العـميل إلى قـرب من عـميل

فقال راضي :

اليـوم باعطيك أنا وجـهي كـريم السـبـال
في سـد وجـهي ، ووجـه الله علينا كـفـيل
ياللي عليك الحـلايا من رسـوم الغـزال
تراي من صـويكم قلبي مـخـيف ذليل

قالت البنت :

الله عطاكم نهـار العـيـد عـقب الهـلال
في حـضـرة الناس يوم ان الخـواطر تشـيل
مـيـر انحـرف رح لأهلك ومن بغى الشـيل شـال
والبـر مـا فـيـه للي يتـبـعـونه ضـويل

فكان كلما حاول بالقول أجابته بقول مثله ، حتى اقتنع بأنه لا أمل له بالحصول على شيء ورجع عن نيته بالكلام الطيب .

هذا الذي دفن في مقبرة الدوادمي ، في أحد أيام العام ١٤٠٥هـ ، بعد حياة حافلة بالأحداث عاصفة بالمواقف ، مازال حيا في قلوب عشاقه .

بندر بن سرور ، الذي قال ذات يوم :

تـرى الـذي نـوّر عـلـى نجـــــــــــد كـلـه

«خـــزنه» مــــهي بمكينة قـــوم حـــشـــاش

ربما ، للوهلة الأولى ، يجعلك تنفجر فضولا وأنت تتخيل كيف هي خزنة؟ وأي امرأة هي؟ ثم ما تلبث أن تعود أدراجك ، فهي بالتأكيد لا تختلف . . أو لا تتفوق على «عيده» أو «منيره» أو «ميثا» . . لكنهن - جميعا - في قصائده يصبحن أشبه بالخرافة!

وربما . . كان هو أكثر الشعراء على مر العصور وفاء للأسماء ، أسماء الرجال الذين عرفهم ، والأمكنة ، والوانيت الذي ارتبط به أيما ارتباط!

قد يكون لهذا السبب ، عندما داهمته السكتة القلبية ، حول (حلّيت) بجوار بدائع بن نجم ، ظل ليلة وضحاها ليس كما يعتقد راعي الأغنام ، الذي أبلغ عنه ، بأنه نائم ، وإنما ليودع سيارته وداعا يليق بتلك العلاقة النادرة التي تحكي عنها قصائده .

بندر بن سرور ، توفي ، رحمه الله . . أما قصائده . . ليس فقط لا تموت . . وإنما لا تفقد حرارتها أبدا .

- احذر يغرّك من بسط لك شليله

يـا هـل الـوانـيـت الـلـي تـزايـد عـــــــــويلـه

مكـينتـــــه ذيـب النـصــــــارى شـــــغلـهـــا

حـــــده وقـــــود النـار وابعـــــد مـــــقـــــيله

شـــاقــــه بعـــــيــــد العين وأدنى جـــبلـهـــا

اليا لفيت العين إخذ لك دليله
لا تبدي الشكوى على غير أهلها
واحذر يغرك من بسط لك شليله
كم واحد يبي العلا ما وصلها
عليك باللي بالـلـقـا ينعني له
اللي ليا قاد السفينه عدلها
السالمين اللي خطاهم طويلة
وسعيد زيزوم البلاوي فحلها
قل حاجتي يا بو مبارك ثقيله
ما كل رجل ينتخي لي حملها
وابغيك تدركها بحال وحيله
عساك تاجد عند ربك بدلها
وإلا ترى الدنيا قريب رحيله
كل تبي نفسه تلاقي عملها

-عدّه لابن هذال!

الله على اللي كن سلفه اليانيش
خطو المحاله مفرد من رشاها
يلحق فروخ مصخرات أبرق الريش
شقر الوحوش اللي عزيز غذاها
عدّه لابن هذال ريف الهتاتيش
يا زاره الزوار همومه نساها
قل له يحل حروف بيت مباليش
اللي عسّرني حلّها من خفاها
أصبحت بالدنيا كثير التناقيش
وازريت أثبت وجهها من قفاها

نوجٍ توردنا العدود النقاريش

ونوجٍ توردنا خزاين ضماها

- شيب العيون!

يوم ان خلان الرخا هملوني

ركبت واركبت المغربل من الناس

من فوق فرت يوم يرخي المتوني

زول القطا اللي وارد عقب مرواس

من مارده يا عبيد شابن عيوني

ومن مصدره يا عبيد شاب أسود الرأس

كان الرجال اللي مضوا يصدقوني

وحدك ولا خوة مغاريف الأنجاس

طوال الظهور امخبين الظنوني

جرارة الطرقة سرابيل الأكياس

والبوم بيت البوم ما يفلحوني

ما طلعت سود التنك فض وانحاس

- وارد ابن أيوب

راكب اللي يوم طب من النفودي

كن صلفات الهبايب صج ويله

ما وقف بطريف لسلاح الحدودي

وارد ابن أيوب والسايق دليله

صوت سيره يوم غنّى بالعمودي

صوت ذيب وايقٍ رأس الطويله

حدر أبو منصور يمشي به قصودي

ما مشى به مع دروب الحنشويله

دلبـــــحي لا ذليل ولا حـــــــسودي
عــذربوا به يا مــضــيـعــة الجــمــيله
مـــا وراه إلا زحــازيح الفــهــودي
غــيــرهم هـذال وابن آخي مــحــيله

- الخطايا محابيل

الله من عين ليــا عــســعس الليل
عــافت لذيذ النوم مــا تهــتني به
يا وين أبلقى من يحب التــعــاليل
يبــدي بزين القــول وإلا ابتــدي به
خطو الولد يا مــال قــصف التــمــاهيل
يشــرح عــيــوب الناس مــا شــاف عــيــبه
يفــرح ليــا شــاف المجــالس هرامــيل
يكره ليــا شــاف المجــالس امنيــبه
مــا شــوّقنه طيــبــات التــمــاثيل
مع شــايب قــد بيّن الوقت عــيــبه
مــا هوب شــايب شــيّــبنه غــرابيل
عــيــد يقــفي به وعــيــد يجــيــبه
انا الذي شــفت الوزا يا اسّــمــاعــيل
طاوعت نفــسي لين شــفت الغليــبه
النفس طيــر والخطايا مــحــابيل
والنــاس رواي الحــديــث اتحكــي به

- حمض الخباري

راكــب اللــي يــوم واشــك خــط لــيــله
مــثل شــقــرا واشكت جــول الحــباري

عـــيـــد هـي مـــا يـوني من قـــري لـه
ناشب في مـــدقـــره حـــمض الخـــبـــاري
رافـــعين سليـــتـــره وامطولي لـه
مـــا نبـــاه يدق ولفـــه بـالحـــداري

- ثوب النجس

يا عنك مـــا تشـــفـــيك ذباحـــة التـــيس
وبع السلق مـــادام حـــملك خـــفـــيـــفي
وأخـــيـــر من هاك الوجـــيـــه المفـــاليس
البـــعـــد عن مـــعـــروفـــهم لو تضـــيـــفي
يلحـــقك منهم بعض الأيام تنجـــيـــس
ثوب النجس لو كـــان ثوبك نظيـــفي
مـــالي ومـــال مـــجـــالســـة كل بلّيس
سلقـــان نجـــد اللي وحـــيـــهـــا صليـــفي

- زرع اليمن

يا زين فنجـــال على نومـــة النـاس
زرع اليـــمن واللي مـــسـويه «عـــيـــده»
يبـــري العـــمـــاس اللي فـــضـــا طوقـــة الرأس
روابع يقـــفي ويقـــبـــل بـريـده
يا صـــخـــيـف الذرعـــان لو قلت لا بأس
مـــا نيب من يجـــري الخـــبـــيث بوريده

- رسالة!

يا هـل الـوانيت الـلي يشق الثـــرى شق
يصـــفـــر صـــفـــيـــر مـــفـــجـــرات الســـراعـــه
امـــا اركـــبـــوني بالنشـــامى بلا حق
وإلا اوصلوا «مـــرزوق» مني وداعـــه

قـــــــــــولــوا تــرى بــنــدر تــدهــور . . .!
خـــانه ربيـــعـــه جـــعـله امـــحق ارباعـــه

ـ ثاني اعدادي

يـا بجـــــاد لـو صـــــادفك ورعٍ صـــــدفناه
على طلوع صــــفـــــوف ثاني اعـــــدادي
أبـو جـــــــــديـل بـوم تــدلــج زوايــاه
ســــبـــــاح غـــابات مع الموج غـــــادي
يمكن يـصــــبـــون الذهب في شــــفــــايَاه
وإلا بـخـــــــــده يـزرعــــــــون الـزبـادي

ـ سواة التليفون

جـــينا حـــفــيت ولا لقـــينا أشـــعل اللون
إلا بحـــــمـــــرٍ يبــــهتن الحــــديدي
روس الطـوال الـلـي ورا حـــــــد طّحـنـون
يـامـــــا بـهـن مـن عنـز ريم فـــــريـدي
قـم ســـو فـنجـــال ترى الشــــاي «البـــتــــون»
والما الشـــريعـــة والهـــوى مــــســــتــهــيــدي
مـــقـــيـــالنا في طلحـــةٍ فــيّـــهـــا دون
نـوجٍ ســــمـــــوم ونـوج بردٍ جـليــــــدي
يـســـوى حـــيـــاة اللّي ســـواة التليـــفـــون
من شـــبـــتـــه بين العـــجـــايز بريدي
راع البلـد يـا مــــيت القلب مـــســـجـــون
اضـــرب تهـــاتيـــه الخـــلا تســـتـــفـــيـــدي
ابطش ديار القـــــوم والرزق مــــضـــمـــون
تصـــيـــدك الأقـــدار وإلا تصـــيـــدي

واحـــذر تـخـــاف إلا الـذي كـــوّن الـكـون

رب الفـلق مـــحـــيي العظام الهـــمـــيـــدي

- الرجل غاية ملحته قلب ولسان

صـــوتـي وانـا بـنـدر طـويـل لـيـــا بـان

إمـــا خـــشـــيت الرب ويش اخـــتـــشى له

وان عـــودت لـلـنـاس قـــوم وصـــدقـــان

مـــحـــمد بمانعـني لعـــدي الـطـويـلـه

وان جـــيت أغـني البـــيت وافيّ ومليـــان

ولـولا مـــعـــاني بالـغـنا مـــا اشـــتـــقي له

مـــا حب ترديد الغنا . . مـــيـــر مـشـــحـــان

مـــا ادمح خـطـأ اللـي شـــاهـده رأس ذيلـه

وإلا خـطـأ الـطـيـب زبـاد وريـحـــان

لـو يـدّعـي لـي بـالـفـنـا وادعـي لـه

ان ضـــاق صـــدري شـــفي انزح بالألحـــان

وإلا عـن الـزلات رجـلـي ثـقـــيـلـه

دنيـــا نبي تقـــزيرها ضـــحك حـــجـــان

وإلا ترى ســـيّـــورها مـــســـتـــقـــيله

والرجل غـــايـة ملحـــتـــه قلـب ولســـان

وإلا ان بـاقـي جـــشـــتـــه حنظـليـله

يا رب تجـــعل لي من الذنب غـــفـــران

يـا فـــارج لأيوب عـــقـــب اتـهـلـيـلـه

ومما يذكر عن «بندر» أنه كان متجها بسيارته ، ذات يوم ، إلى بلد مجاور ، فتعطلت سيارته في مكان يقال له «البسيطا» بعيدا عن الحركة وفي منطقة مقطوعة ، أمضى هناك ما يقارب ثلاثة أيام دون أن يمر به أحد ليساعده ، وقد

اضطر عندما نفد الماء الذي معه أن يشرب من ماء «الراديتر»! ثم هيأ الله تعالى له بعد ذلك «راعي حلال» ساعده في الوصول إلى أقرب محطة بنزين . فقال بندر بن سرور يصف ما جرى له :

والله مـــا ألوم اللي بجـــيـــبـــه منافـــيس
مـــــا لوم ولـد اللاش مـــــا راح ديـره
يوم جـــرالي بالبـــســيطا تواعـــيس
بالســـهلة اللي مـــثل لبـــة منيـــره
عـــيّـــا حـــلال القـــوم لا يشـــتـــغل ريس
والمـا قـــضـى والمـوت قـــدم وزيـره
في ســـهلة فـــيـــهـــا المنايا مـــتـــاريس
يبـــدي بهـــا المشـــحـــون مـــا في ضـــمـــيـــره
مـــاني وأنا بندر بهـــيـــس ولـد هـيس
هيس يدنع عند حـــرمـــة قـــصـــيـــره
ليـــا بغـــيت اجلس ترى لي مـــجـــاليس
والـيـــا بغـــيت امـــشي دروبي عـــســـيـــره

***

لا والله إلا شدّوا البدو يا شعاق

الشاعر الكبير صحن بن قويعان ، من أبرز شعراء مطير ، والذي يتميز بشهرة استثنائية بين الشعراء لابتعاده عن وسائل الإعلام وسؤال متذوقي الشعر الدائم عنه .

هذه القصيدة التي تبين حنين (ابن قويعان) للبادية التي شهدت مرابعها الشطر الأول من حياته ، يتضح من خلالها تفاصيل الحياة البدوية عند الرحيل وذلك المشهد المؤثر بما فيه من فراق ولوعة ، فالبدو يتبعون الوسم والنبت غير

آبهين بحال العاشقين .

ثم يصف ما أصبحت عليه الصمان والصلب بسخرية مريرة . في قصيدة رائعة لا يكتبها إلا شاعر مثل صحن بن قويعان .

لا والله إلا شـدّوا البـدو يا شـعـاق
والحضـر وسط قـصـورهم مـا يشـدون
شـافـوا سـهـيل ،ونور فـجـران مـا سـاق
وقـامـوا على الزمل الهـمل له يردون
جـا للدبش هو والضـعـاين تصلفـاق
مـا عـاد تسـمع كـود قـولة على هون
مـا يرحـمـون مـولع القلب لو ضـاق
ولا يسـمـعـون اللي عليـهم يصـيـحـون
مـا للمـولع عندهم كـود الأفـراق
دايم وهو قلبـه من الهم مـشـحـون
كـم واحـد خـلـوا لـه المرح لا واق
وابق علّى مـرحـانهم مـا لقى لون
بدو اليـا شـافـوا من الوسم براق
خلّوا وعـد مـدادهم مـا يقـبـمـون
بأول دخـول الوسم مـحـرين وشـفـاق
وشـافـوا خـيـال له ربابين ومـزون
يا هبل من يشـره عليـهم بالأرفـاقّ
يعـذر لهم قـبل المصلّى . . يهـجّـون
أخـذت مـعـهم بأول العـمـر دوراق
قـبل الصـبي هو والحليلة يشـيـخـون
وقـدام يقطن راعي العـيـر نهـاق
بالمربع اللي به من أول يضـيـعـون

اللـه يعين البل وأهلها بالأوفاق

يوم انتهى مقطانهم . . وين ينـدون؟

دبّت على الصمان من كل الأشناق

حتى فلاليح السماوة يشافون

ما عاد يفهقهم عن الصلب فهاق

الله يعز اللي بأماته يدوجون

ومن راح في مرحانهم عاف ما ذاق

عافوا وأنا من جملة اللي يعافون

حطيت قصر فيه من كل الأرناق

شبعة وكسرة شف وقعاد مسجون

ليته ليا سقته عن الدار ينساق

ليا عفت قرب الجار بعته بغليون

***

محمد الخس يروي القصص الحقيقية لأشهر قصائده

الشاعر الكبير محمد الخس ، هو بلاشك تاريخ شعري حافل بالإبداع والإنجازات والنجومية ، بل هو شاعر نجم فوق العادة ، لاسمه مهابة وأهمية يشعر بهما كل من يتداول هذا النوع من الأدب .

كنت حاورته في صيف العام ١٩٩٧م ، وقد نشر الحوار آنذاك في مجلة (فواصل) حيث تكشف لي اضافة إلى بهاء قصائده التي ذهبت على ألسنة عشاق الشعر نوادر باقية في الذاكرة ، لما يتمتع به من أخلاق كريمة وتواضع جم وروح مرحة ، فلا تمل أحاديثه حين يتكلم ولا ترتوي من قصائده حين يلقيها .

وقد احتفظت من الحوار بشريط الكاسيت الذي لم تفرغ كل محتوياته في ذلك الحوار ، حيث روى لي (البستان) محمد الخس الرواية الحقيقية لكل

واحدة من قصائده المشهورة ، بخاصة وأن الناس تضيف أحيانا إلى القصة أو القصيدة أشياء ليست منها أو تخلط بين قصيدة وأخرى .

وأعتقد أنني حين أقدم هذه القصائد برواياتها الصحيحة ، فإني أضع أمام القارىء باقة من أجمل وأبهى الورود ، ولا غرابة فهي جاءت من البستان . . بستان الشعر محمد الخس .

إما هل الردآت وإلا الطنايا

سألته عن هذا الشطر (إما هل الردات وإلا الطنايا) من قصيدته التي اشتهرت بين الناس ، فأجاب أبو خلف :

قصة هذه القصيدة ، إني كنت ضيفا عند جماعة في يوم عيد ، ومن مظاهر أيام العيد عند البدو في السابق ، أنه قبل العيد بثلاثة أو أربعة أيام يقوم أفراد الجماعة الواحدة بنقل بيوت الشعر من أماكن سكناهم المتفرقة في عدة نواح من الصحراء ، حيث يكون هذا على مسافة نصف يوم ، وذاك يوما كاملا في اتجاه آخر . . وهكذا . المهم يقومون بنقل بيوتهم إلى موقع واحد ، ويتقاربون في منازلهم ، وفي صبيحة يوم العيد تبدو مظاهر الفرح واضحة على النجع كله ، حيث يتبادلون الزيارات مثلما يحدث الآن ، وكل يقدم الطعام إن كان عيد الفطر ، أو الأضاحي إن كان في العيد الكبير .

ومن مظاهر فرحة العيد عند الرجال ، السباق على الخيل وسباق الهجن ، وكذلك وضع هدف (نيشان) والرمي عليه ، أو حتى اطلاق النار في الهواء تعبيرا عن الفرح . أما عند النساء ، فيجتمعن أمام أحد البيوت ويبدأن بالغناء والرقص ، وكنا ننظر لما يفعلن دون أن نعيب ذلك بخاصة العيد فهو فرحة للجميع ، والنفوس عفيفة والنيات نقية .

فجاء أحد الشباب يخبرنا آن البنات يرقصن ، ولما تفرجنا على رقصهن من مسافة ليست قريبة جدا . . رأيت من بينهن فتاة جميلة ، فقلت بعفوية : (ليتها بخرقها ولا شفناها) . . فلما كان الصباح تبرع أحد (الملاقيف) بنقل ما قلته إلى

الفتاة وأمها . . فقالت الأم : (يا دافع البلا . . لو إنها شينة قلنا ما يخالف لكنها زينة)!

فأنا قصدت من كلامي إن البنت جميلة ، لكن يبدو أن صاحبنا فسر كلامي على العكس .

ثم بعد أيام . . صادفت البنت بين بيوت النجع ، فألقت السلام وهي تقول : (أبي أسلم ولو إنني مع أمي زعلانة عليك) . . فلما فهمت الأمر ، قلت : الآن ليس لدي عذر ولكن امهليني بعض الوقت .

وقد كان هذا اعتذاري لها :

هـلا . . هـلا يـا أم الـعـيـون المـظـلـه
الـلـي بـعـيـني مـا لـهنّ حـلايـا
فـيـهـن تقـول طـراد خـيـل وسـلـه
إمـا هـلّ الـردات وإلا الـطـنـايـا
لا حـذفـوا عـن الامـهـار الأجـلـه
وردّوا لـبـيـض كـنـهـن الحـنـايـا
ورداتـهـم تـشـفـي الـقـلـوب المـغـلّـه
من غـيـر حـقـران لبـاقي النحـايا
يـا بـنـت مـن يـنـطـح وجـيـه المهـلّـه
زيـزوم عـيـرات ومـقـدم سـبـايا
مـع دربـه الـعـيـرات مـثـل الأهـلـه
دايم سـمـاريهن تـتـالى حـفـايا
الـعـذر مـنـك إني فـلا قـلـت زلـه
لا طـاب حـظ مـصـورين الحـكـايا
مـا فـيـك مـا يـنـقـال في كـل مـلـه
وعـذروب أهـلـك يـعـدّلـون الـسـرايا

والزين فيك أحلى الوصايف مدله
ما لك بغضات الصبايا تهايا
شمس على روس النوازي مطله
شعاعها يرسل سهوم المنايا
لا بانت الغرة عليها اسم الله
باطرافها تقل يتكاسف مرايا
مثل البروق بمزنة مستهله
توضي وكاسيها أشقر له زوايا
ما شفتها إلا ساعة مستزله
يوم العياد . . ويوم ذبح الضحايا
فالماقع اللي شافها النجع كله
تلعب نهار العيد بين الصبايا
بحجاجها سيف من الهند سله
تشرق وترهق موسعين الهوايا
فان كان هذا سب أنا راعي له
يا سيد كل مفلجات الثنايا
وأنا ما اسب الناس طبعي جبله
لو كان أشوف الناس تمشي عرايا
إلا ليا جا شاعر فيه خله
مضيع دربه وعنده نوايا

يا صحن يا كثر زين في سميره

ويروي الشاعر الكبير محمد الخس قصة القصيدة التي مطلعها (يا صحن يا كثر زين في سميره) بقوله :

دعيت مرة إلى حفل عرس ، عند جماعة ، يقال أن عندهم بنت غاية في

الجمال ، وقد لقبوها باسم (سميرة) وهو غير اسمها الحقيقي .

فلما قمنا بادخال «المعرس» طلبوا مني المكوث والانتظار لمشاهدة سميرة ، وقالوا : (والله ما تروح لين تشوف سميرة)! . . فقلت (يا علكّم ما تفيدون!) . . وكانت النساء تغني والبنات يرقصن ، وكلما دخلت احدى الجميلات ، سألت : هذه سميرة؟ فيقولون : لا . .! بطريقة توحي أن جمال سميرة مختلف عن غيرها .

وبعد فترة ، دخلت سميرة ، فقلت دون شعور : (ليت الله فكّنا من سميرة) فقد كانت على قدر من الجمال لا يوصف مطلقا ، وإذا الشبان يقذفون الشمغ والعقل إلى الأعلى ، والنساء تزغرد .

فلما كان صباح اليوم التالي ، زرت صحن بن قويعان على العادة ، فقال : (قالوا البارحة إنك عند الفلان . . أنت شفت سميرة اللي يقولون؟) . . قلت : نعم شفتها . قال : (هي مزيونة مثل ما قالوا؟) . . قلت : (يا صحن ما أكثر من زينها شي في الدنيا) . . وقلت كذلك :

يا صحن يا كثر زين في سميره
جل قدرة ربي اللي صورتها
لا نشاش ولا عريض ولا قصيره
مع نعومة عودها زين طخمتها
لا تحسب حساب هذيك الكبيره
خالفت ديمه سحابة وادهمتها
يوم طبّت صار بالملعب حشيره
صفق الجمهور والبيض أزعلتها
خدها شمس العصير المستديره
فرّعت والقذله الشقرا كستها
كن وسط عيونها خيل مغيره
والسيوف الحمر بيدين رقبتها

يوم تبلج بالشفاتين المنيره

هن حمر واللولو الأبيض تحتها

تذبح العشاق بحراب شطيره

بين لذات العيون وسلهمتها

مع شعاع بين نور وبين نيره

كهربا . . من غرة الوجه نشرتها

غرة ما مثلها وسط الجزيره

لا كستها بالذوايب وأظهرتها

برق غراً قهقرتها المستشيره

يظهر الربان من تحت حدبتها

كنها عنق المهاه المستذيره

طالعت بادباش بدو واذعرتها

ذكرتني مثلها تلعا غريره

قد خذت بسرة فؤادي وانهبتها

لو مودتها على قلبي خطيره

السنين اللي تقافت ما محتها

* في البيت الثالث ، يقول أبو خلف ، قصدت أن هذه الفتاة ليست سميرة توفيق المطربة ذات الشهرة الواسعة في ذلك الوقت .

القلب ما له في سميرة وسلوى

وحول قوله : (القلب ما له في سميرة وسلوى) يروي الشاعر الكبير محمد الخس ، القصة الصحيحة لهذه القصيدة التي أخذت شهرة واسعة بين الناس ومازال يرددها الكثيرون من عشاق الشعر . . يقول :

هذه حكاية قديمة . . حيث كنا نجلس عند أحد الأمراء ، في مجلس خاص ، فجاءوا بشريط فيلم ظهرت تغني فيه سميرة توفيق وسلوى ومحمد عبد

الوهاب وفريد الأطرش . فقال أحد الحضور : يا محمد ماذا تقول في سميرة وسلوى؟

قلت : كل خير . . لا أنكر إني أميل إلى غناء سميرة لأنها تغني الألوان البدوية .

فقال : لو أمكن لك الزواج منها . . هل تفعل؟

قلت : لا . . لن أتزوجها!!

فقال : ما السبب؟

قلت : لأني لا أعرف أصلها ولا فصلها!

فرد بقوله : (والله هذه البلوى) . . وقال أحد الجالسين : إن محمد إذا أراد الزواج عنده بنات علوى .

فأجبتهما على ما قالا :

الحب بلوى واكثر الناس بلوى
وأنا دليلي يا هل العرف عيني
القلب ماله في سميره وسلوى
لو أكثر العالم لهن ميّديني
مالي ابّعض الصيد عساه يلوى
ما ينشرح له خاطري لو يجيني
القلب شفه في عماهيج علوى
نجل العيون مهلكات الجنيني
اللي مجاذبهن من طيور شلوى
مروين حد مذلقات العريني
لا جا الدلع يا بوش والحكي حلوى
لو كان قلبك من صفاة يليني
ملزوم قلبك يجزل اجزال دلوى
لا جتك تمشي تنعطف عطفتيني

والرأس ذيل كـــروش مـــا جت بفلوه
شقـرا تفل معـيّـلات القطيني
لو قـابلت لك في هدوم سـملوى
تغنيك عن نزّالة المشرقيني !

***

رأس الجبل منصاك ناس كريمين

الشاعر راضي فهد الشمري . . شاعر قدير ، ومعروف على مستوى قبيلته لما يتمتع به من شهرة واسعة ، رغم ابتعاده عن وسائل الإعلام والصحافة .

وفي هذه القصيدة التي تدل على قدرته كشاعر ، يبعث تحياته من «الدمام» إلى حيث أقاربه وجماعته في «حائل» مبينا القصد من التحيات ، وهو التقدير والمحبة ، وإلا فهو بخير ولا ينقصه شيء .

يا راكب اللي ما خذا قيمته دين
نقد على الرفرف دفعهن شمامي
سعره معجّز منّا شروه البخيلين
ولا ساق بيزاته خطاة الهلامي
جمسٍ من الممتاز حجم الثلاثين
وافي الخصايل ما حصل به كلامي
ما صلحوا به بالكراج البخيصين
ولا وقّفه عند المعارض يسامي
توّه جديدٍ ما مشى غير تمرين
وركبه على اللي ما يعرف له حرامي
يبي غلامٍ دارسه عدة سنين
عنده حقوق الجمس بالإفتهامي

إلحق الأول لا خــــذا العـــــزم باثنين
قـبل يحن القـيـر بدّل شـمـامي
لا جـاب بالثـالث على رقم سـبعين
لا شـد عـزمـه ، ريّحـه يا سـلامي
لا كـمّل الطبلون مـيـة وسـتين
لا جـا مع البـيـدا سـواة العـسـامي
عليـه ذيب عـارف منهـجـه وين
يشـفـيك لا غـرّك خطاة الخـمـامي
مـر الوكـالة شـيكهـا بالتـفـانين
له شـرهة عند الجـمـيـحي نظامي
يا كـمّل التـشـيـك عند الكفـيلين
اللـه وياك وفـال دربك سـلامي
حـرّك من الدمـام في هجـعـة العين
عـقب الأخـيـر وبارد كل حـامي
يسـري من السـاحل جنوب الضليـفين
ومن دون حـايل حـالف مـا ينامي
لا جـا الحـفـر والخط قـسّم صليـبين
افطن ترى دربك صـلاة الإمـامي
رأس الجـبل منصـاك ناس كـريمين
هل الشـرف شـمّـر بعـاد العـلامي
ربعي هل العـادات بالقـسي واللين
مـا عـمـر من يزبن عليـهم يضـامي
تلقى لهم جلسـات كـيف ودواوين
سلم عليـهم ثم عطهم سـلامي
مـا لاحـقن لاحق ولا عـايزن شين
إلا سـلامٍ نرسله بالخـتـامي